لمسات بيانية

لسور القرآن الكريم

١٢

المؤلف

د. فاضل السامرائي، د. حسام النعيمي، د. أحمد الكبيسي

المجلد الثاني عشر

من سورة الممتحنة حتى آخر سورة المرسلات

لمسات بيانية الجديد لسور القرآن الكريم **12**

المؤلف: د. فاضل السامرائي، د. حسام النعيمي، د. أحمد الكبيسي.
المجلد الثاني عشر من سورة الممتحنة حتى آخر سورة المرسلات
المصدر: حلقات *لمسات بيانية* للدكتور/ فاضل السامرائي، والدكتور/ حسام النعيمي، والكلمة وأخواتها للدكتور/ أحمد الكبيسي وبعض كتب الدكتور/ فاضل السامرائي.
جمع سمر، ويسرا الأرناؤوط
عدد الأجزاء: ١٣ [الكتاب مرقم آليا، وهو غير مطبوع]
تسهيلاً للباحثين يسرني وأختي الفاضلة يسرا أن نضع بين أيديكم ما قمت بطباعته من برامج تلفزيونية هادفة للدكتور. فاضل السامرائي - د. حسام النعيمي - د. أحمد الكبيسي تتناول لغة القرآن الكريم على مدى سنوات طويلة .. أختكم سمر الأرناؤوط.

تقديم

تم بحمد الله وفضله ترتيب هذه اللمسات البيانية في سور القرآن الكريم كما تفضل بها الدكتور فاضل صالح السامرائي والدكتور حسام النعيمي فى برنامج لمسات بيانية وفى محاضرات وكتب الدكتور فاضل السامرائي زادهما الله علما ونفع بهما الإسلام والمسلمين وجزاهما عنا خير الجزاء وإضافة بعض اللمسات للدكتور أحمد الكبيسي من برنامج الكلمة وأخواتها وأخر متشابهات والدكتور عمر عبد الكافي من برنامج هذا ديننا والشيخ خالد الجندى من برنامج فى ظلال آية ومن برنامج ورتل القرآن ترتيلاً وخواطر قرآنية للأستاذ عمرو خالد وقامت بنشرها أختنا الفاضلة سمر الأرناؤوط على موقعها إسلاميات جزاهم الله جميعاً عنا خير الجزاء فى الدنيا والآخرة .. فما كان من فضلٍ فمن الله وما كان من خطأٍ أو سهوٍ فمن نفسيٍ ومن الشيطان. أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بهذا العلم فى الدنيا والآخرة، ويلهمنا تدبر آيات كتابه العزيز على النحو الذى يرضيه عنا وأن يغفر لنا وللمسلمين جميعاً يوم يقوم الأشهاد، ولله الحمد والمنة.

أختكم سمر الأرناؤوط.

سورة الممتحنة

* تناسب خواتيم الحشر مع فواتح الممتحنة *

خاطب المؤمنين في خواتيم الحشر *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *١٩ * وفي أوائل الممتحنة قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ *١ * كأنها استكمال لآية الحشر، هذه أوامر ونواهي وكأنها تكملة للآية التي قبلها، إذن هي جملة استكمال للأوامر. *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ* الخطاب في الممتحنة للمؤمنين بألا يتخذوا عدو الله وعدوهم الكافرين ولها سبب نزول ليس هذا وقت ذكره. قال تعالى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *١٩ * هذه أوامر وتوجيهات وأكمل في الممتحنة *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ* كأنها في منظومة واحدة وخطاب مستمر واستكمال للأوامر وكأنها تسير على نسق خطابي واحد.

في خواتيم الحشر قال *لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ *١٣ * وفي أوائل الممتحنة قال *إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ

أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ
وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ *٢ * يثقفوكم يعني يتغلبوا
عليكم، كأن الكلام واحد في الآيتين. نلاحظ في
الحشر *لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ *١٣* لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا
فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ
شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ *١٤ * *إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ
أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ
وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ *٢* الممتحنة * كأن الآية
استكمال لما قبلها والكلام واحد. *تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى * هم ليسوا على قلب واحد في
سورة الحشر لكن مع ذلك *إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا
لَكُمْ أَعْدَاءً* في كل الأحوال هم أعداء.

في أواخر الحشر قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ
فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *١٩* لَا
يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ *٢٠ * وقال في أوائل الممتحنة
*لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٣ * . يوم
القيامة يفصل بينكم - لا يستوي أصحاب النار
واصحاب الجنة ، الكلام كله على يوم القيامة .

* هدف السورة *

ابتدأت السورة *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ
كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ

جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ* آية ١ بالدلالة على الانتماء ويجب أن ننتبه أن الإسلام لا يدعو إلى عدم التعامل مع غير المسلمين وإنما النهي يكون عن الذين يقاتلون المسلمين ويؤذونهم *لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ* آية ٨ و ٩ - ويجب أن يكون هناك توازن بين عدم اتّخاذ الأعداء أولياء وبين القسط والبر بالذين لم يقاتلوا المسلمين. وهذه السورة هي سورة الامتحانات *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* آية ١٢.

وفيها امتحانات أربعة : أولها نموذج امتُحن فأخطأ وهي حادثة حاتم بن أبي بلتعة الذي كتب إلى أهل مكة يخبرهم بأن الرسول يتجهز لفتح مكة وأنه يريد غزوهم وذلك لأنه كان له قرابات في مكة أراد أن يحميهم فنزل الوحي على الرسول وأخبره بذلك فعفا عنه الرسول لأنه كان ممن شهدوا بدراً ونزلت الآية آية

١ - والاختبار الثاني اختبار سيدنا إبراهيم الذي امتُحن فنجح *قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ

وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا
أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ
أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ* آية ٤، والثالث إمتحان العدل
في معاملة غير المسلمين آية ٨ و ٩، وآخرها
امتحان المبايعة للنساء آية ١٢.

وعلى المسلم أن يأخذ العبر ويستعد لامتحانه فماذا يفعل عندما يكون الامتحان هو الانتماء للإسلام؟.

* من اللمسات البيانية فى سورة الممتحنة *

آية *١* :

* ما معنى الآية *١* الممتحنة ، وأين أماكن الوقف؟

د. حسام النعيمي

هذه الآية الأولى في سورة الممتحنة التي يقول فيها الله سبحانه وتعالى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ *١* الممتحنة *
قلنا في مرة ماضية إن العلامات التي في المصحف هي من إجتهاد اللجان التي تولت طباعته. فقد يجد المسلم إشارة بمنع الوقف. هنا عندنا إشارة عند قوله تعالى *يخرجون الرسول وإياكملا* بعد كلمة *وإياكم* هناك

إشارة *لا* يعني تقترح اللجنة أنه لا يستحسن الوقف هاهنا *يخرجون الرسول وإياكم* ثم يأتي قوله تعالى *أن تؤمنوا* لأن معنى الآية هو يخرجون الرسول ويخرجونكم لأنكم تؤمنون بالله ربكم، هذا هو المعنى. لكن إذا أحس القارئ أنه لو وقف هنا يتبيّن له المعنى أكثر *وإياكم* ثم يقول *أن تؤمنوا بالله ربكم* معناه لأن تؤمنوا بالله ربكم أو يصِلها. نحن عندما نقول: أكرمت زيداً وأكرمت خالداً هذا فيه تكرار والتكرار لا يكون إلا لغرض بلاغي إذا أراده المتكلم أن يخصّ خالداً بإكرام منفرد به فيقول أكرمت زيداً وأكرمت خالداً. لكن عادة العرب أنها تحذف الفعل وتستغني بحرف العطف *أكرمت زيداً وخالداً* يعني وأكرمت خالداً ولذلك يأخذ الحركة الإعرابية . إذا كان خالداً مخاطباً يعني إذا قال أكرمت زيداً وأكرمت: لا يقول له خالداً ويشير إليه وإنما يستعمل الضمير فيقول له أكرمت زيداً وأكرمتكَ.

فإذا حذف أكرمت سيبقى الضمير *الكاف* لوحده والضمير وحده لا يقف ولا بد من اعتماده على *إيّا* بعض العلماء يقولون هي إعتماد وقسم يقول هي والكاف بجملتها تكون ضميراً، تكوّن ضمير النصب. فهنا المعنى : يخرجون الرسول ويخرجونكم، يخرجون الرسول ويخرجونكم فيها تكرار فحذفت يخرجون
وبقيت *كُم* لوحدها *يخرجون الرسول وكُم* لايستفيم
فتأتي *إيّا* فصارت *إياكم* بمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم.

أن تؤمنوا بالله ربكم: هنا اللام محذوفة كأنه مفعول لأجله يعني *لأجل إيمانكم

أخرجوكم* . *أنّ* تحذف قبلها اللام في لغة العرب كما قال الله سبحانه وتعالى *عبس وتولى أن جاءه الأعمى * بمعنى لئن جاءه الأعمى . اللام تحذف كثيراً لأنها تكون مفهومة والعربي إذا كان الشيء مفهوماً لا يذكره ولذلك أحياناً إذا ذكر في موطن الفهم الواضح يقولون هذا شاذّ كما قال:

لك العِزُّ إن مولاك عزّ وإن يُهِن فأنت لدى بحبوحة الهون

قالوا: فأنت لدى بحبوحة الهون كائن، قال: هو واضح كائن. زيدٌ في الدار لا نقول زيد كائن في الدار فالحذف هنا واجب.

لا* بعد إياكم* في الآية *يخرجون الرسول وإياكم* لا نقف عند إياكم وهذا إجتهاد اللجنة ويمكن أن تستقيم العبارة *يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم* هذه ليست إياكم التحذيرية بمعنى إياك أن تفعل كذا، أحذّرك. لا تقف عند الرسول لا يجوز لأنه فصلت بين المعطوف عليه والمعطوف وسيلتبس المعنى عند ذلك تصبح كأنه ينهاهم عن الإيمان ولذلك لو وضعت *لا* بعد الرسول لعلّها تكون أوجه وأقوى *يخرجون الرسوللا وإياكم* لا بد أن تصِل. اللجنة أرادت أن تُقرأ الآية كاملة . هذه العلامات غير منضبطة في المصاحف ولكن في الغالب علامة الوقف متشابهة في المصاحف وهناك خلافات يسيرة جداً جزئية وقد رجعت إلى أكثر من مصحف ووجدت الجميع يضع *لا* على هذه الكلمة كأنه يريد أن تُقرأ الآية كاملة **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ

يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْلا أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ *١* الممتحنة ** . لكن الإنسان قد ينقطع نفَسه فهو يحتاط لذلك ولا يكون كهذا الذي قرأ *ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته* يقف هنا. لو اعتقد صحة معنى هذا الوقف قد يُخرج من المِلّة لأن الله عز وجل لا يحمل إصراً. لكنه وقف ليس لأنه يعتقد ذلك وإنما لأنه انقطع نفسه. ينبغي للإنسان أن يحسب للأمر حسابه أن نفسه قصير فيقف في المكان الصحيح. لذلك انظر إلى المجوّدين: الآن الطاغي على الإذاعات وأجهزة التلفاز هذه القراءات المرتّلة طغت وفيهم من يقف وقفات يستحق أن يُعزَّر عليها.

لما تسمع قراءة المجودين لعبد الباسط، المنشاوي، الحصري، الشعشاع، محمد رفعت عندهم نفس طويل وليس كلإنسان له صوت حسم مجوداً للقرآن وليس كل مجوّد للقرآن لديه نفس طويل. وينبغي أن تتوفر في المجود شروط منها طول النفس حتى لا ينقطع نفسه.

هذه الآية لها قصة هي بطبيعة الحال كما يقال خصوص السبب لا يمنع عموم المعنى واللفظ *العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب* . نزلت هذه الآية بسبب معين فيه درس للمسلمين وفيه إستفادة وفيه بيان لرحمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرحمة المهداة - صلى الله عليه وسلم - . بعد صلح الحديبية نكثت قريش العهد وقتلت مجموعة من حلفاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومزقت المعاهدة بهذا العمل وأراد -

صلى الله عليه وسلم - أن يعدّ العدّة لفتح مكة وكشأنه في سائر أموره كان يستشير ويسأل. في هذه المرة إستشار عدداً محدداً ولما افتضح الأمر ما غضب الآخرون لمَ لم تستشرنا لأنهم يثقون بفعل رسولهم - صلى الله عليه وسلم - وهذا ينعكس حتى على الإمام الحاكم المبسوط الطاعة ليس شرطاً أن يستشير كل الناس لأن بعض الأمور تحتاج إلى كتمان فيستشير بعض الناس. ممن استشارهم أحد المهاجرين وبدريّ من أهل بدر، ممن شهد بدراً وهو حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إستشاره وصار الرأي أن يفتح مكة وجميع المسلمين لا يعلمون. حاطب كتب رسالة إلى قريش - وهو مهاجر وقاتل في بدر لكن هذه خطرات الشيطان - كتب إلى قريش يُعلمهم فيها بعزم الرسول - صلى الله عليه وسلم - . علِم - صلى الله عليه وسلم - بذلك. أرسل حاطب الرسالة مع امرأة ، الذي يروي الحديث هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: دعاني الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقال *في رواية البخاري* : تذهب مع أبي مرثد والزبير رضي الله عنهم جميعاً، قال ستجدون امرأة في المكان الفلاني *وسمى المكان خاخ* ستجدون معها رسالة ائتوني بالرسالة .

ذهبوا إليها، هم فرسان وهي تركب ظعينة على بعير فأنكرت وأقسمت وهي مشركة أنه ما معها شيء وكادوا يرجعون ثم تنبّه الإمام علي فقال: والله ما كذبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتخرجنّ الرسالة أو في روايتين: لأعريّنّك أو لأقطعنّ رأسك، وفي الحالين الامرأة العربية ما عندها استعداد لذلك فأخرجت الرسالة من

ضفيرتها فجاءوا بها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - . هذا كشف سر حربي فكيف يتصرف الرحمة المهداة ؟ لا ينسى ماضي الرجل، له ماضي وهو مؤمن، يرسل إليه فيقول: ما حملك على هذا؟ فيقول: يا رسول الله والله ما حملني عليه ردّة عن الإسلام أو كفرٌ بك أو كفرٌ بالله سبحانه وتعالى ولكن إخواني من المهاجرين لهم عشائر، الله سبحانه وتعالى جعلهم سبباً في حماية من هناك من ذرياتهم - هو كان لصيقاً بقريش ولم يكن عنده احد وأولاده وذريته هناك - أنا ما عندي أحد فأردت أن تكون لي يد ينفعني الله بها عندهم *نلاحظ أنه ردّ الأمر أيضاً إلى الله* وفي رواية *وقد علمت أنهم مهزومون* أي حتى إذا علموا فهم مهزومون، فقال - صلى الله عليه وسلم - : صدقت. أحد الصحابة ويروى أنه عمر قال: يا رسول الله هذا نافق فلأقطع عنقه، قال: ما يدريك لعل الله عز وجل إطّلع على قلوب أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم. لأن هؤلاء بنوا دعامة الإسلام فلا ينبغي أن يُنكر لذلك ولا يجوز إنكار فضل ذوي الفضل *أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم* يعني الشخص الذي له منزلة وقيمة إذا عثر أقِله وإقبل منه لكي يتوب إلى الله عز وجل. والآية تخاطب المؤمنين على مر العصور صحيح أنه لهذه الواقعة لكن تذكر أن رابطة العقيدة هو الرابطة الحقيقية وليست رابطة النسب *لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم* هذه الرابطة الأنساب لتتعارفوا. يروى عن عمر كان يقول: لا يكن أحدكم كعرب الأنباط إذا سُئل من أين الرجل؟ قال أنا من بلدة كذا.

بلدة كذا فيها شتى العشائر فلا تقول أنا من

البصرة لكن قل لي من أيّ القبائل حتى نتعارف ونتبيّن العربي من غير العربي.

يا أيها الذين آمنوا: نداء بأحبّ صفة للمسلمين وهي الإيمان. *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ* الذي كفر بهذا الدين لا مجال للمودة بيني وبينه، يمكن أن يكون عندي إشفاق عليه وأدعوه إلى طاعة الله لكن لا يكون حباً وإنما إشفاق لأن هذا قد يدخل النار فأنا حريص على دعوته لطاعة الله سبحانه وتعالى . *عدوي وعدوكم* عدو المؤمنين هو عدو الله سبحانه وتعالى لأنهم كفروا بما أنزله الله سبحانه وتعالى , من أين جاءت العداوة ؟ ما نقمتهم؟ ماذا صنع أصحاب الأخدود بالملك؟ لم يعملوا إنقلاباً وإنما مجرد آمنوا بالله سبحانه وتعالى *وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ *٨* البروج* مجرد الإيمان يوغر صدور الكافرين فلا يجوز أن تلقي إليهم بالمودة ولا يجوز أن تسمعهم المودة .

يخرجون الرسول وإياكم: استعمل الفعل المضارع ولم يقل أخرجوا، هم واقعاً أخرجوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأخرجوكم لكن الفعل المضارع لأنه يدل على الإستمرار يعني هذا شأنهم وهذا دأبهم وهذه أخلاقهم وهم ماضون في إخراج إخوانكم الآخرين فإخراجهم إخراجٌ لكم. هم مستمرون في المضايقة . ما قال *أخرجوا* حتى لا تكون القضية تاريخية وإنما واقع حال فكيف تلقون إليهم بالمودة ؟ والمشكل هو إيمانكم *أن تؤمنوا بالله ربكم* فقط.

* إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي*: هذا الشرط جوابه محذوف دلّ عليه ما قبله وهو *إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تلقوا إليهم بالمودة ولا تسروا إليهم بالمودة * يعني دلّ عليه ما تقدّم وهذا تأكيد له *تسرون إليهم بالمودة * . هذا الإسرار لا ينفع لأنه تعالى قال *وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم*ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل* من يلقي إليهم بالمودة ويسر إليهم بالمودة فقد ضل سواء السبيل، حاد عن الطريق المستقيم السليم. وفيه لمسة رحمة بالمسلمين: قال ضلّ سواء السبيل ما يقل كفر، إنما إنحرف عن الطريق وينبغي أن لا ينحرف فيُعاد إلى الطريق ولم يقل كفر.

دلالة استخدام الفعل *يُخرج* تحديداً، ما قال: يطردكم. لأن هذا بلدكم، هذا مكانكم والإنسان مرتبط بمكان نشأته لذلك المسلمون أقاموا في المدينة دولة الإسلام كما سميت باكستان الأرض الطاهرة ، هذه المدينة المنورة هي الأرض الطاهرة أرض دولة الإسلام مع ذلك كان يقف بلال رضي الله عنه وينشد أبياتاً يتغنى فيها بمكة وأماكن مكة *قد يكون من شِعره أو حفظها عن غيره* :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بوادِ وحولي إذخرٌ وجليل

وهل أرِدن يوماً مياه مجنّة وهل يبدونّ لي شامت وطفيل

إذخر وجليل مناطق في مكة وشامت وطفيل جبال وكل مكان له فيه ذكريات. يقول له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا بلال دعِ القلوب

تقِرّ. أي لا تهيّج قلوبنا إلى مكة ثم قال - صلى الله عليه وسلم - : اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكة .

هم أخرجوهم إخراجاً، الطرد: أنت قد تطرد شيئاً لصيقاً، لكن تخرجه يعني كأنك تقلعه من جذوره. الإخراج تقول: أخرجه من المكان الفلاني تدل على علاقة متينة بالمكان كأنه متأصّل فيه *ويخرج أضغانكم* كأن الأحقاد متأصلة ولكن الله تعالى يخرجها.

إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ *٢* الممتحنة * هذه حالهم فكيف تسالمونهم؟ ثقِفَه بمعنى إستولى عليه أو حصل عليه. حتى في العامية نستعمل كلمة قريبة من ثقف وهي *لقف* نقول لقفه أي حصل عليه كأنه يُمسِك به. *إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ* هذه المودة في قلوبهم، هذه الرغبة والحرص الشديد على كفر المسلمين ويريدون أن يعيدوكم إلى ملّتهم.

لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٣* الممتحنة *: لن تنفعكم يوم القيامة ، يمكن أن نربطها بـ *لن تنفعكم يوم القيامة * أو بـ *يفصل بينكم* . الذي ينفع أخوّة الإيمان وليس الأرحام؟ الأرحام ليست هي الأصل مع أن هناك وصية وتشديد في صلة الرحم لكن الرحم هو رحم الإيمان. الرحم رحم جنس ورحم الإيمان فإذا فُقِد رحم الإيمان فعند ذلك لا يجوز هذا ويكونون أعداء. *يكونوا

أعداء* هم ليسوا نسيجاً وحدهم في هذا لكن يذكّرهم الله تعالى بما كان من إبراهيم وقومه *قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ *٤* الممتحنة * الرابط هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى وتخيّل هذا في بيئة عشائرية لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النادبات، إنما فقط يقول يا آل فلان لا يسألونه. في هذه البيئة يقول لهم إذا كان أرحام معها إيمان لا بأس أما إذا كان أرحام كفرة فهؤلاء أعداء ولا يجوز أن تلقوا إليهم المودة .

آية *٢* :

* ما المقصود بالبسط؟

د. فاضل السامرائي

البسط هو المدّ، بسط يده مدّها. البسط يأتي فيما يسرّ وفيما يكره، بسط إلي يده بما أحب وبما أكره. *لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ *٢٨* المائدة * هذا الضرب. *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ *١١* المائدة *إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ *٢* الممتحنة * البسط إذن يأتي بالسوء ويأتي بالخير *بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ *٦٤* المائدة *.

هو في اللغة بسط إليّ يده تحتمل أمرين الأول أحب والثاني أكره والذي يحدد هذا الأمر السياق وفي الحديث عن عائشة "يبسطني ما يبسطها ويسرني ما يسرها" ويأتي البسط بمعنى الفرح.

آية *٧* :

* ما دلالة استعمال عسى ولعل في القرآن الكريم؟ البعض يقولون أنه لا تفيد مجرد الاحتمال والتمني وإنما تفيد التوكيد *عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً *٧* الممتحنة *

د. فاضل السامرائي

كثير من المفسرين يقولون *عسى* من عند الله واجب، قسم يقولون *عسى* في القرآن واجب، وهذا ليس صحيحاً لأن الكفار قالوا عسى *وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ *١٢٩* الشعراء*لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى *٤٤* طه* ليست واجبة وهو لم يتذكر ولم يخشى، *وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ *٣٦* غافر* ليس واجباً. قسم قيدوها وقالوا هي من الله واجبة وليست في القرآن واجبة . عسى ولعل من أفعال الترجي ويقولون *لعل* فيها معنى الإطماع والإشفاق وخاصة في *لعل* فيها الإشفاق. فهي الترجي، فقسم قالوا هي من عند الله واجبة *فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ *٥٢* المائدة *قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ *١٢٩* الأعراف*عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ *٥* التحريم* وقسم قالوا ليست واجبة حتى إذا أُسند ذلك إلى الله تعالى وإنما يذكره الله تعالى ليكون الإنسان راجياً من الله *وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

تُفْلَحُونَ *٤٥* الأنفال* أي اذكروا الله راجين الفلاح من الله حتى يبقى الإنسان خائفاً من ربه. فقسم من أصحاب التفسير قالوا ليست هي واجبة وإنما المقصود الرجاء من الله سبحانه وتعالى وتقدّر كل حالة بقدرها وليس هناك حكم مطلق بخصوص عسى ولعل. المعنى العام واضح لكن هل هو واجب؟ هذا بحسب السياق. عسى و *لعل* من الرجاء و *لعل* قالوا فيها إشفاق *لا تتأخر لعله يؤذيك* فيها إشفاق وعسى فعل ولعلّ حرف.

آية *١٠* :

* ذكر التأنيث والتذكير في القرآن المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والصابرين والصابرات والمنافقين والمنافقات وذكر الكافرين ولم يذكر الكافرات وإنما ورد الكافرين فقط؟

د. فاضل السامرائي

وردت الكوافر في القرآن *وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ *١٠* الممتحنة * الكوافر أشمل وأعم من الكافرات. الكوافر أكثر من الكافرات لأنه جمع تكسير والكافرات أقل لأنه جمع قلة ، الكافرات دخلت في الكوافر أما المؤمنين والمؤمنات فليس هناك جمع قلة وكثرة . نحن مضطرون أن نقول المنافقين والمنافقات لكنا لسنا مضطرين لقول الكافرين والكافرات. الكوافر جمع كافرة تحديداً وهو جمع تكسير جمع كثرة . جمع منافق منافقون ومنافقة منافقات، جمع ساجد ساجدون سُجّد سجود، هذه ليس فيها اختيار وهذا ما ورد في اللغة العربية . ميّت جمعها موتى وأموات وميّتون لكن مسلم جمعها مسلمون ليس عندنا اختيار. يقول العرب إن لم يكن جمع آخر فالجمع السالم

يدل على الكثرة والقلة ، هذا نص.

* تناسب فواتح سورة الممتحنة مع خواتيمها*

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ *١ * هذا أولها وفي آخرها *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ *١٣ * تتولوا يعني لا تجعلوهم أصحاب لكم وأولياء عليكم تدافعون عنهم أو تمالئونهم، *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ* لا تتخذوا أي لا تجعلوا أعداء الله أولياء لكم، لا تتولوهم، هؤلاء غضب الله عليهم، أعداء الله وأعداؤكم هؤلاء قوم غضب الله عليهم فلا تتولوهم. إذن في الأول *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ *١ * وفي الآخر *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ *١٣ * وكأن أعداء اله قوم غضب الله عليهم. *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ *١ * *قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ *١٣ * توضيح.

* تناسب خواتيم الممتحنة مع فواتح الصف*

قال في نهاية الممتحنة *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ

فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *١٢ * وفي أوائل الصف قال *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ *٣ * هذه بيعة أنتم ستقولون شيئاً، هم بايعوه على هذه الأشياء، *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *٣ * إذن عليكم أن تلتزموا بما تبايعون به وإن كانت في سياقها *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *٢* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *٣ * *إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ *٤ * لكن لاحظ ارتباطها بما قبلها المؤمنات يبايعنه على أن لا يشركن بالله شيئاً الآن تبايعون في شيء فإياكم أن لا تفعلوه. إلى أن قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ *١٣* الممتحنة *إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ *٤* الصف* لا تتولوهم وإنما تقاتلونهم. لا تتولوا قوماً يعني تجعلونهم أولياء لكم، أحبابًا تسرون إليهم بالمودة هؤلاء يستحقون الجهاد لا الولاية لا التولية .

سورة الصفّ

* تناسب خواتيم الممتحنة مع فواتح الصف*

قال في نهاية الممتحنة *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *١٢ * وفي أوائل الصف قال *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *٣ * هذه بيعة أنتم ستقولون شيئاً، هم بايعوه على هذه الأشياء،
*كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *٣ *
إذن عليكم أن تلتزموا بما تبايعون به وإن كانت في سياقها *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *٢* كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *٣* إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ *٤ * لكن لاحظ
ارتباطها بما قبلها المؤمنات يبايعنه على أن لا يشركن بالله شيئاً الآن تبايعون في شيء فإياكم أن لا تفعلوه. إلى أن قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ *١٣* الممتحنة *إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ *٤* الصف* لا تتولوهم وإنما تقاتلونهم. لا تتولوا قوماً يعني تجعلونهم أولياء لكم، أحبابًا تسرون إليهم بالمودة هؤلاء يستحقون الجهاد لا الولاية لا التولية .

* هدف السورة *

من اسمها فيها دعوة للصفّ والوحدة والتراصّ في سبيل الله وفيها آيات تدل على المزيد من الانتماء *إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ* آية ٤، وآيات تدل على العكس *يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* آية ٨ وتختم السورة بسيدنا عيسى ودعوته إلى الحواررين أن ينتموا إلى الإسلام *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ* آية ١٤، فالانتماء حتى عند سيدنا عيسى والحواريين والدين ليس محصوراً بالصلاة والصوم والعبادة وإنما هو الانتماء للدين أيضاً.

* من اللمسات البيانية فى سورة الصف*

آية *١* :

* ما دلالة استعمال *ما* في قوله تعالى *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * في سورة الصف؟ وما الفرق بين استخدام *سبّح لله* بصيغة الماضي وفي بعض السور *يسبح* بصيغة المضارع فهل هذا مقصود بذاته؟

د. فاضل السامرائي:

توجد ظاهرة في آيات التسبيح في القرآن كله. إذا كرّر *ما* فالكلام بعدها يكون على أهل الأرض. وإذا لم يكرر *ما* فالكلام ليس على أهل الآرض

وإنما على شيء آخر.

في سورة الحشر قال تعالى *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * بتكرار *ما* وجاء بعدها *هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ *٢ * وهذا في الأرض. وكذلك في سورة الصفّ *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *٢ * وفي سورة الجمعة *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *١* هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢ * وفي سورة التغابن *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١* هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢ * .

بينما في آية أخرى في سورة الحديد *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * قال تعالى بعدها *لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٢* هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *٣ * وليس الكلام هنا عن أهل الأرض وإنما هو عن الله تعالى . وكذلك في سورة النور *أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا

يَفْعَلُونَ *٤١* وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ *٤٢* *.

هذه قاعدة عامة في القرآن والتعبير القرآني مقصود قصداً فنياً. وهذا في مقام التسبيح ولم أتحقق من هذه القاعدة في غير مقام.

نلاحظ أنه كل سورة تبدأ بـ *سبّح* بالفعل الماضي لا بد أن يجري فيها ذكر للقتال في كل القرآن أي سورة تبدأ بـ *سبّح* فيها ذكر للقتال والمبدوءة بـ *يسبح* ليس فيها ذكر للقتال أبداً. سورة الصف *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ *٤ * كل التي تبدأ بـ *سبّح* لا بد أن يجري فيها ذكر القتال. هذه الآية في سورة الحديد *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * *لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١٠ * ليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ *سبح* إلا ويجري فيها ذكر للقتال وليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ *يسبح* إلا لم يذكر فيها القتال. هذا توجيه للناس في الحاضر والمستقبل أن يتركوا القتال، أن لا يقاتلوا، الذي جرى جرى في تاريخ البشرية والله تعالى حكيم فعل ما فعل ودعا الناس يفعلون ما يشاؤون، هو التوجيه للخلق، للعقلاء، للناس، للمسلمين أنه في الحال والاستقبال عليهم أن يتركوا القتال ويعيشوا حياتهم، ينصرفوا إلى التعاون وما هو أنفع وما هو أجدى وما هو خير. هو توجيه لما يقول *يسبح* المضارع يدل على الحال والاستقبال لم يذكر القتال وكأنما هو

توجيه - والله أعلم - للخلق في حاضرهم ومستقبلهم أن يتركوا القتال، أن لا يتقاتلوا فيما بينهم، أن يتفاهموا، أن يتحاوروا، أن يتحادثوا، أن تكون صدورهم رحبة ، هذا أنفع لهم من القتال، الماضي ماضي ذهب لكن *يسبح* كأنه توجيه لعباده.

الرابط بين القتال والتسبيح: التنزيه عما لا يليق والقتال لا يليق كما قالت الملائكة *قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ *٣٠* البقرة *.

د. حسام النعيمي:

القاعدة عامة ثم نعود إلى الآيات حقيقة لتثبيت هذه القاعدة العامة . هو العطف ممكن أن يكرر المعطوف عليه ويمكن أن يحذف يعني مثلاً يمكن أن تقول: يعجبني ما في إذاعتكم وفضائيتكم ويمكن أن تقول: يعجبني ما في إذاعتكم وما في فضائيتكم. لكن لو نظرت إلى الجملتين ستجد أنه في الإعادة هناك نوع من التمييز لما يقول الإنسان لشخص: ستحاسب على ما قلت وفعلت، لاحظ الجمع هما شيئان لكن ضمهما إلى بعضهما غير لما يقول: ستحاسب على ما قلت وما فعلت، ميّزهما تمييزاً. هذا قول الباري عز وجل: *سبح لله ما في السماوات والأرض* جمع الكلمتين ضمّهما إلى بعضهما لكن لما يقول *سبح لله ما في السماوات وما في الأرض* فصلها وخصصها.

لكن يبقى السؤال لِمَ جمع هنا وفصّل هاهنا؟ القاعدة هنا وهذه تنطبق حيثما وردت في كتاب الله عندما يقول *وما في الأرض* لا بد أن

سيتحدث عمن في الأرض. لمّا يقول *ما في السماوات والأرض* لا يتحدث عمن في الأرض. لمّا يذكر التمييز يبدأ يتكلم عليهم لكن لما يكون التسبيح هو مجرد تمجيد لله سبحانه وتعالى فيضم السماوات والأرض ممجدة لله سبحانه وتعالى بما فيهما.

لاحظ في سورة الصف *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * ذكر ما في الأرض *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *٢* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *٣ * يعني لا تنقطع المسألة حيثما وردت. في الجمعة الكلام على أهل الأرض.

يبقى المضارع والماضي: طبعاً الفعل الماضي لا يراد به المضي دائماً يعني مضى وانقضى ، قد يراد به المواصلة والاستمرار. عندما تُسأل ما شأن فلان؟ تقول: سكن في حارتنا أو محلتنا. سكن فعل ماض يعني هو الآن ليس ساكناً؟ كلا بل تعني والآن ما زال ساكناً. فلما يأتي *سبح لله* يعني هذه الموجودات سبّحت لله سبحانه وتعالى نزهته وقدسته لكنها هي ماضية على ذلك. عندما يكون الحديث حديث يحتاج إلى ذكر للحاضر والمستقبل *للاستمرار للحضور* يعني فيه كلام عن الحضور يستعمل المضارع *يسبح لله* . لاحظ في سورة الجمعة قال *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *١ * لكن انظر كيف قال *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢ * الكلام على الرسالة والرسالة حاضرة ومستقبلة . قال *يتلو* ما قال تلا فيسبح تنسجم

مع يتلو ويعلّم ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب. لما كان الكلام كلاماً على حاضر ومستقبل استعمل الفعل يسبح ولما كان الكلام مطلقاً استعمل الفعل الثابت سبّح. فيها كلام كثير لكن لا تريد أن نطيل الإجابة .

* ما الفرق بين *ما* و *من* في الاستخدام اللغوي؟

د. فاضل السامرائي

في اللغة تستعمل *ما* لذوات غير العاقل ولصفات العقلاء *وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ *٢٩* طه* ماذا في يمينه؟ عصاه، *تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا* لذات غير العاقل ولصفات العقلاء. تقول من هذا؟ هذا فلان، تسأل ما هو؟ تسأل عن صفته فيقال مثلاً هو تاجر، *من هو؟* تسأل عن ذاته. *ما* هي تستعمل لأمرين: لذات غير العاقل ولصفات العقلاء *فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء *٣* النساء* عاقل وربنا سبحانه وتعالى يستخدمها لنفسه كما جاء في سورة الشمس *وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *٧ * يتكلم عن نفسه سبحانه. *ما* تقع على صفات أولي العلم جميعاً حتى قسم من النُحاة أدق لا يقولون العقل لأن الله تعالى لا يوصف بالعقل ولا يصق نفسه أنه العاقل وإنما العالِم، فيقول النحاة لذوي العلم وذوات غير العاقل. في سورة الليل قال تعالى *وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى *٣ * من الخالق؟ الله سبحانه وتعالى ، في سورة الكافرون *وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *٣ * ما أعبد هو الله تعالى ، *وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ *٤ * الأصنام غير عاقلة و *ما* تستعمل لذوات غير العاقل وتستعمل لصفات العقلاء.

من* إذا إنفردت تكون لذوات العقلاء تحديداً، قد تستعمل في مواطن تخرج عن هذا الأمر مثلاً أنت تُنزِلاً غير العاقل منزلة العاقل، تتكلم مع حصانك يقولون لك: من تُكلِّم؟ تقول: أكلّم من يفهمني، من يحفظني، هذا تجوّز. في الأصل أن *من* لذات غير العاقل وأحياناً يشترط العاقل مع غير العاقل فتطلق عليهم *من* فيصير تفصيل *وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٤٥* النور* من يمشي على بطنه غير العاقل، من يمشي على رجلين الإنسان، اجتمعت في عموم فصّل بـ *من* لها مواطن. أما إذا انفردت فلا تكون إلا للعاقل *أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ *١٤* الملك* لذي العِلم.

* ما دلالة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله *سبح لله ما في السماوات وما فى الأرض* ؟

د. فاضل السامرائي

التقديم حسب الاهتمام في البلاغة ، يتقدم المفعول على الفاعل لأغراض بلاغية .

* لماذا قدم السماوات على الأرض؟

د. فاضل السامرائي

أولاً من الذين كان يسبح سابقاً أهل السماء أو أهل الأرض؟ أهل السماء لأن أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، قبل أن خلق آدم فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، بمن هو أدوم تسبيحاً *يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا

يَفْتُرُونَ *٢٠* الأنبياء*فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ *٣٨* فصلت* فبدأ بأهل السماء لأنهم أسبق في التسبيح قبل خلق آدم ولأنهم أدوم تسبيحاً، أدوم في هذه العبادة .

آية *٦* :

* د. أحمد الكبيسي:

النبي صلى الله عليه وسلم آخر ما قال *أوصيكم بذمةٍ محمدٍ خيراً* والقرآن الكريم وفق بين الديانات الثلاثة ووحدها *وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ {٦} الصف* من فضل الله ٩٩ وتسعة أعشار من هذه الأمة تؤمن بهذا أن سيدنا موسى وسيدنا عيسى وسيدنا محمد هم ثلاثة مراحل لدين واحد الذين يؤمنون بهذا الذي نؤمن به قِلّة من أهل الكتاب *فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا* الذين اهتدوا من أهل الكتاب وآمنوا بجميع الرسل *لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ {٢٨٥} البقرة * قِلّة .

آية *٧* :

* ما دلالة استخدام كلمة *الكذب* معرّفة في سورة الصف وقد وردت نكرة في مواضع أخرى؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة الصفّ *وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {٧} * . التعريف في النحو هو ما دلّ على شيء معيّن *إزالة الإشتراك عن الشيء* أما التنكير فهو عام. في الآيات القرآنية التي وردت كلمة *الكذب* فيها بالتعريف هي آيات خاصة بأمر معين أما التي وردت فيها كلمة *كذب* بالتنكير فهي تتعلق بأمر عام. مثال في استخدام كلمة *الكذب* بالتعريف في القرآن قوله تعالى في سورة آل عمران *كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {٩٣} فَمَنِ افْتَرَى َ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {٩٤} * الكذب هنا متعلق بالمسألة في الآية أما في قوله تعالى في سورة الكهف *هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً {١٥} * ليس هناك أمر خاص وإنما هو أمر عام لذا جاءت كلمة *كذب* بالتنكير.

آية *٨* :

* ما سبب الاختلاف بين الآيتين *يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ *٣٢* التوبة * و *يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ *٨* الصف*؟

د. حسام النعيمي:

القرآن يحتاج إلى تدبر أي إلى نظر إثر نظر وكلما تدبر انشكفت له أمور ما كان يعرفها من قبل.

ننظر في ما قبل هاتين الآيتين *لا ينبغي أن نفهم

شيئاً منعزلاً عن السياق فالسيقا مهم لأنه لما تقتطع آية من سياقها تُفهم في غير وجهها وهذا حتى ينقطع الطريق على الذين يحمّلون ألفاظ القرآن الكريم ما لا تحتمله لما يقطعها لذلك لا بد أن تؤخذ حتى يكون الفهم الكامل وهذا دليل ترابط الآيات مع أن كل منها نزلت في وقت والرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: ضعوا هذه هنا وضعوا هذه هنا وهذا توقيفي بوحي من الله تعالى وليس بفعل منه لأن هذا كلام الله عز وجل.

ويمكن أن يستفيد الانسان من سبب النزول في فهم الآية لكن نحن قلناً أنه في الغالب ما صح من أسباب النزول في الأحاديث الصحيحة قليل وكثير منها ما صح وكذلك في فضائل السور وللعلماء فيها كلام. لكن سبب النزول قد ينفع في فهم الآية داخل السياق والأصل أن يؤخذ النص داخل سياقه.

الآية الأولى التي هي في سورة التوبة هي في الكلام على اليهود والنصارى *يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ *٣٢* التوبة * والآية الأخرى أيضاً في الكلام عليهم، على اليهود والنصارى . لكن آيات سورة التوبة تتعلق وتتحدث عن تحريفهم لكتبهم أفعالهم هم. فلما تحدث عن تحريفهم لكتبهم لا يحتاج ذلك إلى تأكيد لأنه معلوم لدى المسلمين أنهم حرّفوا وغيّروا، وهم أيضاً يعلمون أنهم حرفوا وغيروا فلم يستعمل أساليب التوكيد هنا لكن لما جاء في الكلام عنهم في حربهم للرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي إنكار نبوته مع أنه موجود عندهم وتحمسهم لمحاربة الإسلام

كأنهم هم يؤكدون إطفاء نور الله استعمل التأكيد وفي الرد عليهم استعمل الصيغة الثابتة . نوضح ذلك:

آيات التوبة *وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ *٣٠* اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ *٣١ * إتخاذ الأحبار والرهبان من دون الله وذكرنا سابقاً قصة عدي بن حاتم الطائي الذي كان يتصور أن العبادة هي بمعناه اللغوي فجاء في الحديث عن عدي بن حاتم الذي قال فيه للرسول - صلى الله عليه وسلم - : يا محمد إنهم لم يعبدوهم كيف تقول *اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ* ؟ فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يبيّن له مفهوم العبادة في الإسلام فقال بلى أحلّوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتّبعوهم فذلك عبادتهم إياهم. عندنا مصطلحات صار لها مفهوم آخر في الإسلام الصلاة في الإسلام لها معنى غير معناها اللغوي والزكاة معناها النمو لكن في الإسلام لها مفهومها الخاص فلما قال هم لا يعبدوهم قال - صلى الله عليه وسلم - بلى أحلّوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتّبعوهم فذلك عبادتهم إياهم. هذا التحريف إذن كان في منهجهم هم فلما كان التحريف في منهجهم هذا نوع من محاولة إطفاء نور الله أي دين الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره بإرسال محمد - صلى الله عليه وسلم - بقوله *هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ *٣٣ * فلما يظهر على جميع الأديان الأخرى وهو الدين الصادق الصحيح النقي عند ذلك لفظهم بأفواههم لا يجدي نفعاً فما كان هناك حاجة إلى توكيد.

أما في سورة الصف *وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ *٦* وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *٧ * غيروا ما في كتبهم، كذبوا، *يريدون ليطفئوا* فيه نوع من الإصرار من قبلهم للإطفاء كأنما يريدون بفعلهم هذا أن يصلوا إلى إطفاء نور الله، إلى حجب الإسلام ففيها نوع من التأكيد. *يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* استعمل اسم الفاعل والاسم أثبت وآكد من الفعل فناسب هذا التأكيد، لما جاء باللام جاء بكلمة *متم نوره* . في المغرب يقرأون متمٌ نوره فإذن عندنا قراءتان: متمُ نوره قرأها ابن كثير وحمزة والكسائي عن عاصم وشعبة قرأها متمٌ نوره، معناه مكة وقبائل الكوفة قرأت متمُ نوره، المدينة والبصرة الشام وبعض قبائل الكوفة *شعبة عن عاصم* قرأوا متمٌ نوره. عندما يقول متمُ نوره بمعنى أن الأمر وقع. بعض النحويين أراد أن يبين حاجة الفقه إلى النحو، سأل أحدهم إذا قال لك فلان أنا قاتلُ زيد أو قال لك أنا قاتلٌ زيد فماذا تقول؟ قال في الحالين آخذ به فهو اعتراف بالقتل، قال لا إذا قال أنا قاتلُ يعترف على نفسه بالقتل لكن لو قال أنا قاتلٌ زيد فهذا تهديد بالقتل أنه سيفعل ذلك في

المستقبل. متمُ نوره إشارة إلى وقوعه ووقوع بداياته بإرسال الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومتمٌ نوره إشارة إلى استمرار نزول الآيات على الرسول - صلى الله عليه وسلم - في المستقبل أي لم يتوقف الوحي.

في الجمع بين القراءتين معناه أنه تعالى بدأ في إتمام نوره وهو ماضٍ في هذا الاتمام مدة حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - حاضراً ومستقبلاً فجمعت القراءتان الصورتين لذا نقول نحاول أن نجمع بين القراءتين.

د. أحمد الكبيسي:

الفرق بين هذا وذاك: عندما يأتي الفعل يريد وبعده أن وفعل آخر هذا إعلان الإرادة أريد أن أعلمك فقط أعلن نيتي أنا ما علمتك بعد، عندما أريد أن أعلمك أريد أن أعاقبك أريد أن أجزيك كل هذا إعلان للفعل أنا سأفعل هذا هذا وعدٌ سواء كان وعداً أو تهديداً أو تكريماً أو ما شاكل ذلك أريد أن أفعل كذا. إذا أقول أريد لأفعل كذا باللام المضمرة معناها إني قد اتخذت الأسباب وباشرت الفعل لما أقول أريد أن أعلمك هذا بعد ما بدأنا وعد أريد لأعلمك يعني أنا أحضرت الدفاتر والأوراق والكتب وفرشتها تعال اجلس، قلت ماذا تريد مني؟ أريد أن أعلمك أريد لأعلمك هذا في كل الآيات.

آية *١٢* :

* يختم الله تعالى هذه الآية بقوله *ذلك الفوز العظيم* وفي آية أخرى يقول *ذلك هو الفوز العظيم* فما دلالة الاختلاف؟

د. فاضل السامرائي

ذلك هو الفوز العظيم عرّف الفوز وجاء بضمير الفصل *هو*وضمير الفصل يقع بين المبتدأ والخبر أو ما أصله مبتدأ وخبر أي اسم أن وخبرها واسم كان وخبرها بين المفعولين حتى يفصل بين الخبر والنعت أو الصفة * ، هذا هو ضمير الفصل وفائدته التوكيد والحصر. فلما يقول *ذلك هو الفوز العظيم* يعني ليس هناك فوز آخر وما عداه هو الخسران. ما قال ذلك فوز عظيم لأن معناه قد يكون هناك فوز آخر محتمل. هذا ربح وليس معناه أنه ليس هناك ربح آخر، هذا نجاح وليس معناه أنه ليس هناك نجاح آخر. فلما قال *ذلك هو الفوز العظيم* تحديداً أي ليس هناك فوز آخر وما عداه خسران. وجاء بـ *هو* زيادة في التوكيد والحصر. ويقول في آيات أخرى *ذلك الفوز العظيم* هذه فيها حصر وأحياناً تأتي بؤكد واحد أو مؤكدين تكون أقوى. في نفس السؤال نضرب مثلاً في قوله تعالى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *١٠* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ *١١* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *١٢* الصفّ* ما قال *هو* ، قال *تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله* ، ثم ذكر يغفر لكم ذنوبكم ويدخلهم جنات، طلب منهم الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات.

وقال تعالى في آية أخرى *إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ

فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *١١١* التوبة * في الآية الأولى قال تؤمنون بالله، يعني طلب منهم الإيمان بالله والاستمرار عليه وهنا قال اشترى من المؤمنين فوصفهم بالإيمان. هناك طلب منهم أن يجاهدوا في سبيل الله *تجاهدون في سبيل الله* عندهم الأموال والأنفس يجاهدون فيها لكن في الثانية باع واشترى ولم يبقى عندهم مال ولا أنفس *فاستبشروا ببيعكم* .هناك جهاد وهنا يقاتلون والجهاد ليس بالضرورة من القتال فالدعوة جهاد *وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا *٥٢* الفرقان* أما القتال حرب *فيقتلون ويُقتلون* وهذا أقوى الجهاد. أي تضحية أكبر من أن يدفع الواحد نفسه فلا يبقى عنده مال ولا نفس؟ هذه أكبر ولذلك في الآية الأولى قال *ويدخلكم جنات* لما أدخلهم جنات هل بالضرورة أنها صارت مُلكهم؟ في الثانية قال *بأن لهم الجنة * كأنهم اشتروا الجنة فصارت تمليكاً لهم كأن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنة ، هذا تمليك أما في الآية الأولى فليس فيها تمليك فالإدخال ليس بالضرورة أن يكون تمليكاً، الثانية بيع وشراء هذا هو الفوز الأعظم ولذلك قال فيها *ذلك هو الفوز العظيم* .

آية *١٤* :

* في سورة الصف *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ *١٤ * وفي آل عمران تكررت الآية *فَلَمَّا أَحَسَّ

عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ *٥٢ * عيسى ينسب النصرة إليه وهم يقولون نحن أنصار الله مباشرة فما دلالة هذا؟

د. فاضل السامرائي

أولاً ما معنى *مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ* ؟ هذا التعبير يحتمل معنيين الأول أنا أنصر الله *إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ *٧* محمد* ينصر دينكم، فمن يكون معي في نصرة دين الله؟ أنا أنصر حتى أنتهي إلى الله، حتى أفضي إلى ربي حتى نصل إلى ربنا. فمن يكون معي في نصرة الله *إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ* ؟ أنا أنصر الله أنصر دينه فمن يكون معي في ذلك؟ هذا شكل والشكل الثاني إن الله ينصرني في هذا الأمر فمن يكون معي في نصرة الله إياي؟ ينصرني يعني يؤيدني فمن يكون معي في هذا الأمر؟ وهذه يعبر عنها بـ *مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ* يعني أنا سأفعل وينصرني الله بشكل ما فمن يكون معي في ذلك؟، أنا أنصره وهو ينصرني فمن يكون معي؟ هذا السؤال يحتمل المعنيين وقد ذكرهما المفسرون والآية تستوعب المعنيين.

ومن ينصر دين الله ينصره الله هي متلازمة وفي الحالتين يجمعهما قوله تعالى *إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ* ولذلك الأمران مطلوبان والمعنيين ذكرهما المفسرون لأن *إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ* فيها المعنيين من يكون نصيراً معي لدين الله والله ينصره؟ نصر الله له صور كثيرة وليس له صورة واحدة ، التثبيت هو نوع من النصر وكون الإنسان ثابتاً على دينه والفتنة لا تضره هذا نصر. إذن هذان المعنيان هما مما

يجمعهما قوله تعالى *إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ* .
يبقى السؤال لماذا قال نحن أنصار الله؟ ولم يقل نحن أنصارك إلى الله؟ هم للإعلام بأنهم سينصرونه وإن لم يكن معهم حتى لو مات أو قتل لأنهم لو قالوا نحن أنصارك إلى الله سيتعلق التصر بوجوده إذا كان معهم *أنصارك* فإذا أفضى انفضوا، نحن أنصارك انتهى ما بينهما، نحن أنصار فلان فإذا ذهب انتهى الأمر. قالوا *نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ* يعني سنكون سواء كنت معنا أو لم تكن معنا على الإطلاق. لو قالوا نحن أنصارك إلى الله معناه أن النصرة ستنقطع بعد ذهابه لكن لما قالوا نحن أنصار الله النصرة لا تنقطع حتى بعد ذهابه. حتى هو لم يقل من أنصار الله؟ وإنما قال *مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ* لأنه لو قال من أنصار الله؟ لادّعى كل واحد أنه أنصار الله وحتى اليهود تقول نحن أنصاره. إذن هو يريد نصرة الله عن طريق الدين الذي جاء به فهو مكلف ورسول ولم يرد أن يعمم السؤال وإلا لقال كل واحد نحن أنصار الله من وجهة نظرهم. إذن السؤال *مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ* ولم يقل من أنصار الله؟ السؤال فيه نظر والإجابة فيها نظر أيضاً. والإجابة *نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ* لم يقولوا نحن أنصارك يعني هو ما يسأل من أنصار الله؟ لأنه سيجيب كثيرون وسيدّعون أنهم أنصار الله وإن لم يكونوا من أتباعه.

الكل أنصار الله والإجابة لم تكن نحن أنصارك إلى الله حتى لا تكون متعلقة به وإنما بالله مباشرة حتى لو ذهب وهذا يعلم صدقهم من خلال هذا الكلام فهم فعلاً صادقون ولم يربطوا الإجابة به شخصياً وإنما بأصل الرسالة وأصل الدعوة .

هل قالوا فعلاً هذا الكلام؟

هم قالوا مدلول هذا الكلام لأن ربنا سبحانه وتعالى حتى لو كان بغير لسان العرب يترجم أدق الترجمة لكن بأسلوب معجز، أدق الترجمة وينقل المعاني أدقهل لكن بأسلوب معجز. هم لم يتكلموا العربية فربنا نقل عنهم معنى الكلام تماماً بأسلوبه المعجز كما قالوا وبالتالي حينما نقل عن فرعون نقل الكلام الذي يريده فرعون لكن بأسلوب معجز وتعبير أدبي. أنا قرأت ترجمات لشاعر مترجمين مختلفين هي المعاني واحدة لكن لكل مترجم أسلوب مختلف بحسب ما أوتي من قوة بيان قصص نقرأها مترجمة لكن المترجم يعطيها وإن كانت الأحداث هي واحدة لكن كيف تصاغ وكيف تنقل؟ هذا ما حدث بالفعل لكن الله تعالى نقله لنا بأسلوب معجز.

* تناسب فواتح سورة الصف مع خواتيمها*

بدايتها *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *٢* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *٣* إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ *٤* وفي أواخرها *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *١٠* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *١١* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *١٢* وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ *١٣* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ*. كونوا أنصار الله، إن الله يحب من يقاتلون في سبيله صفاً، وجههم إلى الجهاد

وقال كونوا أنصار الله.

* تناسب خواتيم الصف مع فواتح الجمعة *

السورتان الحادية والستون والثانية والستون الصف والجمعة . ربنا تعالى في نهاية الصف قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ *١٤ * هذا تعليم، وماذا قال في بداية الجمعة ؟ قال *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢ * هذا تعليم، فقال ويعلمهم الكتاب والحكمة . في الجمعة ذكر الذين هادوا وفي الصف الذين آمنوا فقال في آخر الصف قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *١٠ * وفي الجمعة قال *قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *٦* وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ *٧ * الذين هادوا لا يتمنون الموت والمؤمنون يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فصارت مقارنة بين هؤلاء وهؤلاء.

ليس هذا فقط وإنما ذمّ بني إسرائيل في السورتين الصف والجمعة ، قال في الصف *وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *٥ * وفي الجمعة قال *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا

كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *٥ *
فهنالك تناسب بينهم.

سورة الجمعة

* تناسب خواتيم الصف مع فواتح الجمعة *

السورتان الحادية والستون والثانية والستون الصف والجمعة . ربنا تعالى في نهاية الصف قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ *١٤ * هذا تعليم، وماذا قال في بداية الجمعة ؟ قال *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢ * هذا تعليم، فقال ويعلمهم الكتاب والحكمة . في الجمعة ذكر الذين هادوا وفي الصف الذين آمنوا فقال في آخر الصف قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *١٠ * وفي الجمعة قال *قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *٦* وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ *٧ * الذين هادوا لا يتمنون الموت والمؤمنون يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فصارت مقارنة بين هؤلاء وهؤلاء.

ليس هذا فقط وإنما ذمّ بني إسرائيل في السورتين الصف والجمعة ، قال في الصف *وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ

أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *٥ * وفي الجمعة قال *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *٥ * فهنالك تناسب بينهم.

* هدف السورة *

رمز الوحدة والانتماء والوحدة بين المؤمنين وبعضهم واجتماع المؤمنين. والسورة حددت أهداف صلاة الجمعة *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* آية ٢ يتلوا آياته، يزكيهم، يعلمهم الكتاب والحكمة ، هذه الأهداف التي يجب أن تكون عليها صلاة الجمعة فهل تؤدي الصلاة الآن الهدف بالتزكية والوحدة والإجتماع؟ الجمعة هو يوم وحدة الأمة ويوم تذكرة الأمة وهذا من ضمن الانتماء للإسلام *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* آية ٩ وقد جاء في السورة ذكر اليهود الذين لم ينتموا *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ* آية ٥.

* من اللمسات البيانية فى سورة الجمعة *

آية *١* :

سبّح لله بصيغة الماضي وفي بعض السور *يسبح* بصيغة المضارع فهل هذا مقصود

بذاته؟

د. فاضل السامرائي

نلاحظ أنه كل سورة تبدأ بـ *سبّح* بالفعل الماضي لا بد أن يجري فيها ذكر للقتال في كل القرآن أي سورة تبدأ بـ *سبّح* فيها ذكر للقتال والمبدوءة بـ *يسبح* ليس فيها ذكر للقتال أبداً. سورة الصف *٤* كل التي تبدأ بـ *سبّح* لا بد أن يجري فيها ذكر القتال. في سورة الحديد *١٠* ليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ *سبح* إلا ويجري فيها ذكر للقتال وليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ *يسبح* إلا لم يذكر فيها القتال. هذا توجيه للناس في الحاضر والمستقبل أن يتركوا القتال، أن لا يقاتلوا، الذي جرى جرى في تاريخ البشرية والله تعالى حكيم فعل ما فعل ودعا الناس يفعلون ما يشاؤون، هو التوجيه للخلق، للعقلاء، للناس، للمسلمين أنه في الحال والاستقبال عليهم أن يتركوا القتال ويعيشوا حياتهم، ينصرفوا إلى التعاون وما هو أنفع وما هو أجدى وما هو خير. هو توجيه لما يقول *يسبح* المضارع يدل على الحال والاستقبال لم يذكر القتال وكأنما هو توجيه - والله أعلم - للخلق في حاضرهم ومستقبلهم أن يتركوا القتال، أن لا يتقاتلوا فيما بينهم، أن يتفاهموا، أن يتحاوروا، أن يتحادثوا، أن تكون صدورهم رحبة ، هذا أنفع لهم من القتال، الماضي ماضي ذهب لكن *يسبح* كأنه توجيه لعباده.

الرابط بين القتال والتسبيح: التنزيه عما لا يليق والقتال لا يليق كما قالت الملائكة *قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ *٣٠* البقرة *.

* ما دلالة استعمال *ما* في قوله تعالى *يسبح لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ *١ * في سورة الجمعة ؟

د. فاضل السامرائي

توجد ظاهرة في آيات التسبيح في القرآن كله. إذا كرّر *ما* فالكلام بعدها يكون على أهل الأرض. وإذا لم يكرر *ما* فالكلام ليس على أهل الآرض وإنما على شيء آخر. في سورة الحشر وكذلك في سورة الصفّ وفي سورة الجمعة *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *١* هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢ * وفي سورة التغابن.

هذه قاعدة عامة في القرآن والتعبير القرآني مقصود قصداً فنياً. وهذا في مقام التسبيح ولم أتحقق من هذه القاعدة في غير مقام.

* لماذا قدم السماوات على الأرض؟

د. فاضل السامرائي

أولاً من الذين كان يسبح سابقاً أهل السماء أو أهل الأرض؟ أهل السماء لأن أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، قبل أن خلق آدم فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، بمن هو أدوم تسبيحاً *يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ *٢٠* الأنبياء*فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ *٣٨* فصلت* فبدأ بأهل السماء لأنهم أسبق في التسبيح قبل خلق آدم ولأنهم أدوم

تسبيحاً، أدوم في هذه العبادة .

آية *٢* :

* ما الفرق بين البعث والإرسال؟

د. فاضل السامرائي

بعث فيه معنى الإرسال تقول بعثت شخصاً فيه معنى الإرسال لكن في بعث أيضاً معاني غير الإرسال. الإرسال أن ترسل رسولاً تحمّله رسالة لطرف آخر. البعث قد يكون فيه إرسال وفيه معاني أخرى غير الإرسال أي فيه إرسال وزيادة . تبعث بارِك أي الجمل، تبعث الموتى ليس بمعنى إرسال ولكن يقيمهم، فيه إثارة وإقامتهم *إن للفتنة بعثات* أي إثارات، فيها تهييج. *وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا *٢٤٧* البقرة * أي أقامه منكم. ولذلك عموماً أن البعث يستعمل فيما هو أشد. نضرب مثالاً: *ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ *٧٥* يونس*ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ *٤٥* إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ *٤٦* المؤمنون* نفس الدلالة لكن هذه في يونس والأخرى في المؤمنون. لو قرأنا ماذا في يونس وفي المؤمنون نجد في يونس كانت محاجة شديدة بين موسى وفرعون وإيذاء لبني إسرائيل *٧٧*٧٨ * ثم موسى دعا على فرعون *٨٨* هذا كله في يونس دعا عليهم. أما في المؤمنون فهي عبارة عن آيتين فقط *٤٥* - *٤٨* انتهت القصة في المؤمنون بينما في يونس كلام طويل وفيه قوة ودعاء عليهم فقال بعثنا

وفي المؤمنون قال أرسلنا.

حتى لما يتكلم عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ *٢* الجمعة *هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ *٣٣* التوبة * لم يذكر شيئاً آخر الله تعالى يظهر على الدين كله، *هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا *٢٨* الفتح* انتهت، *هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ *٩* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *١٠* الصف* أما *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ *٢* الجمعة * فيها عمل للرسول - صلى الله عليه وسلم - . فالبعث هو أشد وفيه حركة أما الإرسال فلا، فالبعث هو الإرسال وزيادة ولهذا قال تعالى *فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً *٥* الإسراء ** فيه قوة وقسوة وعمل.

* ما الفرق بين *رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ *١٢٩* البقرة * - *لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ *١٦٤* آل عمران* - *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢* الجمعة *؟

د. أحمد الكبيسي

* هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ* فقط كونه منهم بغض النظر عن أن هذه منهم لا تعطي إيحاء بميزة أو عدم ميزة . حينئذٍ هذا قال *بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ* . لكن هذه الآية التي تخاطب المسلمين الأوائل وهم أهل النبي وخاصته وعشيرته وقبيلته قال *لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ* من أنفسهم يعني من خيارهم من أفضلهم معروف لديهم حسباً ونسباً وأخلاقاً واحتراماً وهذه من ميزات المصطفى صلى الله عليه وسلم كثيرٌ من الرسل كانوا مجهولين لشعوبهم يعني كما قال تعالى عن سيدنا موسى عليه السلام وهو من هو كما تعرفون فضلاً من أولي العزم يعني ما بعد النبي إلا موسى وحينئذٍ قال *أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا *١٨* الشعراء* كيف تكون أنت نبي؟ النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن هنالك أحد يستطيع أن يقول له هذا الكلام وإنما يقول له أنت فلان بن فلان بن فلان محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب إلى نهاية *ولم أزل خياراً من خيار* هذا النسب الرصين والمقام الرفيع إلى حد أنهم احتكموا إليه في أقدس عباداتهم في وضع الحجر الأسود في مكانه لم يجدوا طريقة يفعلون بها بحيث تسوي بين القبائل إلا أن هذه القبائل جميعاً وهذه البيوتات جميعاً الشرسة فيما بينها اتفقوا على الأمين على محمد الأمين لكي يرفع الحجر وتعرفون هذا ونحن لا نشرح السيرة فهي معروفة

فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام وبعد الإسلام هو وأسرته ونسبه وقبيلته وأخلاقه وسمعته معروفة لهذا قال *مِّنْ أَنفُسِهِمْ* .

كلمة *من أنفسهم* على خلاف *بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ* العرب كلهم لهم شأن آخر، الكلام في البيئة والمجتمع والمدينة والقبيلة التي نزل فيها هذا الدين هو من أنفَسهم - بفتح الفاء - ومن أنفُسهم - بضم الفاء - وكونه من أنفسهم - بضم الفاء - فإنه أيضاً من أنفسهم - بفتح الفاء - هذا الفرق بين *بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ* لأن هناك أنت لا تفرض نفسك على بقية الناس العرب لهم شأنهم قبائل وناس والخ هذه الأميين. لكن في المؤمنين الأوائل وهم محيط مكة والمدينة لا يناقش ولا يجادل أحد في هذا *مِّنْ أَنفُسِهِمْ* من هنا جاء النص على كلمة من أنفسهم للمسلمين الأوائل الذين هم يعرفون من هو محمد صلى الله عليه وسلم.والمنّة ولهذا قال *لَقَدْ مَنَّ* المنة الهدية التي لا يستطيع أحد أن يقدمها لك إلا هذا المُهدي بالذات يعني شخص عينوه رئيس وزراء هذا ما يفعله إلا رئيس الدولة يعني هذه منّة رئيس الدولة على شخص يختاره من شعبه. وحينئذٍ كل رؤوساء الوزراء في العالم الذين أتى بهم الملك أو رئيس الجمهورية ولا يستطيع أحد أن يعينه إلا هذا فهذه منة . فرب العالمين يقول *قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ *١٧* الحجرات* من الذي يمكن أن يفعل هذا إلا الله؟! لا يوجد فقط رب العالمين ولهذا سماها منة . هنا أيضاً من الذي يمن عليك حتى يبعث لك رسولاً من أنفس وأنفس قومك بحيث لا يناقش أحد لا في أخلاقه والله لو وجدوا

في أخلاقه ذرة شعرة حتى شيء لفضحوا النبي صلى الله عليه وسلم وما آمنوا به لكن من أين يؤتى ؟ فكله مكارم وكله أصلٌ وكله أخلاق.

من أجل هذا لم يجد كفار المشركين ثلمة يأتوا منها النبي صلى الله عليه وسلم قال *بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ* ولكن من المؤمنين من *مِّنْ أَنفُسِهِمْ* وهم القاعدة الأولى الرصينة التي بُني عليها هذا الدين بعد ذلك وقاموا به إلى العالم أجمع. هذا الفرق بين *بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ* وبين *بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ* ولهذا قال صلى الله عليه وسلم *سلمان منا أهل البيت* ما قال من أنفسنا، الكل يعرف أن سلمان رجل فارسي وليس عربياً وما كان هو من أفضلهم لكن *منا* من حيث أنه صار واحداً من آل البيت دخل بآل البيت لكن لا يعني أنه من أنفُسهم يعني أفضل واحد في آل البيت سيدنا علي وفاطمة وأولادهما أفضل وأكرم وأعلى مقاماً من آل البيت هؤلاء الناس لو قال سلمان من أنفسنا لكان سلمان أفضل من علي وهذا لا يمكن إذن صار قال سلمان منا آل البيت. ولهذا قال عن فاطمة *فاطمة بضعة مني* ما قال مني جزء هذا أعلى من أنفسنا أيضاً. يعني كلمة بضعة مني أكثر لو أنه قال فاطمة من نفسي، بضعة جزء مني وليس من نفسي جزء مني قطعة لحمة من جزئي.

آية *٥* :

* ما دلالة بناء الفعل للمجهول في قوله تعالى *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا* ؟
*د. فاضل السامرائي *في سؤال عن الفرق بين *أوتوا الكتاب* و *آتيناهم الكتاب * ؟

القرآن الكريم يستعمل أوتوا الكتاب في مقام الذم ويستعمل آتيناهم الكتاب في مقام المدح. هذا خط عام في القرآن على كثرة ما ورد من أوتوا الكتاب وآتيناهم الكتاب. القرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات وإن لم تجري في سنن العربية . أوتوا في العربية لا تأتي في مقام الذم وإنما هذا خاص بالقرآن الكريم. عموماً رب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه *آتيناهم الكتاب* لما كان فيه ثناء وخير نسب الإيتاء إلى نفسه، أوتوا فيها ذم فنسبه للمجهول *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا *٥* الجمعة *وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ *١٤* الشورى*، أما قوله تعالى *ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا *٣٢* فاطر* هذا مدح.

آية *١١* :

* لم قدمت التجارة على اللهو أولاً فقال: *وإذا رأوا تجارة أو لهواً* وأخرها عنه بعد فقال: *خير من اللهو ومن التجارة * فى قوله تعالى: *وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين* [الجمعة] ؟ *من موقع موسوعة الإعجاز*

والجواب والله أعلم أن سبب تقديم التجارة على اللهو في قوله: *وإذا رأوا تجارة أو لهواً* أنها كانت سبب الانفضاض ذلك أنه قدمت عير المدينة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، وكان من عرقهم أن يدخل بالطبل والدفوف والمعازف عمد قدومها فانفض الناس

إليها ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً فأنزل الله قوله: *وإذا رأوا تجارة ... *

فقدمها لأنها كانت سبب الانفضاض وليس اللهو، وإنما كان اللهو والضرب بالدفوف بسببها فقدمها لذلك. ولهذا أفرد الضمير في *إليها* ولم يقل *إليهما* لأنهم في الحقيقة إنما انفضوا إلى التجارة وكان قد مسهم شيء من غلاء الأسعار.

وأما تقديم اللهو عليها فيما بعد في قوله: *قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة * فذلك لأن اللهو أعم من التجارة ، فليس كل الناس يشتغلون في التجارة ولكن أكثرهم يلهون. فالفقراء والأغنياء يلهون، فكان اللهو أعم فقدمه لذلك إذ كان حكماً عاماً فقدم التجارة في الحكم الخاص لأنها في حادثة معينة وقدم اللهو في الحكم العام لأنه أعم. ولأنها مناسبة لقوله:

والله خير الرازقين فالتجارة من أسباب الرزق وليس اللهو فوضعها بجنبه ولأن العادة أنك إذا فاضلت بين أمور فإنك تبدأ بالأدنى ، ثم تترقى فتقول: *فلان خير من فلان ومن فلان أيضاً* ، وذلك كأن تقول: *البحتري أفضل من أبي فراس، ومن أبي تمام ومن المتنبي أيضاً* ، فإنك إذا بدأت بالأفضل انتفت الحاجة إلى ذكر من هو أدنى ، فبدأ باللهو لأنه ظاهر المذمة ثم ترقى إلى التجارة التي فيها كسب ومنفعة .

وكرر *من* مع اللهو ومع التجارة فقال: *خير من اللهو ومن التجارة * ليؤذن باستقلال الأفضلية لكل واحد منهما لئلا يتصور أن الذم إنما هو لاجتماع التجارة واللهو، فإن انفراد اللهو أو التجارة خرج من الذم، فأراد أن يبين ذم كل منهما على جهة

الاستقلال لئلا يتهاون في تقديم ما يرضي الله و تفضيله. ونحو ذلك، أن تقول: *الأناة خير من التهور والعجلة * فإن ذلك قد يفهم أنها خير من اجتماعهما، ذلك لأن اجتماعهما أسوأ من انفرادهما فإن الذي يجمع التهور والعجلة أسوأ من اتصف بإحدى الخلتين. فإن قلت: *الأناة خير من التهور ومن العجلة * أفاد استقلال كل صفة عن الأخرى ، وأنها خير من أية صفة منهما، فإن اجتمعتا كان ذلك أسوأ. فجاء بـ *من* ليؤذن باستقلال كل من اللهو والتجارة وأنه ليس المقصود ذم الجميع بين الأمرين بل ذم وتنقيص كل واحد منهما، بالنسبة إلى ما عند الله.

جاء في *روح المعاني* : "واختار ضمير التجارة دون اللهو، لأنها الأهم المقصود، فإن المراد ما استقبلوا به العير من الدف ونحوه. أو لأن الانفضاض للتجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذموماً، فما ظنك بالانفضاض إلى اللهو وهو مذموم في نفسه."

*خير من اللهو ومن التجارة * وتقديم اللهو ليس من تقديم العدم على الملكة كما توهم، بل لأنه أقوى مذمة فناسب تقديمه في مقام الذم. وقال ابن عطية : قدمت التجارة على اللهو في الرؤية لأنها أهم وأخرت مع التفضيل، لتقع النفس أولاً على الأبين.

وقال الطيبي: قدم ما كان مؤخراً وكرر الجار، لإرادة الإطلاق في كل واحد واستقلاله فيما قصد منه، ليخالف السابق في اتحاد المعنى ، لأن ذلك في قصة مخصوصة .

* ما اللمسة البيانية في قوله تعالى في سورة

الجمعة *وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {١١} * و ما دلالة تقديم التجارة واللهو مرة وتأخيرها مرة أخرى ؟

د. فاضل السامرائي

هذه حادثة واقعة جاءت عير المدينة فكان في يوم الجمعة والرسول - صلى الله عليه وسلم - يخطب والتجارة كان يُضرَب لها بالدفوف إشعاراً بمجيئها فانفض معظم الناس وتركوا الخطبة وتركوا الصلاة والرسول - صلى الله عليه وسلم - يخطب، إذن التجارة التي كانت سبب الإنفضاض وليس اللهو لأن ضرب الدفوف كان بسبب التجارة وإشعاراً بأنها جاءت *اللهو هنا هو ضرب الدفوف* .

سؤال: ألا تقتضي *أو* أن ما بعدها يغير ما قبلها؟

أحدهما هذا أو هذا هو ليس بالضرورة الجمع بينهما لكن هذا إشعار بالمجيء فقال *انفَضُّوا إِلَيْهَا* لأن الإنفضاض كان للتجارة . *انفَضُّوا إِلَيْهَا* معناها ذهبوا إليها وتركوا المجلس. تركوا سماع الخطبة وذهبوا. هذا هو الأصل كان تقديم التجارة لأنها سبب الإنفضاض. أما تقديم اللهو فيما بعد *خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ* الناس ليس كلهم عندهم تجارة واللهو أعم من التجارة . أكثرهم يلهون لكن ليس أكثرهم يتاجر فقدّم ما هو أعم *قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ* ثم قال *وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ* جعل الرزق بجانب التجارة لأن التجارة من أسباب الرزق وليس اللهو من أسباب الرزق. إذن صار هنالك أمرين السبب الأول سبب

لنزول هذه الآية هو التجارة وليس اللهو فقدم التجارة ثم أعطى الحكم العام *قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ* لأن اللهو أعم. *وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا* هذه واقعة حصلت بالفعل وقوله *قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ* هذا حكم. حتى من الناحية الفنية والبيانية أنه يضع التجارة بجانب الرزق وليس بجانب اللهو *قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ *١١ * ، الرازقين وضعها بجانب الرزق فليس لائقاً ولا مناسباً أن يقول تعالى *الله خير الرازقين* بجانب اللهو وفي اللغة عادة تترقّى من الأدنى إلى الأعلى فذكر الأدنى *اللهو* ثم الأعلى *التجارة * .

ليس فقط هذا وإنما كرر *من*قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ* مع أنه يجوز لغة أن يقول من اللهو والتجارة ، لكن لماذا جاء بـ *من* ؟ حتى يؤذن باستقلال الأفضلية لكل منهما سواء اجتمعا أو تفرقا حتى لا يُظن أن الذمّ كان من اجتماع اللهو والتجارة معاً خير منهما معاً. إذا جاء من اللهو والتجارة يحتمل أنه في اجتماعهما لكن يمكن أن يكون خير في تفرقهما يحتمل لكن لما قال *خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ* يؤذن باستقلال الأفضلية لكل منهما إذا اجتمعا كما نقول: الأناة خير من التهور ومن العجلة ، خير من كل واحدة على حدة لو قال خير من التهور والعجلة تعني إذا اجتمعا. فهي تفيد أن الخيرية من اللهو على جهة الإستقلال ومن التجارة على جهة الإستقلال أيضاً فإن اجتمعا زاد الأمر سوءاً.

* تناسب فواتح سورة الجمعة مع خواتيمها*

بدأت بقوله *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *١ * وفي أواخرها *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *٩ * التسبيح هو ذكر لله تعالى ، فاسعوا إلى ذكر الله والصلاة هي تسبيح وذكر. *فأقم الصلاة لذكري* الصلاة ذكر والصلاة تسبيح ودعاء. *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ* فأنتم أيضاً سبحوا الله واذكروه واسعوا إلى ذكر الله.

* تناسب خواتيم الجمعة مع فواتح المنافقون*

في خواتيم الجمعة ذكر الذين آمنوا *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *٩ * وقبلها ذكر الكافرين من أهل الكتاب *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *٥ * وفي المنافقون *إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ *١ * فذكر الذين آمنوا في الجمعة *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ* وذكر الكافرين من أهل الكتاب *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا* ، إذا جاءك المنافقون المتظاهرون مع أهل الكتاب *إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ* هؤلاء كانوا يتظاهرون مع أهل الكتاب ضد الرسول هؤلاء المنافقون. إذن ذكر المؤمنين والكافرين من أهل الكتاب والذين يتظاهرون مع أهل الكتاب من المنافقين.

ثم ذكر صفة متشابهة في اليهود والمنافقين في السورتين قال في اليهود في الجمعة *فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *٦* وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ *٧ * وقال في المنافقين *وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ *٤ * فذكر الصفتين في السورتين إحداهما في اليهود والأخرى في المنافقين وهي الجُبْن فيهما. قال في المنافقون *وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ *٧ * وفي الجمعة قال *وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ *١١ * كأنما جزء من آية واحدة وكأنها تتمة لما قبلها.

سؤال: واضح أن الصلاة في القرآن الكريم لها عدة دلالات اصطلاحية ، الصلاة بمعنى الدين كما في قوله *أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا *٨٧* هود*؟

الدين الشرعي، الشرعية هي التي تعرفها نحن أقاويل وأفاعيل ولكن هي في اللغة بمعنى الدعاء. *فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *١٠ * تسبيح، فناسب تسبيح المؤمنين وذكرهم تسبيح ما في السماوات وما في الأرض، الكل يسبح بحمد الله فأنتم أيضاً سبحوه.

سورة المنافقون

* تناسب خواتيم الجمعة مع فواتح المنافقون*

في خواتيم الجمعة ذكر الذين آمنوا *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *٩ * وقبلها ذكر الكافرين من أهل الكتاب *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *٥ * وفي المنافقون *إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ *١ * فذكر الذين آمنوا في الجمعة *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ* وذكر الكافرين من أهل الكتاب *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا* ، إذا جاءك المنافقون المتظاهرون مع أهل الكتاب *إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ* هؤلاء كانوا يتظاهرون مع أهل الكتاب ضد الرسول هؤلاء المنافقون. إذن ذكر المؤمنين والكافرين من أهل الكتاب والذين يتظاهرون مع أهل الكتاب من المنافقين.

ثم ذكر صفة متشابهة في اليهود والمنافقين في السورتين قال في اليهود في الجمعة *فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *٦* وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ *٧ * وقال في المنافقين *وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ

يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ *٤ * فذكر الصفتين في السورتين إحداهما في اليهود والأخرى في المنافقين وهي الجُبْن فيهما. قال في المنافقون *وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ *٧ * وفي الجمعة قال *وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ *١١ * كأنما جزء من آية واحدة وكأنها تتمة لما قبلها.

* هدف السورة *

تتكلم عن صفات المنافقين *إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ* آية ١ ومن اللمسات البيانية في هذه الآية ورود *والله يعلم إنك لرسوله* لأنها لو لم ترد لكان المعنى أن الله تعالى يكذّب المنافقين الذين شهدوا للرسول بالرسالة وحاشا لله أن يشهد هذا. لكنه علم ما في نواياهم وما قصدوه من شهادتهم هذه. وجاء في السورة ذكر خمسة عشر صفة للمنافقين وهم يمنعون وحدة الصفّ. وتختم الآيات بدعوة المؤمنين بعدم جعل الأولاد والأموال أداة تلهيهم عن إنتمائهم لهذا الدين *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ* آية ٩ وفي هذا تقديم لما سيأتي بالتفصيل في السور الثلاثة اللاحقة *التغابن، التحريم، الطلاق* .

* من اللمسات البيانية فى سورة المنافقون*

آية *١* :

* مفعول الفعل علِم مفتوح الهمزة *إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ

أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ *٢٠* المزمل*وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ *٤٩* الحاقة * لكن ورد في بعض المواضع مكسور الهمزة *وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *٤٢* التوبة *قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ *١٦* يس*وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ *١* المنافقون* لماذا وردت عكس القاعدة ؟

د. حسام النعيمي

فعل علِم ينبغي أن يأتي بعدها *أن* مفتوحة الهمزة لكن إذا جاءت اللام التي سميناها اللام المزحلقة أي لام الإبتداء كما في قولنا *علمت أن زيداً ناجح* فإذا قلنا *علمت إن زيداً لناجح* عند ذلك نكسر الهمزة في *إن* . في ألفية إبن مالك توضيح هذه المسألة :

فاكسر في الإبتدا وفي بدء صلة وحيث إنّ لِيَمينٍ مُكمله

أو حُكيت بالقول أو حلّت محلّ حالٍ كزُرته وإني ذو أمل

وكسروا من بعد فِعلٍ عُلّقا باللام كاعلم إنه لذو تُقى

فحيثما جاءت اللام تُكسر الهمزة كما في قوله تعالى *وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ *١* المنافقون*.

آية *٩* :

* متى يكون استعمال *أو* و *لا*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ

اللَّهِ *٩* المنافقون*وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ *٣١* النور*؟

د. فاضل السامرائي

الواو من حيث الحكم يسمونها مطلق الجمع
أما *أو* فلها معاني الإباحة والتخيير

خيّر أبِح قسّم بأو وأبْهِمِ واشكُك وإضرابٌ بها أيضاً نُمِى

فيها معاني كثيرة فـ *لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ* ، *أو* قد يكون فيها إباحة أو تخيير أو قد تكون تقسيم. إباحة هم يقولون جالسوا العلماء أو الزهاد تبيح له أن يجالس هذا الصنف من الناس، جالس الفقهاء أو العلماء، صاحب فلان أو فلان أو فلان تبيح له في صحبة هؤلاء. *أو* قد تكون للتخيير، التخيير لا يقتضي الجمع إما هذا وإما هذا أما الإباحة "تزوج هنداً أو أختها" هذا تخيير لا يجوز الجمع بين الأختين. الواو لمطلق الجمع فلما قال *لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ* يعني كلها لا تلهيكم. السؤال لماذا جاء بـ *لا* ؟ لو لم يذكر *لا* لو قال *لا تلهكم أموالكم وأولادكم* احتمال أنه إذا جمع بينهما أما إذا أفرد، *ولا أولادكم* فيها احتمالان: احتمال الإفراد والجمع، أنه بنهاك عن الجمع بينهما لو أفردت فلا بأس، لو التهيت بأحد منهما فلا بأس هذا احتمال، واحتمال أنه كل واحد على حدة اجتمعا أو انفردا. النُحاة يضربون مثلاً يقولون "ما حضر محمد وخالد" أو "ما حضر محمد ولا خالد" ، "ما حضر محمد وخالد محتمل أنه حضر واحد منهما، ويحتمل أنه لم يحضر محمد ولم يحضر خالد، هذا احتمال واحتمال أن واحد منهما حضر، هذه

يسمونها تعبيرات احتمالية تحتمل أكثر من دلالة .
لا توجد قرينة سياقية ولا لفظية تعين مفهوماً محدداً هنا. لو قلنا "ما حضر محمد ولا خالد" يعني لم يحضرا لا على سبيل الإجتماع ولا على سبيل الإفراد. "ما حضر محمد وخالد" احتمال أنه حضر واحد منهم ما حضر الاثنان، ما حضر محمد وخالد حضر محمد فقط واحتمال أنه ما حضر ولا واحد منهما، إذن هي تنفي حضور الإثنين أو ربما تثبت حضور أحدهما نسميه تعبير احتمالي. أما في قولنا "ما محمد ولا خالد "أي لم يحضر أي واحد منهما لا على سبيل الاجتماع ولا على سبيل الإفراد."

إذن *لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ* إذن نهى عن الإلتهاء على سبيل الاجتماع أو التفرّق لا الأموال ولا الأولاد ولو حذف *لا* تصير تعبيراً احتمالياً يعني لو واحد منهم يلهيكم لا بأس.

أما في الآية *وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ *٣١* النور* هذه إباحة وليست تخييراً.

* لمسات بيانية من سورة المنافقون:

*د. فاضل السامرائي*منقول من موقع موسوعة الإعجاز+ موقع اسلاميات*

*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٩} وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ *١٠ *

في هاتين الآيتين ـ كما هو شأن الآيات القرآنية كلها ـ أسرار تعبيرية بديعة . والذي دعاني إلى

الكتابة فيهما، أن سائلاً سألني مرة : لماذا قال تعالى : *فأصدق* بالنصب وعطف بالجزم، فقال: *وأكن* ولم يجعلهما على نسق واحد؟ فآثرت أن أكتب في هاتين الآيتين لارتباطهم.

يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون

لقد نهى الله في هذه عن الانشغال بأمر الأموال والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها، والانشغال بأمر الأولاد إلى حد الفعلة عن ذكر الله، وإيثار ذلك عليه ومن يفعل ذلك كان خاسراً خسارة عظيمة .

هذا معني الآية على وجه الإجمال، إلا أن هناك أسراراً تعبيرية تدعو إلى التأمل منها:

١ ـ إنه قال: *لا تلهكم أموالكم* ومعنى *لا تلهكم* : لا تشغلكم وقد تقول: لماذا لم يقل: *لا تشغلكم* ؟

والجواب: أن من الشغل ما هو محمود فقد يكون شغلاً في حق كما جاء في الحديث: "إن الصلاة لشغلاً" وكما قال تعالى : *إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ* [يس] أما الإلهاء فمما لا خير فيه وهو مذموم على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهي.

٢ ـ لقد أسند الإلهاء إلى الأموال والأولاد فقال: *لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم* فقد نهى الأموال عن إلهاء المؤمن، والمراد في الحقيقة نهي المؤمن عن الالتهاء بما ذكر والمعنى لا تلتهوا بالمال والأولاد عن ذكر الله وهذا من باب النهي عن الشيء

والمراد غيره، وهو كقوله تعالى : *فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم الله الغرور* [لقمان] فقد نهى الحياة الدنيا عن غير المؤمن والمراد نهي المؤمن عن الاغترار بالدنيا

إن المنهي في اللغة : هو الفاعل نحو قولك: *لا يضرب محمود خالداً* فـ *محمود* هو المنهي عن أن يضرب خالداً، ونحو قولك: *لا يسافر إبراهيم اليوم* فإبراهيم منهي عنة السفر. ونحو قوله تعالى : *لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن* [الحجرات] فالقوم هم المنهيون وكذلك النساء وكما تقول: *لا تضرب خالداً* و *لا تضربي هند* فالفاعل هو المنهي وليس المفعول به. والفاعل في الآية هو الأموال والأولاد أما المخاطبون فمفعول به فالمنهي إذن هي الأموال والأولاد، وهي منهية عن إلهاء المؤمن.

وقد تقول: ولم لم يعبر بالتعبير الطبيعي فيقول: لا تلتهوا بالأموال والأولاد، على أصل المعنى ؟

والجواب: أن في هذا العدول عدة فوائد:

منها: أنه نهى الأموال عن التعرض للمؤمن وإلهائه عن ذكر الله فكأنه قال: أيها الأموال لا تهلي المؤمن عن ذكري. فكأن الله يريد حماية المؤمن وذلك بنهي السبب عن أن يتعرض له فكيف عن التعرض.

وفي هذا النهي مبالغة إذ المراد نهي المؤمن ولكنه بدأ بالأصل المسألة وهي الأموال والأولاد فنهاها هي عن التعرض للمؤمن بما يلهيه فقد جعل الله المؤمن كأنه مطلوب من قبل الأموال والأولاد

تسعى لإلهائه وفتنته فنهاها عن السعي لهذا الأمر لينقطع سبب الإلتهاء ويقمعه.

ومنها: أن فيه إهابة للمؤمن ألا يقع في شرك الأموال والأولاد بحيث تلهيه وهو غافل مسلوب الإرادة ، فنسب الإلهاء ليأخذ المؤمن حذره منها، فكأن الأموال والأولاد ينصبون الشرك ليلهوه عن ذكر الله، فعليه أن يحذر من أن يقع فيه كما تقول: *لا يخدعك فلان* فغن فيه إهابة لأخذ الحذر منه.

هذا بالإضافة إلى ما فيه منة التعبير المجازي اللطيف، وهو إسناد الإلهاء إلى الأموال فجعلها عاقلة مريدة تنصب الشرك لوقوع المؤمن في الفخ.

جاء في *روح المعاني* : "والمراد بنهي الأموال وما بعدها نهي المخاطبين، وإنما وجه إليها للمبالغة لأنها لقوة تسببها للهو وشدة مدخليتها فيه، جعلت كأنها لاهية وقد نهيت عن اللهو، فالأصل لا تلهوا بأموالكم .. الخ. فالتجوز في الإسناد وقيل: إنه تجوز بالسبب عن المسبب كقوله: *فلا يكن في صدرك حرج* أي: لا تكونوا بحيث تلهيكم أموالكم" .

وجاء في *تفسير البيضاوي* : "توجيه النهي إليها للمبالغة" .

٣ ـ جاء بـ *لا* بعد حرف العطف فقال: *لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم* ولم يقل: *أموالكم وأولادكم* ذلك أن كلاً من الأموال والأولاد داع من دواعي الإلهاء وكذلك الأولاد.

لو قال: *أموالكم وأولادكم* لاحتمل أن النهي عن

الجمع بينهما، فلو لم يجمع بينهما جاز، فلو انشغل بالمال وحده جاز، أو انشغل بالأولاد وحدهم جاز، وهو غير مراد. إذ المراد عدم الانشغال بأي واحد منهما على سبيل الانفراد أو الاجتماع.

٤ ـ قدم ألأموال على الأولاد لأن الأموال تلهي أكثر من الأولاد، فإن الانشغال فيها وفي تنميتها يستدعي وقتاً طويلاً وقد ينشغل المرء بها عن أهله، فلا يراهم إلا لماماً فقدم الأموال لذلك.

٥ ـ قدم المفضول على الفاضل، فالأولاد أفضل من الأولاد لأن المال، إنما يكون في خدمتهم ويترك لهم وذلك لأكثر من سبب:

منها: أن المقام مقام إلهاء كما ذكرنا فاستدعى تقديهما.

ومنها: أن المقام يقتضي ذلك من جهة أخرى ، فغن هذا التقديم نظير التقديم في الآية اللاحقة من تقديم المفضول وهو قوله: *فأصدق وأكن من الصالحين* فقدم الصدقة على كونه من الصالحين.

ولما قدم النهي عن الإلتهاء بالمال قدم الصدقة . والصدقة إنما هي إخراج للمال من اليد والقلب، والالتهاء غنما هو انشغال به بالقلب والوقت والجارحة .

ولما قال: *عن ذكر الله* قال: *وأكن من الصالحين* لأن المنشغل عن الفرائض وذكر الله ليس من الصالحين. فهو تناظر جميل.

لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم ... فأصدق.

عن ذكر الله وأكن منم الصالحين

والملاحظ أنه حيث اجتمع المال والولد في القرآن الكريم، قدم المال على الولد إلا في موطن واحد، وذلك نحو قوله تعالى :

شغلتنا أموالنا وأهلونا [الفتح] وقوله: *المال والبنون زينة الحياة الدنيا* [الكهف] وقوله: *وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً* [المدثر] ، ونحو ذلك، لأن المال في هذه المواطن أدعى إلى التقديم، إما لأن الانشغال به أكثر كما ذكرنا، أو لأنه أدعى إلى الزينة والتفاخر وما إلى ذلك من المواطن التي تقتضي تقديم الأموال.

أما المواطن الذي قدم فيه الولد على المال، فهو قوله تعالى :

قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ* [التوبة] وذلك لأن المقام مقام حب. ولا شك أن المتقدمين من الأبناء والأزواج وغيرهم أحب إلى المرء من الأموال لأنه إنما ينفق المال عليهم ويبقيه لهم بعد رحيله عن هذه الدار.

ثم لا تنس أنه قدم مجموع القرابات من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة ، ولا شك أن هؤلاء بمجموعهم أحب إلى المرء من المال. فالأبناء وحدهم أثقل فى ميزان الآباء من الأموال، فكيف إذا اجتمع معهم ما اجتمع ممن يحب؟

أما مسألة تقديم الأموال على وجه العموم، فلعل

الله ييسر لنا البحث فيها.

٦ ـ قال: *ومن يفعل ذلك* ولم يقل: *ومن تلهه لك* فنسب الفعل إلى الشخص، لينال بذلك جزاءه ولئلا يفهم أنه ليس بمقدور الشخص الانصراف عن اللهو، وأنه غير مسؤول عن هذا الالتهاء.

فقال: *ومن يفعل ذلك* للدلالة على أن ذلك بمقدورٍ، وأنٍ هذا من فعله وكسبه. فالالتهاء ليس أمراً سلبياً، بل هو فعل يقوم به الشخص وينال جزاءه عليه.

٧ ـ ثم انظر كيف جاء لذلك بالفعل المضارع فقال: *ومن يفعل* للدلالة على استمرار الحدث وتكرره ولم يقل: *ومن فعل* بالماضي، ذلك لن الالتهاء بالأموال والأولاد أمر يومي ومتكرر، ولذا عبر عنه الفعل المضارع الذي يدل على التكرار والتطأول.

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أنه لو قال: *ومن فعل* لاحتمل أن ذلك الخسران الكبير، إنما يقع ولو فعله مرة واحدة وهو غير مراد. ثم ليتناسب الفعل والجزاء إذ ليس من المعقول والقصر إنما الخسران الكبير الثابت المدلول عليه بالجملة الاسمية والقصر إنما يكون لما وقع مرة واحدة من الالتهاء، بل المناسب أن يكون ذلك لما تكرر حصوله وتطأول.

٨ ـ ثم قال بعد ذلك: *فأولئك هم الخاسرون* واختيار الخسران نهاية للآية أنسب شيء ههنا فإنه المناسب للالتهاء بالأموال والانشغال بها.

فإن الذي ينشغل بالمال إنما يريد الربح، ويريد

تنمية ماله فقال له: إن هذا خسران وليس ربحاً حيث باع "العظيم الباقي بالحقير الفاني" .

٩ ـ ثم إن الإتيان بضمير الفصل *هم* بين المبتدأ والخبر وتعريف *الخاسرون* بأل، إنما يفيدان القصر والتأكيد، أي أن هؤلاء لا غيرهم هم الخاسرون حقاً. وهم أولى من يسمون خاسرين فإنه لم يقل: *فأولئك خاسرون* ، أو من الخاسرين ولو قال لأفاد أن خسارتهم قد تكون قليلة أو قد يشاركهم فيها غيرهم بل قال: *فأولئك هم الخاسرون* للدلالة على أنهم هم الخاسرون دون غيرهم وهم المتصفون بالخسارة إلى الحد الأقصى .

جاء في *روح المعاني* : "وفي التعريف بالإشارة والحصر للخسران فيهم، وفي تكرير الإسناد وتوسيط ضمير الفصل ما لا يخفى من المبالغة.

١٠ ـ اختار الإلهاء عن ذكر الله دون غيره من العبادات فلم يقل مثلاً: لا تلهكم عن الصلاة أو عن الجهاد أو عن غير ذلك من العبادات، ذلك أن ذكر الله يشمل جميع الفرائض، فكل عمل تعلمه لا يكون لله إلا إذا كنت ذاكراً لله في نفسك أو على لسانك أو مستحضراً له في قلبك والذكر قد يكون في اللسان، قال تعالى : *وأذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة * [الأعراف] وقال: *وأقم الصلاة لذكرى * [طه] فذكر الله "عام في الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغير ذلك والدعاء وقال الحسن:" جميع الفرائض "."

ولذلك كان الخسران كبيراً فهو متناسب مع عظم المعصية ، والله أعلم.

وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ

١ ـ تبدأ الآية بقوله: *وأنفقوا من ما رزقناكم* وهذا الأمر بالإنفاق مقابل النهي عن الإنفاق على أصحاب رسول الله من المنافقين فالمنافقون يقولون لأوليائهم: *لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا* والله يقول لأوليائه: *وأنفقوا من ما رزقناكم* فانظر كيف قابل النهي بالأمر.

٢ ـ قال: *من ما رزقناكم* فجاء بـ *من* الدالة على التبعيض ولم يقل: *أنفقوا ما رزقناكم* ، للدلالة على أن الإنفاق إنما يكون في قسم من المال ولا يشمل المال كله، فتستهل النفوس التخلي عن قسم من المال، استجابة لأمر ربها بخلاف ما إذا سألها المال كله، فإنها تستعظم ذلك وتبخل به، قال تعالى : *وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ {٣٦} إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ* [محمد] .

٣ ـ أسند الرزق إلى نفسه فقال: *من ما رزقناكم* للدلالة على أن هذا المال غنما هو من رزق الله سبحانه، ملكه عباده، فتطيب النفوس لإخراج بعض ما رزقه الله، استجابة لأمر الله الرازق.

وهذا التعبير اللطيف مدعاة إلى الخروج عن الشح والاستجابة لأمر الله.

٤ ـ ثم قال: *من قبل أن يأتي أحدكم الموت* فجاء بـ *من* ولم يقل: *قبل أن يأتي أحدكم الموت* إشارة على قرب الموت من

الإنسان، وأنه على الإنسان أن يسابق الموت ويبادر بالعمل الصالح فإن *من* هذه تفيد ابتداء الغاية الزمانية ، ومعناه الزمن القريب من الموت بل المتصل به، وأن حذفها يفيد الوقت الذي هو قبل الموت سواء كان قريباً أم بعيداً ويفيد إعطاء المهلة مع أن الأجل إذا جاء لا يمهل، فالمجيء بها يفيد طلب التعجيل بالتوبة والإنفاق إذ كل ساعة تمر بالإنسان، تحتمل أن تكون هي ساعة الموت، وهي التي ذكرها بقوله: *من قبل أن يأتي أحدكم الموت* فانظر حسن التعبير ودقته.

٥ - *من قبل أن يأتي أحدكم الموت* استخدام فعل يأتي بدل جاء في الآية ومن الملاحظ أن فعل جاء لم يرد أبداً في القرآن كله بصيغة المضارع أما بالنسبة لفعل أتى فقد استعمل مضارعاً واستعملت كل مشتقاتع *آتيكم، مأتيا* . ثم إن تقديم المفعول به على الفاعل لأنه أهم وهو المأمور والمنهي وهو المحاسب وهو محور الخطاب والموت يأتي في كل لحظة .

٦ ـ قدم المفعول بعه على الفاعل، فقال: *من قبل أن يأتي أحدكم الموت* ولم يقل: *يأتي الموت أحدكم* ذلك لأن المفعول به هو المهم ههنا، إذ هو المعني بالتوبة والصلاح، وهو المدعو للإنفاق وهو المتحسر النادم إذا عاجله الموت.

فالعناية والاهتمام منصبان على المفعول الذي يأتيه الموت، وهو كل واحد منا.

٧ ـ جاء بالفاء في قوله: *فيقول رب* ولم يأت بثم أو الواو، ذلك لأن الفاء تفيد معنيين السبب والعطف، في حين أن ثم أو الواو لا تفيد السبب، وبل تفيد العطف وحده.

ومن ناحية أخرى ، إن الفاء تفيد التعقيب بلا مهلة في حين أن *ثم* تفيد التراخي، والواو تفيد مطلق الجمع.

فجاء بالفاء لجمع معنيي السبب والعطف، أي أن الموت سبب لهذا الندم وطلب التأخير لما ينكشف له من سوء المنقلب والعياذ بالله.

ثم إن طلب التأخير يأتي رأساً بلا مهلة ، ففي ساعة الموت وعند حضوره يطلب التأخير ليسلك سبيل الصالحين، ولو جاء بـ *ثم* لما أفاد ذاك، بل يفيد أن طلب ذاك إنما يكون بعد مهلة وتراخ، وكذلك الواو لا تفيد ما أفادته الفاء.

٨ ـ ثم انظر كيف ناسب المجيء بالفاء الدالة على قصر الوقت حذف حرف النداء، فقال: *رب* ولم يقل: *يا رب* لأن الوقت لم يعد يحتمل التضييع في الكلام فيأتي بـ *يا* بل يريد أن يستعجل في طلبه، فيختصر من الكلام ما لا حاجة له به ليفرغ إلى مراده.

٩ ـ جاء بـ *لولا* فقال: *لولا أخرتني* ولم يقلك *لو أخرتني* لأن *لولا* أشد في الطلب من *لو* وقائلها أكثر إلحاحاً من قائل: *لو* فإن *لو* تكون للطلب برفق، وأما *لولا* فتكون للطلب بشدة وحث، ومعنى ذلك أن ما هو فيه يستدعي الإلحاح في الطلب، وأن يجأر به وأن يأتي بما هو من أشد أدوات الطلب قوة ، كما أنها من أدوات التنديم وفيها تنديم للنفس على ما فرط، ولو جاء بـ *لو* لفاد العرض الخفيف.

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، إن *لو* قد

تفيد التمني، والتمني قد يكون ميئوسا منه ليس لصاحبه فيه مطمع نحو *لو يعود الميت إلى الحياة ، فيخبر الناس بما هو فيه* في حين أن هذا القائل ليس متمنياً، بل هو طالب للعودة ، سائل لها فلو جاء بـ *لو* لأفاد أن هذا من باب التمني الذي يتمناه الإنسان، ولا يرجو وقوعه كقول القائل: *ألا ليت الشباب يعود يوماً* والتمني قد يكون في حال العافية كما يكون في غيرها في حين أن هذا طالب للتأخير وليس متمنياً.

١٠ ـ جاء بالفعل الماضي بعد *لولا* فقال: *لولا أخرتني* ولم يقل: *لولا تؤخرني* ذلك أن المحذور وقع في حين أن الفعل المضارع قد يفيد أن ألأمر لم يقع بعد، وأن في الأمر سعة وذلك نحو قوله تعالى : *لو نشاء جعلناه أجاجاً فولا تشكرون* [الواقعة] وقوله: *قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ* [النمل] .

هذا علاوة على ما يفيد دخول *لولا* على الماضي من قوة الطلب وشدته، وإن كان مستقبل المعنى .

١١ ـ ثم انظر كيف طلب مهلة قصيرة لإصلاح حاله، مع أنه كان يتقلب في الأرض من دون أدنى تفكير أو اهتمام بمآله في الآخرة أو بالأوقات التي يضيعها هدراً من دون اكترات، فقال: *إلى أجل قريب* ولم يقل: *إلى أجل* فيحتمل القريب والبعيد، فطلب مهلة قصيرة وأجلاً قريباً لتدارك ما فات.

فانظر كيف جاء بالفاء الدالة على قصر الزمن بين إتيان الموت وطلب التأخير، وحذف *يا* النداء اختصاراً للزمن ليفرغ إلى طلبه، وجاء

ب *لولا* الدالة على الإلحاح في الطلب، كل ذلك ليحصل على مهلة قليلة ليصلح شأنه، فانظر أية إشارات هذه إلى هول ما هو فيه؟

وقد تقول: ولم قال ههنا: *أخرتني* بالياء وقال في سورة الإسراء *أخرتني* فحذف الياء واجتزأ بالكسرة ؟

والجواب: أن المقام يوضح ذلك.

فقد قال في سورة الإسراء على لسان إبليس: *قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً* [الإسراء] .

وقال ههنا: *لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين* وهنا نسأل: أي الطلبين يريده المتكلم لنفسه على وجه الحقيقة ، وأيهما يعود بالنفع عليها ودفع الضرر عنها أهو قوله: *لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ* أم قوله: *لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً* .

والجواب ظاهر فإن طلب إبليس لا يريده من أجل نفسه، ولا لأنه محتاج إليه، وإنما يريده ليضل ذرية آدم. ثم إن هذا الطلب لا يعود عليه بنفع، ولا يدفع عنه ضراً وليست له مصلحة فيه، بل العكس هو الصحيح بخلاف الطلب الآخر، فإنه يريده لنفسه حقاً وإنه لا شئ ألزم منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه.

فلما كان طلب التأخير لمصلحة الطالب حقاً، وأنه ابتغاه لنفسه على وجه الحقيقة أظهر الضمير ولما كان طلب إبليس ليس من أجل نفسه ولا يعود

عليها بالنفع حذف الضمير واجتزأ بالكسرة .

ثم في الحقيقة ، إن كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم فقال: *لئن أخرتن* فهو من باب الطلب الضمني، وليس من باب الطلب الصريح وأما قوله: *لولا أخرتني* فهو طلب صريح ففرق تبعاً لذلك بين التعبيرين. فصرح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظر جميل، ففي الطلب الصريح صرح بالضمير، وفي الطلب غير الصريح لم يصرح بالضمير.

١٢ ـ وهنا نأتي إلى سؤال السائل وهو: لم عطف بالجزم على النصب، فقال: *فأصدق* بالنصب ثم قال *وأكن* بالجزم ولم يجعلها على نسق واحد؟

والجواب: أنة هذا مما يسميه النجاة *العطف على المعنى * وقد يسمى فير غير القرآن *العطف على التوهم* . ذلك أن *أصدق* منصوب بعد فاء السببية ، و *أكن* مجزوم على أنه جواب للطلب، والمعني : إن أخرتني أكن من الصالحين ونحو ذلك أن تقول: *هلا تدلني على بيتك أزرك* ، فـ: *أزرك* مجزوم بجواب الطلب والمعنى ، إن تدلني على بيتك أزرك ولو جئت بفاء السبب لنصت، فقلت: *هلا تدلني على بيتك فأزورك* ، وإن أسقطت الفاء وأردت معنى الشرط جزمت.

جاء في *البحر المحيط* : "وقرأ جمهور السبعة *وأكن* مجزوماً قال الزمخشري: *وأكن* مجزوماً على محل *فأصدق* كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن وقال ابن عطية : عطفاً على الموضع لأن التقدير

إن تؤخرني أصدق وأكن"

ففي الآية الكريمة جاء بالمعطوف عليه على إرادة معنى السبب وجاء بالمعطوف على معنى الشرط فجمع بين معنيي السبب والشرط فالغطف إذن ليس على إرادة معنى الفاء بل على إرادة معنى جديد.

جاء في *معاني النحو* : "عطف *أكن* المجزوم على *أصدق* المنصوب، وهو عطف على المعنى وذلك أن المعطوف عليه يراد به السبب والمعطوف لا يراد به السبب،
فإن *أصدق* منصوب بعد فاء السبب وأما المعطوف فليس على تقدير الفاء ولو أراد السبب لنصب، ولكنه جزم لأنه جواب الطلب نظير قولنا: *هل تدلني على بيتك أزرك؟* كأنه قال: إن تدلني على بيتك أزرك فجمع بين معنيي التعليل والشرط، ومثل ذلك أن أقول لك: *احترم أخاك يحترمك* و *احترم أخاك فيحترمك* فالأول جواب الطلب والثاني سبب وتعليل وتقول في الجمع بين معنيين *أكرم صاحبك فيكرمك ويعرف لك فضلك* وهو عطف على المعنى" .

وقد تقول: ولماذا لم يسو بينهما، فيجعلهما نسقاً واحداً؟

والجواب أنهما ليسا بمرتبة واحدة في الأهمية ، فالصلاح أهم من الصدقة ذلك أنم الذي ينجي من العذاب، هو كونه من الصالحين لا كونه متصدقاً فإن المؤمن قد لا يتصدق بصدقة أصلاً ومع ذلك يدخل الجنة بصلاحه فقد يكون ليس معه ما يتصدق به. فالذي ينجيه من العذاب، ويدخله الجنة ، هو أن يكون من الصالحين، والتصدق وإنما

يكون من الصلاح. والذي يدلك على ذلك قوله تعالى في سورة *المؤمنون* : *حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ {٩٩} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* فإنه ذكر الصلاح ولم يذكر الصدقة ، لأن الآية لم تقع في سياق الكلام على الأموال وإنفاقها، وذلك يدل على أن الصلاح هو مناط النجاة وأنه هو الأهم فعبر عن كونه من الصالحين بأسلوب الشرط، لأنه أقوى في الدلالة على التعهد والتوثيق، فقد اشترط على نفسه أن يكون من الصالحين، وقطع عهداً على نفسه بذلك فأعطى الأهم والأولى أسلوب الشرط الدال على القوة في الأخذ على النفس والالتزام وأعطى ما هو دونه في الأهمية والأولوية ، أسلوب التعليل ولم يجعلهما بمرتبة واحدة .

وقد تقول: إذا كان الأمر كذلك فلم قدم الصدقة على الصلاح؟

والجواب: أن السياق هو نفي إنفاق الأموال، فقد قال تعالى في هذه الآية : *وأنفقوا من ما رزقناكم ... * فدعا إلى الإنفاق، فكان تقديم الصدقة مناسباً للمقام. ثم إنه تردد في السورة ذكر الأموال والانشغال بها، وما إلى ذلك، فقد جاء قبل هذه الآية قوله: *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ* فنهى عن الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله، وجاء قبلها قوله في المنافقين: *هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ* .

فأنت ترى أن تقديم الصدقة ، والمناسب للسياق الذي وردت فيه الآية وللجو الذي تردد فيه ذكر الأموال والانشغال بها، والتوصية من المنافقين بعدم إنفاقها في سبيل الخير.

وقد يقول: ولم قال: *فأصدق* ولم يقل *فأتصدق* الذي هو الأصل؟

والجواب: أن هناك أكثر من سبب يدعو إلى هذا الاختيار.

منها أن مقاطع *فأتصدق* أكثر من مقاطع *فأصدق* فإن مقاطع *فأتصدق* ستة ومقاطع *فأصدق* خمسة :

فَ + أَ + تَ +صد +دَ +قَ = ستة مقاطع.

فَ +أص +دَ +قَ = خمسة مقاطع.

وهو طلب التأخير إلى أجل قريب فاختار اللفظة التي هي أقصر لتناسب قصر المدة .

ثم إن في *فأصّدّق* تضعيفين أحدهما في الصاد، والآخر في الدال في حين أن في *فأتصدق* تضعيفاً واحداً موطنه الدال، والتضعيف مما يدل على المبالغة والتكثير، ولذا كان في قوله: *فأصدق* من المبالغة والتكثير في الصدقة ما ليس في *فأتصدق* فدل بذلك أنه أراد أجلاً قريباً ليكثر من الصدقة ويبالغ فيها.

فهذا البناء أفاد معنيين:

الأول: قصر المدة وذلك لأنه طلب التأخير مدة قصيرة .

والآخر: هو الإكثار من الصدقة في هذه المدة

القصيرة فكان ذلك أنسب.

من هذا ترى أنه وضع كل تعبير في مكانه الذي هو أليق، وأعطى كلاً منهما حقه الذي هو له. فانظر كيف جمع بين معنيين التعليل والشرط.

وقدم الصدقة مناسبة للمقام وأعطى الصلاح أهمية تفوق الصدقة ، وجاء لفظة تدل على قصر المدة والإكثار من الصدقة فجمعت معنيين مناسبة للمقام، كل ذلك بأوجز عبارة وأبلغها والله أعلم.

آية *١٠* :

* استعمال الأفعال المسندة إلى الموت:

د. حسام النعيمي

وجدنا أنه في أحد عشر موضعاً ورد الموت مع أفعال هي: الموت مع *حضر* ورد في أربعة مواضع، مع *جاء* ورد في موضعين، مع *يدرك* ورد في موضعين، مع *يأتي* ورد في موضعين، مع *يتوفى * ورد في موضع واحد. لما ننظر في الاستعمال القرآني لهذه الأفعال وما ورد في معجمات اللغة نرى أنها متقاربة المعنى يكاد يكون الذي يجمعها هذا القُرب. لما تقول جاء معناه صار قريباً، حضر معناه صار قريباً، أتى أيضاً معناها القرب، أدركه معناها القرب، توفاه أخذه كاملاً معناه قريب منه فلا يكون الأخذ إلا عن قرب، فيها معنى القرب لكن هل يصلح أن تكون كلمة مكان كلمة ؟ لا، لأن كل كلمة لها معناها الخاص الجزئي فوق الإقتراب بالمعنى الذي جعلها خاصة في هذا الموضع دون موضع آخر. بصورة موجزة نقول لما ننظر في الآيات التي فيها كلمة حضر نجد معنى القرب لكن نجد المشاهدة

والملامسة أحياناً، إقتراب إلى حد الملامسة ، إقتراب شديد. لما نأتي إلى جاء وأتى مع فارق نجد معنى القرب الشديد وتحقق الوقوع في جاء وفي أتي في موقع مع الفارق بينهما: جاء يكون العمل فيها أظهر والعربية أحياناً تراعي الصوت. لما ننظر إلى حروف *جاء* مكونة من جيم وألف وهمزة ، لما ننظر إلى حروف *أتى * مكونة من همزة وتاء وألف فالمشترك بين الفعلين ألف وهمزة والمختلف جيم وتاء وكلاهما صوت شديد بالتعبير الحديث يقولون صوت انفجاري يحدث نتيجة إنطباق يعقبه إنفصال مفاجئ في نقطة معينة في المدرج الصوتي فكلاهما متقارب لكن الفارق أن الجيم مجهور والتاء مهموس. الجيم يهتز معها الوتران الصوتيان ويكون هذا الصوت أظهر وأنصع وأحياناً من مخرج واحد أحد الصوتين مجهور والآخر مهموس. التاء والدال من مخرج واحد لسانك يكون في نفس الموقع لما
تقول *قد* تقلقل نجد نوعاً من الرنين لكن لما تقول *قت* التاء مهموسة ليس فيها الجهر. المجهور أقوى وأظهر ولذلك نقول جاء أظهر من أتى أو فيه شيء من الجهر والقوة أكثر من أتى .

الإدراك يكون بمعنى القرب الشديد لكن فيه صورة تشعر بنهاية الفرار من شيء كأنما هناك فارٌّ ومن يلاحقه إلى أن يدركه فينتهي فراره وأيضاً فيها قرب لما يدركه ويوقف فراره. أدركه فيها معنى القرب وفيها صورة هارب وهناك من يلاحقه، من يدركه.

التوفّي: أخذ الشيء وافياً غير منقوص فيه معنى القرب لأن الأخذ يكون قريباً من ما يأخذ. هذه بصورة عامة .

حضر:

حضر يمكن أن تلمس فيها ما هو شديد القرب وشدة القرب ظاهرة في الآيات:

أولاً: في سورة البقرة *أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي *١٣٣* البقرة * يعقوب ? مفعول به مقدم للعناية لأن القصة متوجهة ليعقوب وليس للموت فقدمه للإهتمام به ثم ذكر الفاعل. إذن حضره الموت وهو يتكلم معناه الموت صار قريباً منه، شارف على الموت لكن وقوعه لم يتحقق، لم يمت بعد بدليل أنه كان يكلم أبناءه ويوصيهم فالموصي لم يمت بعد ولم يفقد وعيه بعد. فالموصي إنما يذكر وصيته أو يؤكدها وهو يرى أنه شارف على الموت أو أن الموت قريب منه لكن وقوعه لم يتحقق بعد بدليل أنه يتكلم ويوصي.

ثانياً: *كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ *١٨٠* البقرة * إهتمام بالمتقدم وإبعاد شبح الموت الحقيقي. الآية في الوصية والموصي يكون في وعيه ويتكلم لكن ليس أن الموت اقترب منه.

ثالثاً: *يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ *١٠٦* المائدة * أيضاً الآية في الوصية .

رابعاً: *وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *١٨* النساء* التوبة المرفوضة هي التي تكون

حين يشرف الإنسان على الموت ويدرك أنه صار قريباً منه كأن الموت لم يقع بعد بدليل أنه استطاع أن يتكلم فهو لم يمت بعد. وعلى هذا نقول أن كلمة *حضر* عندما تأتي مع الموت فيها معنى القرب والمشاهدة وكأنه فيها نوع من التجسيد للموت كأن الموت حيٌّ يحضر مع من يحضر حوله من أهل الذي ينازع فيشهد هذا الموت.

جاء:

أما *جاء* ففيه معنى القرب الشديد وتحقق الوقوع. هذا الفعل استعمل في القرآن بهذه الصيغة .

قال تعالى في سورة الأنعام *وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ *٦١ * مجيء الموت هنا معناه وصول عمر الحيّ إلى نهايته فكأن الموت يخبر بهذه النهاية وتقدير الكلام: إذا جاء قضاء الموت على الحيّ توفت روحه الملائكة أي أخذتها وافية غير منقوصة . *جاء أحدكم الموت* أي اقترب منه ووقع حدث الموت. استوفت الملائكة روحه فيه القرب الشديد وتحقق الوقوع.

وفي سورة المؤمنون *حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *٩٩ * قد يقول قائل هم يتكلم ما أدركه الموت، كلا. الكافر يقول رب ارجعون بعد قبض روحه، الرجوع إلى الدنيا يريد أن يرجع إلى الدنيا بعد أن يخرج من الدنيا فإذن هنا معناه *جاء أحدهم الموت* أي اقترب منه وتاله وفارقته الروح. عند ذلك لما يرى ما يرى من هول

الحساب يبدأ يقول رب ارجعون. طلب الرجوع إنما يكون لمن فارق الحياة وليس لمن هو في هذه الدنيا. موضعان في القرآن ورد فيهما *جاء* فيهما معنى المفارقة ، مفارقة الروح.

يدرك:

في سورة النساء *أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ *٧٨ * الآية كأنما تصور من ينتقل من مكان إلى آخر هرباً من الموت والموت يسعى وراءه حتى يدركه أينما كان ولو كان متحصناً في بروج مشيدة قوية الجدران محكمة الأبواب. لما يدركه يكون قريباً منه ويقبض بعد ذلك. يُفهم من الآية أنه يموت قطعاً. يدرككم أي لما يصل إليكم وسيكون نتيجته مفارقة الحياة . وفيه صورة الملاحقة والهارب الذي يلحقه شيء. حتى في المجاز تقول أدركت ما يريد فلان أي تتبعت عباراته بحيث وصلت إلى الغاية من عبارته.

الآية الأخرى في سورة النساء *وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا *١٠٠ * هو مهاجر لما هاجر هاجر فراراً بدينه وحياته وهو خارج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله كأن الموت يسعى وراءه *ثم يدركه الموت* الخارج من بيته مهاجراً إنما خرج فراراً بدينه من أن يفتنه الكفار فهو فارٌ منهم لكن الموت يتبعه ويدركه في طريق الهجرة وهذا أجره عظيم فقد وقع أجره على الله كما قال تعالى *فإنه ملاقيكم* الموت هنا لم يأت فاعلاً

وإنما اسم إنّ *قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ *٨* الجمعة *.

يأتي:

فِي سورة إبراهيم *يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ *١٧ * إتيان الموت المراد به إتيان أسبابه من وسائل العذاب لأن الكلام على المعذَّب بنار جهنم العذاب في جهنم بعد قيام الساعة *لا موت* . *يأتي* هنا بمعنى إتيان أسباب الموت، أسباب التعذيب تصيبه وتلاحقه في كل مكان وتأتيه اسباب الموت لكن *وما هو بميت* لأنه في النار لا يوجد موت وإنما عذاب. الموت قريب منه بمحيء أسبابه لأن الإحراق من أسباب الموت لكن الإحراق بالنار يوم القيامة هو من أسباب الموت لكن لا يفضي إلى الموت فالموت قريب منه لكنه لا يقع.

وفي سورة المنافقون *وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ *١٠ * هذا القول يصلح أن يكون قبيل الموت أو بعده لأن قوله *رب لولا أخرتني*لولا* كلمة عرض كما تعرض تقول لولا زرت أخاك المريض أي أقترح عليك أن تزور أخاك المريض مع تحبيب الأمر. *رب* يتحبب إلى الله تعالى وما قال في الآية *يا الله لولا أخرتني* لأنه يرعض على الله تعالى أن يؤخره إلى أجل قريب يعطيه فرصة عندما أتاه الموت. يمكن أن يقول قال هذه الكلمة التي فيها معنى الرجاء والعرض بعد وفاته أو يقولها في نفس لحظات وفاته.

الإتيان فيه معنى المقاربة الشديدة وفي الموضع الثاني تحتمل الوقوع.

يتوفى :

ورد في موضع واحد في سورة النساء *وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً *١٥ * جعل الله تعالى لهن سبيلاً بالحدّ عندما نزلت الآيات وأخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بحدّ مرتكبة الفاحشة . *يتوفاهن الموت* التوفي هو أخذ الشيء كاملاً غير منقوص. الموت لا يقوم بأخذ الشيء وافياً وإنما أُسند العمل إلى الموت على سبيل التوسع لعلاقة السببية لأن الموت معناه إنقضاء العمر الذي يؤدي إلى أن تؤخذ روحه وافية غير منقوصة ، أنه يتوفّى . الموت ليس هو الذي يأخذ الروح لكن الموت إيذان بانتهاء العمر، ما بقي لهذا الإنسان من عمره شيء فهو ميّت. الذي يتوفى هذه الأنفس *وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ *٦١* الأنعام* الملائكة التي تأخذ الروح وحتى الرسل الملائكة ليست هي التي تتوفى الأنفس لأن *اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *٤٢* الزمر* النسبة الحقيقية أي الفاعل الحقيقي لهذا التوفي هو الله سبحانه وتعالى ، الملائكة وسيلة والموت سبب.

الله سبحانه وتعالى ينسب أحياناً الفعل لغيره

باعتباره الغير سبب أو مرتبط بأمره *مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا *١٠* فاطر* حصر هنا العزة لله عز وجل وحده دون غيره وفي موضع آخر قال *وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ *٨* المنافقون* ارتباط الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالله، هو رسول الله فمنحه الله تعالى العزة . كذلك هاهنا لما قال تعالى *حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ* يعني يستوفي أرواحهن الموت أي يتوفاهن ملائكة الموت. قالوا كان ذلك عقوبتهن أوائل الاسلام فنُسِخ بالحدّ. في قوله تعالى *حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ* جاء اللفظ بالإسناد إلى الموت على سبيل التوسع لعلاقة السببية لأن الموت نهاية العمر فهو سبب الوفاة والذي يتوفى الأرواح الرسل من الملائكة بأمر من الله سبحانه وتعالى فالذي يتوفى الأرواح على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى .

* تناسب فواتح سورة المنافقون مع خواتيمها*

عموم السورة في المنافقين عدا آيتين في الآخر، تبدأ *إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ *١ * وكلها في صفات المنافقين عدا آيتين *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ *٩* وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ *١٠* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١١ * لأنه في السورة قال المنافقون *هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ

الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ *٧ * وكأن الكلام رد عليهم *وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ* كأن هذه الآية رد على ما يقول المنافقون. والسورة أصلاً في المنافقين ويمكن أن نقول أن في السورة وحدة موضوع.

* تناسب خواتيم المنافقون مع فواتح التغابن*

ذكر المؤمنين والكافرين في خواتيم المنافقون *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ *٩* وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ *١٠ * إذن ذكر قسمين: المؤمنون والكافرون وفي التغابن ذكر هؤلاء الصنفين *هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢ * فذكر الصنفين وقال في خاتمة المنافقون *وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١١ * وفي التغابن قال *وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢ * *يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *٤ * ذكر صفاته تعالى في العلم والخبرة . في خواتيم سورة المنافقون قال *يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ *٨ * وذكر التهديد لهم في التغابن *أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *٥ * وكأن هذه الآية صدّقت قوله تعالى *وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ* كانت لهم الغلبة وفيها نوع من العبرة لمن يتعظ.

سورة التغابن

سورة التغابن والطلاق والتحريم

كل هذه السور تتحدث عن الشواغل التي تمنع من الانتماء للدين أو تشغل عنه.

سورة التغابن

* تناسب خواتيم المنافقون مع فواتح التغابن*

ذكر المؤمنين والكافرين في خواتيم المنافقون *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ *٩* وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ *١٠ * إذن ذكر قسمين: المؤمنون والكافرون وفي التغابن ذكر هؤلاء الصنفين *هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢ * فذكر الصنفين وقال في خاتمة المنافقون *وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١١ * وفي التغابن قال *وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢ * *يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *٤ * ذكر صفاته تعالى في العلم والخبرة . في خواتيم سورة المنافقون قال *يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ *٨ * وذكر التهديد لهم في التغابن *أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *٥ * وكأن هذه الآية صدّقت قوله تعالى *وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ* كانت لهم الغلبة وفيها نوع من العبرة لمن يتعظ.

* هدف السورة *

بيّنت خطورة بعض الأولاد والزوجات الذين قد يلهوا المسلم عن الإنتماء للإسلام *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* آية ١٤ وهذا في الغبن *ذكر من أولادكم أي ليس الكل* أما في الفتنة فجاءت الآية *إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ* ١٥ للكل ولم يستثني أحدا. ولكي تحافظ على الانتماء عليك أن تنتبه لما قد يشغلك عن الدين وانتمائك له.

* من اللمسات البيانية فى سورة التغابن*

آية *١* :

* فى الآية الأولى من سورة التغابن هى الوحيدة من آيات التسبيح فى بدايات السور التى لم تختم ب *العزيز الحكيم* فما دلالة ذلك؟

د. فاضل السامرائي

كل السور التي تبدأ بالتسبيح يكون فيها العزيز الحكيم هذان الاسمان الكريمان أو شبيهان بهما إما في الآية أو في السورة ، كل سورة تبدأ بالتسبيح إما يقول العزيز الحكيم أو نحو هذا أو السورة لا تخلو من هذين الاسمين العزيز الحكيم إلا آية واحدة في سورة التغابن ختمت بقوله تعالى *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١* التغابن* وختم السورة بقوله *عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١٨* التغابن*، لماذا؟

التسبيح هو التنزيه عن كل نقص والتقص يظهر

عادة إذا كان شخص ليس عنده مسؤولية لا يظهر عليه نقص لكن إذا كان حاكماً أو عزيزاً أو حاكماً يظهر عليه نقص إذا كان عزيزاً وانتهت عزته إلى الحكم فالعزة تسبق الحكم أو الحكمة فإذن ربنا سبحانه وتعالى في هذين الأمرين الذين يظهر فيهما العيب على الآخرين هو ينزه عن كل نقص في عزته وحكمه وحكمته ولذلك كل السور التي تبدأ بالتسبيح الآية نفسها يقول *العزيز الحكيم* أو ما في هذا المعنى وهو آية واحدة *له الملك* وهذه عزة ومنتهى العزة أن يكون له الملك إذن له الملك في معنى من المعاني هو العزيز الحكيم له الملك *وله الحمد* من الحكمة فإذن تصبح بمعنى العزيز الحكيم وقد أنهى السورة بقوله تعالى *عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١٨* التغابن*.

سبّح لله بصيغة الماضي وفي بعض السور *يسبح* بصيغة المضارع فهل هذا مقصود بذاته؟

د. فاضل السامرائي

نلاحظ أنه كل سورة تبدأ بـ *سبّح* بالفعل الماضي لا بد أن يجري فيها ذكر للقتال في كل القرآن أي سورة تبدأ بـ *سبّح* فيها ذكر للقتال والمبدوءة بـ *يسبح* ليس فيها ذكر للقتال أبداً. سورة الصف *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ *٤ * كل التي تبدأ بـ *سبّح* لا بد أن يجري فيها ذكر القتال. هذه الآية في سورة الحديد *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * *لَا

يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ
أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا
وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١٠ *
ليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ *سبح* إلا
ويجري فيها ذكر للقتال وليس هنالك سورة في
القرآن تبدأ بـ *يسبح* إلا لم يذكر فيها القتال. هذا
توجيه للناس في الحاضر والمستقبل أن يتركوا
القتال، أن لا يقاتلوا، الذي جرى جرى في تاريخ
البشرية والله تعالى حكيم فعل ما فعل ودعا
الناس يفعلون ما يشاؤون، هو التوجيه للخلق،
للعقلاء، للناس، للمسلمين أنه في الحال والاستقبال
عليهم أن يتركوا القتال ويعيشوا حياتهم، ينصرفوا
إلى التعاون وما هو أنفع وما هو أجدى وما هو
خير. هو توجيه لما يقول *يسبح* المضارع يدل
على الحال والاستقبال لم يذكر القتال وكأنما هو
توجيه - والله أعلم - للخلق في حاضرهم
ومستقبلهم أن يتركوا القتال، أن لا يتقاتلوا فيما
بينهم، أن يتفاهموا، أن يتحاوروا، أن يتحادثوا، أن
تكون صدورهم رحبة ، هذا أنفع لهم من القتال،
الماضي ماضي ذهب لكن *يسبح* كأنه توجيه
لعباده.

الرابط بين القتال والتسبيح: التنزيه عما لا يليق
والقتال لا يليق كما قالت الملائكة *قَالُواْ أَتَجْعَلُ
فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ
تَعْلَمُونَ *٣٠* البقرة *.

* ما دلالة ما دلالة تكرار *ما* في قوله تعالى
*يسَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ *١ *
في سورة التغابن؟

د. فاضل السامرائي

توجد ظاهرة في آيات التسبيح في القرآن كله. إذا كرّر *ما* فالكلام بعدها يكون على أهل الأرض. وإذا لم يكرر *ما* فالكلام ليس على أهل الآرض وإنما على شيء آخر.

في سورة الحشر قال تعالى *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * بتكرار *ما* وجاء بعدها الكلام عن أهل الأرض. وكذلك في سورة الصفّ وفي سورة الجمعة وفي سورة التغابن *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١* هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢* .

بينما في آية أخرى في سورة الحديد ليس الكلام بعدها عن أهل الأرض وإنما هو عن الله تعالى . وكذلك في سورة النور *٤١* و *٤٢* .

هذه قاعدة عامة في القرآن والتعبير القرآني مقصود قصداً فنياً. وهذا في مقام التسبيح ولم أتحقق من هذه القاعدة في غير مقام.

* لماذا قدم السماوات على الأرض؟

د. فاضل السامرائي

أولاً من الذين كان يسبح سابقاً أهل السماء أو أهل الأرض؟ أهل السماء لأن أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، قبل أن خلق آدم فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، بمن هو أدوم تسبيحاً *يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ *٢٠* الأنبياء*فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ

رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ *٣٨* فصلت* فبدأ بأهل السماء لأنهم أسبق في التسبيح قبل خلق آدم ولأنهم أدوم تسبيحاً، أدوم في هذه العبادة .

آية *٨* :

* ما الفرق بين قوله تعالى *والله بما تعملون خبير* و *خبير بما تعملون* ؟

د. فاضل السامرائي

إذا كان السياق في غير العمل ويتكلم عن الإنسان في غير عمل كالقلب أو السياق في أمور قلبية أو في صفات الله عز وجل يقدم صفة الخبير على العمل، هذا خط عام. إذا كان السياق في عمل الإنسان يقدم العمل *والله بما تعملون خبير* يقدم العمل على الخبرة وإذا كان السياق في أمور قلبية أو عن الله سبحانه وتعالى يقول *خبير بما تعملون* . نضرب أمثلة حتى تتضح الصورة :

*زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ *٧* فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير *٨* التغابن* ذكر العمل فقدمه لأنه ذكر ما يتعلق بالإنسان وعمله فقدم العمل. في حين قال تعالى *وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *٥٣* النور* النفاق أمر قلبي وليست عملاً فقدم الخبرة .

هذه القاعدة العامة إذا كان الكلام عن عمل الإنسان يقدم العمل على الخبر وإذا كان الكلام ليس عن العمل وإنما في أمر قلبي أو الكلام على

الله سبحانه وتعالى يقدم الخبرة .

آية *١٢* :

* لماذا يرد في القرآن أحياناً أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأحياناً أخرى يرد وأطيعوا الله والرسول؟

د. فاضل السامرائي

في القرآن قاعدة عامة وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة ولم يجري ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - في السياق أو أي إشارة إليه كما جاء في سورة آل عمران *وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {١٣٢} * . والأمر الآخر أنه إذا لم تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر فيه الرسول في السياق كما في قوله تعالى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً {٥٩} النساء* و *وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ {٩٢} المائدة * و *يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {١} و يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ {٢٠} الأنفال* و *وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {١٢} التغابن* وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة .

* تناسب فواتح سورة التغابن مع خواتيمها*

تبدأ *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١ * وفي الآخر *عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١٨* كلتاهما في الله وصفاته عز وجل.
بعد الآية الأولى *هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢ * وفي الآخر ذكر الذين كفروا *وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *١٠ * ثم انتقل بعدها إلى الذين آمنوا إلى خاتمة السورة *وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *١١* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ *١٢* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ *١٣* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *١٤* إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ *١٥* فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *١٦* إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ *١٧* عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١٨ * إلى آخر السورة . السورة كلها واقعة في سياق واحد.

* تناسب خواتيم التغابن مع فواتح الطلاق*

قال في التغابن *أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *١٤ * وفي

الطلاق *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ *١ * كأنها استكمال للحالة الزوجية ، الحالة الأولى قد تنتهي إلى الطلاق *ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *١٤ * والحالة الثانية *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ *١ * الحالتين في الأزواج، خاتمة التغابن المرحلة الأولى والمرحلة الثانية الطلاق.

قال في أواخر التغابن *فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا *١٦ * وفي الطلاق *وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا *١ * في التغابن *فاتقوا الله* وفي الطلاق *واتقوا الله ربكم* ، في التغابن *واسمعوا وأطيعوا* وفي الطلاق *وتلك حدود الله* بالمقابل.

في آخر التغابن قال *فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *١٦ * وفي الطلاق *وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا *٢* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا *٣ * فاتقوا الله وأنفقوا ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، في الأموال والتقوى في نفس السياق.

سورة الطلاق

* تناسب خواتيم التغابن مع فواتح الطلاق*

قال في التغابن *أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *١٤ * وفي الطلاق *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ *١ * كأنها استكمال للحالة الزوجية ، الحالة الأولى قد تنتهي إلى الطلاق *ياأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *١٤ * والحالة الثانية *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ *١ * الحالتين في الأزواج، خاتمة التغابن المرحلة الأولى والمرحلة الثانية الطلاق.
قال في أواخر التغابن *فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا *١٦ * وفي الطلاق *وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا *١ * في التغابن *فاتقوا الله* وفي الطلاق *واتقوا الله ربكم* ، في التغابن *واسمعوا وأطيعوا* وفي الطلاق *وتلك حدود الله* بالمقابل.

في آخر التغابن قال *فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *١٦ * وفي الطلاق *وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

مَخْرَجًا *٢* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا *٣ * فاتقوا الله وأنفقوا ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، في الأموال والتقوى في نفس السياق.

* هدف السورة *

بيّنت نوعاً آخر من التفكك الإجتماعي الذي يجب أن نحرص على التقوى فيه حتى لا تتفكك المجتمعات والأسر فإذا وجدت التقوى في كل الأمور تبقى وحدة المجتمع ويبقى الانتماء وقد جاءت كلمة التقوى كثيراً في السورة *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا* آية ١، *فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* آية ٢، *وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا* آية ٤، *ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا* آية ٥.

* من اللمسات البيانية فى سورة الطلاق*

آية *١* :

* ما اللمسات البيانية في آية سورة الطلاق *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ *١ *

د. حسام النعيمي

يا أيها النبي نداء للنبي - صلى الله عليه وسلم - يفترض في غير القرآن لما يقول: يا فلان، أن يقول: إذا فعلت كذا، لكن قال *يا أيها النبي إذا طلقتم النساء* حكم عام، هذا يُفهم منه أنه عندما يكون الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - المراد بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أمّته لأنه متابَع فلما يُخاطَب معناه خاطب الأمة . لما يقول يا أيها النبي معناه يا أيها النبي ويا أتباع النبي فتأتي العبارة بخطاب المؤمنين كأنه محذوف: يا أيها النبي أنت ومن معك إذا طلقتم النساء لأن الحكم ليس خاصاً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - . إذا خصّه بشيء يكون خاصاً به كما في قوله تعالى *وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ *٥٠* الأحزاب* هذا نص، لكن لما يقول *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا *٥٩* الأحزاب* شيء عام، أي وبنات المؤمنين أيضاً، لأن بنات المؤمنين دخلت ضمن بناتك. الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما يتصرف بشيء، لما يخاطَب بحكم إلا إذا كان دلّ دليل على أن ذلك الحكم خاص به. ليس هناك خلط في النص القرآني *إذا طلقتم النساء* كأنه قال يا أيها النبي ويا أتباع النبي. وقد يكون للتعظيم أنه لما تخاطب تقول: أنتم ذكرتم كذا،

لكن هذا ليس مراداً بقدر ما هو مراد للتنبيه أنه لما ينادى النبي - صلى الله عليه وسلم - المؤمنون ينتبهون فيذكر لهم الحكم العام. الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يتصرف أحياناً ويقول كلاماً - حتى نفهم كثيراً من الأحاديث التي قد يُشكل فهمها على القارئ - لما يقول كلاماً هذا معناه أنه يريد أن يعلّم المسلمين.

في الحديث الصحيح في الترمذي وابن ماجه وأحمد "عن أنس في الترمذي وعن جابر في مجمع الزوائد: عن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول:" يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك "، قالوا: يا رسول الله! آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال:" نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبه كيف يشاء ". كيف فهمها الصحابة ؟ هل أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو لنفسه *ثبت قلبي* ؟ ما دخل أنه يخاف علينا بالدعاء؟ فهِم أنس أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما يقول شيئاً معناه تعلّموا هذا ورددوه، فلما قال الحديث كأنه يقول قولوا هذا واحفظوه معي. كان - صلى الله عليه وسلم - يكثر من الدعاء ففهم الصحابة أنه يعلّمهم. ولذلك لما يقول - صلى الله عليه وسلم - : إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة ، أي تعلّموا، استغفروا ولا يعني أنه حاشاه كان - صلى الله عليه وسلم - يُكثر من الخطأ فيكثر من الاستغفار. هذه فرصة لبيان هذه الجزئية ."

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن: إذا طلقتم معناه إذا باشرتم أو قاربتم التطليق، إذا نويتم أن تطلّقوا ليكن التطليق وهنّ مستقبلات العدة لأنه لما يطلقها ستلتزم بعدة ، أشهر معينة ،

إما بالحيض أو بإنتهاء الحيض *القُرء إما الحيض وإما الطهر* وهي مستقبلة لما سوف تعدّه، أما وهي في داخل الحيض لا يجوز. كما قال تعالى *إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم* أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضأوا. فلما يأتي الفعل أحياناً ليس بمعنى المباشرة ولكن بمعنى قرب المباشرة ، إذا قاربتم ذلك.

* لعدتهن*: اللام هنا كأنها لام الزمن، تسمى اللام التي للزمن. لما يقول الكاتب: "انتهيت من كتابة هذا الكتاب لثلاث خلون من رجب" أي لهذا الوقت. فطلقوهن لوقت عدتهن، للوقت الذي يمكن أن يعتدّدن فيه فهي في الحيض لا تعتدّ، فلا يجوز أن تطلق وهي في هذا الحيض. هذه الآية وتبقى الأحكام الفقهية المستنبطة من الآية ومن بعض الأحاديث والواقع هذه شأنها لأهل الفقه ونحن نتكلم على جانب الآية كما هي وفتاوى العلماء تؤخذ من أصحابها من أهل العلم. ولذلك نقول هدم البيت لا يكون بسهولة ، يغضب الإنسان ويقول أنت طالق، لا ولكن يجب أن ينظر في حالها، ينظر في وضعها، أنها ليست حائضاً، أنها في طهر لم يمسها فيه، كانت حاضت وانتهى حيضها وهي طاهر فإذا كان قد واقعها فلا يجوز له أن يطلقها حتى تأتي الحيضة وتنتهي وتعود طاهر في طهرها لم يمسها فيه عند ذلك يطلق. لاحظ المدة لأن الإسلام يريد أن يبقى البيت مبنياً ليست مسألة فورية لعل النفوس تهدأ وسنجد في نهاية الآية *لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا* .

*وأحصوا العدة *: أي إضبطوا العدد وكان العدد يضبط بالحصى إذا أراد أن يعد شيئاً يعده بالحصى *حصاتين، ثلاث، أربع* وأصل الإحصاء

مأخوذ من الحصى كانوا يعدون بالحصى . هذا الذي كان جالساً في المسجد كان يسبح ٣٣ ويحمد ٣٣ ويكبر ٣٣ فواضع أمامه حصيات ينقلها من مكان لمكان فأنكر عليه إبن عباس رضي الله عنهما وقال لو أن كل المسلمين أحصوا بالحصى يمتلئ المسجد بالحصى فالتسبيح يكون على السُلامى واستنبط منه بعض العلماء إنكار التسبيح بالمسبحة ، هذا اجتهاد إبن عباس قد لا يلزم الآخرين لكن إجراؤه سليم. فإذن أصل الاحصاء من الحصى . أحصوا العدة : أي أتقنوا إحصاء وقتها.

* واتقوا الله ربكم*: لاحظ هذه اللمسة لم يقل واتقوا الله فقط. كان يمكن في غير القرآن أن يقول: "أحصوا العدة واتقوا الله" لكن كلمة ربكم جاءت هاهنا لأن الربّ فيه معنى التربية وفيه معنى التوجيه وفيه معنى الرعاية فالمربي يرعى من يربّي. فإذن اعلموا أن هذا الحكم هو من رعاية هذا الربّ سبحانه وتعالى . *إتقوا الله* تخويف من الله أي خافوا الله، ثم *ربكم* الذي يعلّمكم فجمع بين التخويف وبين هذه اللمسة لقلوب المؤمنين أن هذا الحكم ليس قاسياً عليكم، ليس لإيذائكم، ليس للاضرار بكم. فخافوا من الله أن تخالفوه واعلموا أنه لخيركم من مربٍّ *واتقوا الله ربكم* .

لاحظ الواو في *وأحصوا، واتقوا* كان يمكن أن يقول في غير القرآن "ولا تخرجونهن" لكن حذف الواو كأنه ابتدأ كلاماً جديداً لبيان أهمية ما سيأتي بعده *لا تخرجوهن* . الواو للعطف فيها ربط لكنه كأنه قال قفوا، هناك شيء، قال *لا تخرجونهن من بيوتهن* لم يقل: ولا تخرجونهن، كأنه حكم مهم

إشارة إلى أهميته. ثم قال *لا تخرجوهن من بيوتهن* قال بيوتهن مع أنها بيوتهم والبيت للرجل لكن سماه: من بيوتهن إشارة إلى شدة إلتصاقها بالبيت، لا تخرجها هذا بيتها، لا تخرجونهن من بيوتهن لا يجوز لك أن تُخرج المطلقة من بيتها. أدب القرآن أن تبقى في بيتها. *ولا يخرجن* هي أيضاً لا تغادر البيت وتبقى وهذا نوع من التقريب: تبقى في البيت وهو في البيت وهي لا تخرج وقد يكون هذا سبباً في إعادة الألفة ممكن صار إصرار بسبب من الأسباب وإنتظر لوقت الطهر وبقي مصراّ على الطلاق وبعض العلماء يقولون هذا حكم *لا تخرجوهن* نهي و *ولا يخرجن* هذا نفي أريد به النهي إلا إذا إتفقا من غير إرهاق. وسبق وقلت أن هذه القضايا الفقهية لا نخوض فيها. المطلقة لا يجوز لزوجها أن يخرجها من بيتها ولا تخرج هي من البيت مدة العدة وتبقى هناك فتاوى فقهية لأهل الفقه.

إلا* إستثناء أي أن الخروج معلّق على شرط *أن يأتين بفاحشة مبيّنة * الفاحشة هي كل ما فيه عِظَم في الإساءة . يقال هذا ثمن فاحش أي فيه مغالاة . فأي عمل فيه مغالاة في السوء قد يُسبب إخراجها، يقولون إذا أساءت إساءة عظيمة إلى الرجل - قبل مدة شاهدت إحدى الأستاذات جزاها الله خيراً على ما تقوم به من توجيه، إتصلت بها امرأة تشكو قضية مع زوجها تقول لها عندي مشاكل مع زوجي وضربته بالشبشب فما الحكم في هذا؟ فأخفت الأستاذة وجهها وصارت تضحك - إذا وصل الأمر إلى هذا الحد أن تتجاسر على زوجها فهذه فاحشة . الفاحشة هي الفعل السيء العظيم ومنه الزنا. فإذا ارتكبت الزنا في بيتها عند

ذلك تخرجها بإقامة الحدّ عليها. ومنه رتب الفقهاء أنه ليس الزنا حصراً فاحشة فالزنا نوع من الفاحشة وإنما إذا إرتكبت فاحشة بحق زوجها أو حق أم زوجها وهي في البيت ويقدره أهل العلم في وقتها يمكن أن تخرج من بيتها أما بدون هذا *ولا يخرجن* .

*مبيّنة * أي فاحشة واضحة صريحة يعلمها الناس، لا تقول هي نظرت إليّ نظرة شزراً هذه فاحشة بالنسبة لي، لا، هي ليست فاحشة مبيّنة عند الناس لكن أن تقول لك كلاماً أو تتصرف معك تصرفاً هو من السوء العالي العظيم لأن البيت في الغالب كان يعني الحُجرة ، الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مرض موته طلب أن يُطبّب في بيت عائشة *بيت عائشة كان حجرة * حجرات أمهات المؤمنين لذا كان هناك ستارة تختبئ وراءها المرأة إذا جاء ضيوف.

* وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ*: لأنه يسيء إلى نفسه ويدخلها النار. لا تدري هذا الحكم من أجل ماذا هذا التطويل؟ *لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا* لعل الله تعالى يجمع بينكما من جديد. فإذن الإسلام يحرص على عدم هدم البيت المسلم لأنه أساس بناء المجتمع المسلم. الطلاق في الإسلام ليس بالأمر السهل الهيّن، هذه المراحل والمراتب وتبقي المرأة في حجرتك تنامون وتجلسون وتأكلون حتى الغُسل كان يتم في نفس الحجرة إلا قضاء الحاجة فكان خارجاً في الخلاء. إذا حصل كدر في وقت من الأوقات لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً. هذا من حرص الإسلام على الصلح.

* ما الفرق بين *ماأدرى * و *لاأدرى * و *إن أدرى * ؟

د. فاضل السامرائي

عندنا في مزايا اللغة العربية التي لا يمكن التعبير عنها في اللغات الأخرى تعدد أدوات النفي. تقول أنا ما أذهب، أنا لا أذهب، أنا إن أذهب، أنا لست أذهب، كلها تقولها في الإنجليزية **I don't go** . *إن أذهب* وردت مثلها في القرآن في قوله *وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ *١٠٩* الأنبياء* بمعنى نفي *ما* . في القرآن قال *وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ *٩* الأحقاف* نفاها بـ *ما* ، *وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ *٣٤* لقمان* قال *لا تدرى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا *١* الطلاق* قال ما أدري وقال إن أدري وقال لا أدري، نفاها كلها. الفرق من حيث الدلالة المعلوم المشهور أنه إذا نفيت الفعل المضارع بـ *ما* دلّ على الحال يعني ما أدري الآن، لا أدري أكثر النحاة يخصصوها للاستقبال لكن قسم من النحاة يقول هي للحال والاستقبال مطلقة وأكثرهم يخصصوها بالاستقبال والزمخشري يقول لا ولن أختان في نفي المستقبل وهذا عليه أكثر النحاة وأنا أميل أنها تكون للحال والاستقبال وأستدل بما استدل به بعض النحاة في القرآن *مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ *٢٠* النمل* حال، *أنا لا أفهم ما تقول* حال، *وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً *٤٨* البقرة * للاستقبال فهي إذن مطلقة . خاصة هي منتهية بالألف والألف حرف مطلق لا يمتد به الصوت فهي ممتدة . *إن أذهب* إن أقوى كما يقول النحاة . *لست أذهب* ليس فيها الكثير أنها تنفي

الحال لكن فيها جملة اسمية وفعلية فهي مركبة .
*

لم أذهب* هذا المضارع، ما ذهبت، لمّا أذهب، إن ذهبت، لست قد ذهبت، كلها نقولها بالانجليزية I didn't do صيغة واحدة ، *ما* جواب القسم أصلاً، *لمّا* اللام كما بدأ بها سيبويه في باب نفي الفعل قال فعلت نفيه لم أفعل، والله لقد فعل نفيه ما فعل، قد فعل نفيه لمّا يفعل، ليفعلنّ نفيه لا يفعل، سوف يفعل نفيه لن يفعل، هذه النصوص موجودة وكل واحدة لها دلالة .

آية *٣* :

* هل كل من يتقي الله ويتوكل عليه يرزقه الله تعالى كما في الآية *ومن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا *٢* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا *٣* الطلاق* وقوله تعالى *توكل على الحيّ الذي لا يموت* ؟

د. حسام النعيمي

الآية موضع السؤال في أصلها تتعلق بالكلام في موضوع النساء وطلاق النساء لكن العبارة عامة . هي الآية بتمامها الكلام عن المطلقات *فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا *٢* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا *٣ * لكن هذه القطعة من الآية هي عامة *وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ

يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا *٢* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ*. السؤال عن معنى التوكل، وهل من خلال الآية المتقي المتوكل مرزوق حتماً؟ فيما يتعلق بمعنى التوكل هناك أصل من أصول العقيدة الإسلامية أنه لا يتم أمر إلا برضى الله عز وجل، إلا بما يريد *وَآَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا *٨٤* فَأَتْبَعَ سَبَبًا *٨٥* الكهف*وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا *٣٠* الإنسان*. هناك أصل آخر أيضاً أن الإنسان ينبغي أن يسعى لأن معنى التوكل أن تخرج من طاقة نفسك وجُهدها وحولها إلى حول الله سبحانه وتعالى . أن تقول يا رب ليس لي حول، تُلقي بأمرك على غيرك هذا معنى التوكل. لكن فيه لمسة وهي أن المتوكل في المفهوم الإسلامي ينبغي أن يقدّم جميع الأسباب ثم يتوكل لأنه عندنا حديث عن الأعرابي الذي قال له - صلى الله عليه وسلم - : أعقلها وتوكّل. أي إربط الناقة بالعقال لأن الناقة تربط من ثنيّة يدها حتى لا تستطيع أن تسير فتبقى باركة أو يمكن أن تقف لكن لا تستطيع أن تمشي. *

إعقلها وتوكل*: معناه إتخذ الأسباب وتوكل. الأسباب لا بد من إتخاذها لذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وجد أناساً في المسجد في غير وقت الصلاة سألهم: ما تصنعون؟ قالوا: نحن المتوكلون على الله ويأتينا رزقنا، قال: بل أنتم المتواكلون إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . وأمرهم بالسعي والعمل. في قوله تعالى لمريم عليها السلام *وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا* هي ولدت حديثاً تحتاج إلى الرطب الحلو هي لا تستطيع أن تعمل وتحتاج إلى

الرطب، كان الله عز وجل وهو قادر على أن ينزل عليها الرطب كرماً لها وقد جاءها بالغذاء لما كان يسألها زكريا *أنّى لك هذا قالت هو من عند الله* ذاك كان من غير سعي، الله تعالى كان يرزقها من غير سعي لكن *وهزي إليك بجذع النخلة * أنت تريدين وتحتاجين إلى رطب والرطب لا ينزل لوحده فينبغي أن تعملي وإن كان عملك في الحقيقة لا يؤدي إلى هز جذع نخلة ورجل بكامل قوته لا يستطيع أن يهز جذع نخلة فما بالك بامرأة ضعيفة فما بالك وهي ولدت حديثاً؟ لكن القرآن الكريم يريج أن يعلمنا أنه ينبغي أن نقدم الأسباب، لا بد من سبب وإن كان ضعيفاً لكن حتى لا نتعبّد بالأسباب وننظر إلى أن السبب هو الفاعل أعطانا مثالاً لمريم كأن يأتيها الرزق وهي في مكانها من غير أن تقدم سبباً يأتي حتى لا نتعبد بالأسباب. فلا نقول السبب هو الفاعل وإنما الفاعل هو الله سبحانه وتعالى . فإذن التوكل غير التواكل: التوكل أنك تحسب الأمور حساباً دنيوياً هذا يكون كذا وهذا يكون كذا أفعل كذا وأفعل كذا ثم تعتقد يقيناً أنه لن يكون هناك نتيجة إلا بتوكلك على الله تعالى وإلقاء الأمر إليه جلّت قدرته أنه يا رب هذا كل ما أستطيعه والأمر إليك من قبل ومن بعد حتى يبقى المسلم وثيق الصلة بقدر الله سبحانه وتعالى لا ينفك عنه دائماً.

هذا فيما يتعلق بالتوكل إذن نقدم كل الأسباب المؤدية إلى النُجح ثم نقول يا رب توكلنا عليك من قلوبنا لأنه أنت تقدم جميع الأسباب ثم لا يكون ما تريد في كثير من الأحيان.

ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب هذا عهد من الله تعالى ينبغي أن

نطمئن إليه لأنه عندنا شرط *من يتق الله* وجواب شرط *يجعل له مخرجا* . التقوى وكن مطمئناً أن الله عز وجل سيجد لك مخرجاً ويرزقك من حيث لا تحتسب *يرزقك: هذا معطوف على المجزوم وهو مجزوم* وهو داخل ضمن العهد. الله تعالى يتعهد جلّت قدرته *ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب* . هنا وقفة قصيرة : الموظف يقول أنا رزقي واضح أشتغل الشهر بكامله ونهاية الشهر آخذ مرتبي فرزقي ثابت واضح فكيف يرزقني من حيث لا أحتسب؟ هنا ينبغي أن نبيّن مفهوم الرزق. الرزق نوعان رزق بمال يدخل إليك هذا المنظور، ورزق بضُرٍ يدفعه الله عز وجل عنك هذا رزق أيضاً وهو مستور. يمكن هذا الموظف الذي يقول رزقي ثابت أنه ضرسه تؤلمه، فيذهب إلى الطبيب، يمكن أن الله سبحانه تعالى يجعل الأمر خفيفاً بحيث أنه لا يحتاج إلى تنظيف بسيط ويمكن أن تحتاج لحشوة جذر تكلف ألف درهم فالفارق هو رزقه لما كفّ عنك حشو الجذر وجعل أمره سهلاً المبلغ الفارق هو رزق جاءك وأنت لا تعلمه. الرزق الذي يدفع الله عز وجل عنك ضراً هو أرحم بك مما يدخل جيبك لأن الثاني يكون فيه ألم الضرس ودفع المال. فإذن هكذا ينبغي أن نفهم رزق الله عز وجل. الرزق ليس دخول شيء وإنما كفّ ما يقتضي الإنفاق أن الله عز وجل يكف عنك، فيكون رزقك من حيث لا تحتسب. فضلاً عن أن هناك رزق يأتيك ن حيث لا تحتسب أحياناً أنت جالس في ندوة معينة ويقال هناك أسئلة وأجوبة وجوائز وفجأة يأتيك سؤالاً تعرفه فيأتيك رزق أنت ما كنت محتسباً له. بالإضافة إلى بركة الله أن الرزق يبارك فيه.

فإذن نثق ونطمئن أن من يتقي الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب *ومن يتوكل على الله فهو حسبه* يعني الله يكفيه ويغنيه عن غيره. عندما نقول حسبي الله يعني يكفيني الله سبحانه وتعالى . *فهو حسبه* أيضاً هذا عهد. هذا أسلوب الشرط والجواب. في الحديث الشريف "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما تُرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً" ليس كما ترزق الطير في عشها وإنما تغدو أي تذهب وتفتش عن الحبوب فهي تقدم الأسباب ويمكن أن يذهب الطير إلى مكان ولا يجد حَبّاً لكن يجب أن يذهب ويفتش فالمسلم ينبغي أن يكون هكذا ويذهب يغدو ويعود. هذا التوكل الحق أن الإنسان لما يخرج من حول نفسه إلى حول الله سبحانه وتعالى بعد أن يقدم الأسباب لأن هذا أصل من أصول الفكر الإسلامي. الحول هو القوة والطاقة والجهد *لا حول ولا قوة * أي لا طاقة لنا.

استخدام القرآن للفظ التوكل ولم يقل يعتمد مثلاً: لأنك كأنك توكل هذا الأمر كأنك تجعله وكيلاً عنك. نحن الآن نوكل شخصاً نقول وكّلته أي جعلته مقام نفسي بحيث له أن يبيع ما عندي ويشتري وأن تقيمه مقام نفسك. أما الإعتماد فأصله أن تتكئ على شيء تجعله عموداً لك كالعصى *إعتمد عصاه* أي إتكأ على العصا. تتكئ يعينك في شيء أما أن يكون وكيلاً عنك يعني يتصرف بدلك. لما توكل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى لما تقول *اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك* هذه الخصلة من الشعر إسحبني حيث شئت يا رب، لو قلت هذا الإنسان نبيل كريم لن يخذلك وسيختار لك الخير فما بالك

عندما تقولها لرب العزة سبحانه وتعالى تقول له يا رب ناصيتي بيدك أنت توكلت عليك تكون مطمئناً *فهو حسبه* أي يكفيه الله سبحانه وتعالى .

هل هناك لمسة بيانية بين الفعلين يتق ويتوكل؟ التقوى هو تجنب كل ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى كما يتجنب الإنسان ما يسيء إليه إذا سار في أرض مشوكة يشمّر ويسير فمن يتق الله أي من يتجنب معصية الله سبحانه وتعالى وإغضاب الله عز وجل. التقوى ليس خوفاً وإنما هي خشوع في القلب وتجنب لما لا يرضي الله سبحانه وتعالى . الإنسان يتجنب هذا الذي يغضب ربه عز وجل، إتق الله يعني تجنب أن تسقطه، خف منه، فيها معنى الخوف، معنى الخشوع والهيبة وليس الخوف الإعتيادي الذي فيه خوف مع بغضاء وإنما هذا خوف مع حب، أنت تحب الله تعالى وتخشاه وتستحي منه. الخشية والخوف والإستحياء كله ينجمع في التقوى . أما التوكل أنك وأنت خاشع خاضع متجنب للمعاصي متقي تُلقي بأمور حياتك كلها إلى اله تعالى تقول يا رب تولّى هذا الأمر أنت وأنا قدمت الأسباب أنجح أو لا أنجح لا أدري لكن أنت كن وكيلي ولله المثل الأعلى نحن نقول فلان وكيلي فيقوم مقام نفسي فما تظن بالله سبحانه وتعالى عندما يكون مقام نفسك كيف سيعاملك، كيف سيختار لك؟ ولا شك كل ما يختار لك خير حتى ما يبدو في ظاهره أنه فيه أذى لكن هو فيه خير لك يقيناً.

تنكير كلمة *مخرج* هل هو للدلالة على أي مخرج؟ لم يقل يجعل له المخرج المعلوم. سيكون هناك مخرج ما هذا المخرج؟ لا ندري لكن على جه

اليقين هناك مخرج كما قال موسى - عليه السلام - *قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ *٦٢ * لا يدري كيف ولكن هو يقيناً الله تعالى سيوجهني ويهديني إلى طريق الخلاص. كلمة *كلا* في الآية كلمة ردع وانظر إلى القرآن كيف استعمل؟ في البداية قال: *وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ *٥٢ * رفع لقيمتهم لكن لما قالوا *قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ *٦١ * نزلوا رتبة وقال *أصحاب موسى* ولم يقل عبادي. في البداية قال *أسر بعبادي* رفعٌ لقيمتهم لأنهم كانوا هم المؤمنين لكن لما وصلوا البحر صار عندهم شك قالوا *إنا لمدركون* وهذا الشك أنزلهم رتبة من عبودية الله إلى صحبة موسى - عليه السلام - وهي رتبة عالية ولكن شتان بين أصحاب موسى وعباد الله فقال تعالى *أصحاب موسى* ولم يقل عبادي.

آية *٤* - *٦* :

* ما الفرق من الناحية البيانية بين كلمتي *واللآئي* و *اللآتي* في القرآن الكريم؟

د. فاضل السامرائي

لفظ اللآئي هي لفظة متخصصة وهي مشتقة من اللآء أو التعب وقد استخدم هذا اللفظ في الآيات التي تفيد التعب للنساء كما في الحيض في قوله تعالى: *واللآئي يئسن من المحيض* . أما لفظ *اللآتي* فهو لفظ عام.

*وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ *٤* الأطلاق*وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ *٦* الطلاق* ما

الفرق بين الأحمال والحمل؟

د. فاضل السامرائي

الأحمال جمع وحمل مفرد. الأحمال جمع حَمل ما في البطن يسمى حَمل وما على الظهر يسمى حِمل. نقرأ الآيتين يتكلم عن المطلقات *وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا *٤* الطلاق* هنا أحمال، *أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى *٦* الطلاق* هذا سياق الآيات. *وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ* هل تختلف أولات الأحمال في الحكم؟ لا تختلف، كلهن تسري عليهن القاعدة . أما الآية التي بعدها تختلف، تختلف بأمرين:

أولاً هذا الإنفاق والإنفاق بحسب قدرة الزوج *لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ *٧* الطلاق* إذن هن لسن بحالة واحدة من حيث الإرضاع توافق أو لا توافق، ترضع أو لا ترضع، إذن الحالة الثانية مرتبطة بأمرين أما الأولى فهي عامة تشمل الجميع. الثانية مرتبطة بحالة الزوج *وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ* ومرتبطة برغبة الزوجة في الإرضاع وغير الإرضاع، متعلقة بحكمين مختلفين، أيها الأكثر الأولى أو الثانية ؟ الحكم الأول أو الحكم الثاني؟ الحكم الأول أكثر وأشمل وأعم إذن جاء

بالجمع *وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ* ليس فيها اختلاف بينما الثانية فيها اختلاف. أولات بمعنى صاحبات.

المعنى المفهوم من هذا التركيب *أولات أحمال*أولات حمل* ألا يجعلنا نفهم أنهن اللاتي يضعن حملهن؟.

الأولى يشمل الجميع لا تتخلف واحدة عنها أبداً، أما الثانية مختلفة *أولات حمل* لما تغيرت الأحكام تغيرت الصيغة وأصبحت أقل.

أولات حمل ألا نفهم منها معنى الجمع أيضاً؟

طبعاً *أولات* جمع مثل أولي علم لكن لاحظ الاستعمال في الجمع والإفراد، لماذا اختار الإفراد واختار الجمع؟ على القلة النسبية ، الثانية قطعاً أقل لأنها مرتبطة بأمرين مختلفين سعة الزوج ورغبة الزوجة في الإرضاع، الأولى يشملها كلها، في الأولى يشمل الجميع إذن يشمل الكثرة والقلة وهذه من باب مراعاة السياق، مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

آية *٧* :

* ما الفرق بين *لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آَتَاهَا* الطلاق، وبين *لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا* البقرة ؟

د. حسام النعيمي

لو نظرنا في الآيتين سنجد السبب واضحاً. الآية الأولى كانت تتكلم على التكاليف عموماً *لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ *٢٨٦ * في التكاليف وفي أمور الحياة وفي العمل. إذا عمل خيراً يكون له وإذا عمل سوءاً يكون عليه وهذا في عموم التكاليف فقال الله عز وجل *لها ما اكتسبت وعليها ما اكتسبت* فهو كسبٌ وإكتساب.

لكن الآية الثانية *لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا *٧ * الإيتاء هو الإعطاء. لما ننظر في سياق الآية الكلام على المال أي ما آتاها من مال *لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا* فالكلام على الإنفاق ولما يكون الكلام على الإنفاق الإنسان ينفق. والكلام هو على المطلقات أي ما أعطاها من الرزق، فلا يكلف الفقير أن ينفق ما ليس في وسعه بل لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها من حيث المال عندما يكون هناك إنفاق فبقدر ما عندك تُنفِق *لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ* بهذا القدر أي بمقدار ما آتاه الله *لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها* . أما هناك *لا يكلف الله نفساً إلا وسعها* فهي في التكاليف.

والتي في التكاليف للعلماء وقفة فيها: *لا يكلف الله نفساً إلا وسعها* جمهور العلماء قالوا كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - "إذا أمرتكم بأمر فاتوا به ما استطعتم" أي بقدر طاقتكم. الصلاة مثلاً أمر إذا كان الإنسان مريضاً يؤديها بطريقة أخرى فبقدر وسعه وبقدر طاقته ولذلك يقول مثلاً

لما وُصِف صفة صلاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هل وُصِفت وهو - صلى الله عليه وسلم - في داخل الصف أو خارج الصف؟ وصفته وهو إمام خارج الصف يعني منفرداً فإذن هذه صفة المنفرد قد لا تنطبق في بعض جزئياتها على من هو داخل الصف، يقول العلماء المجافاة بين الإبطين عند السجود هي للمنفرد أو جلسة التورك والإفتراش هذه للمنفرد الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: صلّوا كما رأيتموني أصلي "لكن لو فعلتها في الصف قد يؤذي جارك، إذا كنت تصلي السُنّة أو تصلي إماماً تفعلها لكن في الجماعة لا تفعلها لأنك قد تؤذي المصلين معك. وقوله - صلى الله عليه وسلم - :" فاتوا منه ما استطعتم "أي وأنت منفرد تورّك وإفترش وافعل ما فعله الرسول - صلى الله عليه وسلم - لكن لما تجد نفسك قد آذيت جارك إجلس الجلسة الإعتيادية"

وقول آخر *لا يكلف الله نفساً إلا وسعها* معناها إن جميع التكاليف هي في وسع البشر لأنه سبحانه و تعالى لم يكلّف البشر شيئاً لا يطيقونه هذا يحتاج إلى إستنباط أنه لم يكلفهم ما لا يطيقونه فإذا كانوا لا يطيقون يخفف عنهم. بهذا الشكل حتى نجمع بين الأمرين.

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها* دلالة التنكير للأنفس هي للعموم والشمول أي جنس النفس أيُّ نفس لا يكلّفها الله تعالى إلا وسعها، إلا ما تطيقه. الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما يقول "إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن أمرفانتهوا" في مسألة النهي نقطع فلما نُهينا عن الربا انتهى الأمر لا نقول هذا ربا وهذا رُبيّ ربا خفيف هذا لا يجوز. وإذا أمرنا بأمر نأتي منه بقدر

طاقتاتنا. أمرنا بالصيام فإذا كان الإنسان مريضاً يخفف عنه. والوسع هنا بمعنى الطاقة أو القدرة *لا يكلف الله نفساً إلا وسعها* أي إلا ما تطيقه، ما تستطيعه.

* في سورة البقرة قال تعالى *لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا *٢٨٦ * وفي آية أخرى قال *لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا *٧* الطلاق* فما الفرق بين الآيتين؟

د. أحمد الكبيسي

لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا في القدرة على أداء التكاليف يعني صلاة صوم زكاة ، *لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا* من حيث الصدقات يعني العبادات المالية والعبادات العسكرية "رب درهم غلب مائة ألف درهم" واحد مليونير عنده عشرة ملايين درهم تبرع بمليون درهم هذا عمل عظيم وواحد عنده درهمين تبرع بدرهم هذا أجره أكبر لأنه تبرع بنصف ماله وذاك تبرع بعشر ماله.

* لماذا جاءت الآية *سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا *٧* الطلاق* ولم تأتي على نسق قوله تعالى *إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا *٦* الشرح*؟

د. فاضل السامرائي

* سيجعل* هنا ذِكر حالة عسر كما في قوله تعالى *وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ* ليس معه يسر الآن وإنما قُدِر عليه الرزق الآن وهو مُضيّق عليه واليسر سيكون فيما بعد *لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا *٧ * فهذه حالة واقعة

خاصة معيّنة والتوسعة ستكون فيما بعد. ولا يمكن أن تأتي محلها *إن مع العسر يسرا* فهذه حالة عامة هذه في سورة الشرح وفيها رأيان قسم يقول أنها خاصة بالرسول - صلى الله عليه وسلم - لأن سورة الشرح والضحى خاصتان بالرسول - صلى الله عليه وسلم - أن مع العسر الذي هو فيه سيكون معه يسر وقسم يقول هذه عامة بمعنى أن الله تعالى إذا قضى عُسراً قضى معه اليُسر حتى يغلبه، فالله تعالى قدّر أنه إذا قضى عُسراً قدّر معه يُسراً.

إذن الآية الأولى حالة خاصة ومسألة معينة ولا يصح معها *إن مع العسر يسرا* لأن الرزق مقدّر ومُضيّق عليه الآن والآية وعد بأن ييسر الله تعالى له فيما بعد.

آية *١١* :

* ما اللمسة البيانية في استعمال الإفراد ثم الجمع ثم الإفراد في قوله تعالى *وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا *١١* الطلاق*؟

د. فاضل السامرائي

ذكرنا سابقاً أن *من* في سنن العربية يُبدأ معها بالإفراد الذي يعود على لفظ *مَن* ثم يُؤتى بالذي يفسّر المعنى.

جاءت *خالدين* بالجمع لأن القرآن لم يذكر أبداً خالداً في الجنة بصيغة المفرد أما في النار فجاءت بالإفراد وبالجمع والإفراد في النار تدل على أن العزلة وحدها عذاب ولآن هناك من يُعذّب بالعزلة

والإفراد ومنهم من يُعذّب بالنار، أما المؤمنون فتأتي خالدين فيها بالجمع للدلالة على الألفة .

ثم نسأل لماذا عاد إلى الإفراد في قوله تعالى *قد أحسن الله له رزقا* ؟ الإفراد للدلالة على أن لكل فرد رزقاً ولو قال تعالى *لهم* تصبح للعموم ولا تعني كل واحد يُحسن له الرزق. فالإفراد دلّ على أنه تعالى أفرد كل واحد على وجه الخصوص يُحسن له الرزق وليس على العموم وهذا تنصيص.

من تأتي للمفرد والجمع والمثنى والمذكر والمؤنث وتأتي أولاً بصيغة المفرد ثم يأتي بعدها بما يخصص المعنى وهذا هو الأكثر في القرآن إلا إذا اقتضى السياق والبيان أن يخصص ابتداءً كما في قوله تعالى *وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ *٤٢* يونس*.

آية *١٢* :

* ما دلالة كلمة *مثلهنّ* في قوله تعالى *ومن الأرض مثلهنّ* في سورة الطلاق؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة الطلاق *اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً {١٢}* والمثلية هنا ليس بالعدد إنما لها أمور كثيرة لا نعرفها نحن. كما قال تعالى *وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنّة حيث نشاء* وقوله تعالى *يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسماوات* .

* تناسب فواتح سورة الطلاق مع خواتيمها*

أغلب السورة في أحكام الطلاق. تبدأ *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ *١ * وفي آخرها *فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آَمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا *١٠* رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا *١١ * ، يا أيها النبي، رسولاً من عند الله، هذا النبي هو رسول من عند الله. السورة كلها في أحكام الطلاق.

* تناسب خواتيم الطلاق مع فواتح التحريم*

سورة الطلاق هي في الطلاق، وفي التحريم قال *عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا *٥ * كأنما هي استكمال للآيات الواردة قبلها في سورة الطلاق. في خاتمة الطلاق *لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا *١٢ * وفي التحريم *وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ *٣ * نبّأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما حدث.

ألا يجعل هذا يسبب استشكالاً على القارئ العادي حتى يفهم مضامين القرآن ويعمل على سبر أغواره؟

ليس مطلوباً من القارئ العادي أن يعلم هذا ولكن مطلوب من كل واحد أن يفهم ما لديه من بضاعة والشخص ليس مكلفاً بغير قراءة الفاتحة يقيم بها الصلاة والباقي يأتي على حسب ما أوتي من عِلم.

سورة التحريم

* تناسب خواتيم الطلاق مع فواتح التحريم*

سورة الطلاق هي في الطلاق، وفي التحريم قال *عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا *٥ * كأنما هي استكمال للآيات الواردة قبلها في سورة الطلاق. في خاتمة الطلاق *لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا *١٢ * وفي التحريم *وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ *٣ * نبّأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما حدث.

* هدف السورة *

دور الأسرة في قضية الإنماء دور هام وعظيم *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ* آية ٦ فالأسرة محور أساسي في ترابط المجتمع وبدونها يتفكك ولا يوجد أنتماء والمرأة لها دور أساسي في كل هذا لأنها هي التي تربي الأجيال وتؤثر على أفراد المجتمع وهي مصنع الرجال. وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة عن نماذج نساء نجحوا في انتمائهم كامرأة فرعون ومريم بنت

عمران *وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ* آية ١١ و ١٢ وأخريات فشلوا في هذا الانتماء للدين واختاروا غيره فنالوا عقابهم *ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ* آية ١٠ - فالانتماء مسألة هوية وآن لنا أن ننتمي للدين وللأمّة الإسلامية .

* من اللمسات البيانية فى سورة التحريم*

آية *١* :

* ما الفرق بين يا أيها النبي ويا أيها الرسول؟

د. فاضل السامرائي

الرسول من الرسالة التبليغ حتى لو لم يكن نبياً *قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا *١٩* مريم* الرسول معه رسالة تبيلغ والنبي أعم قد يكون رسولاً وقد يكون لنفسه ليس مكلفاً بتبليغ دعوة إلى الآخرين. كلمة النبي أعم وكل رسول نبي وليس كل نبي رسول. قد يكون ليس مكلفاً بالتبليغ مثل يعقوب عليه السلام غير مكلف بالتبليغ هو نبي وإسحق نبي، المكلف بالرسالة والتبليغ هو رسول وغير المكلف هو نبي والنبي قد يكون رسولاً وقد يكون غير رسول. لما في القرآن يقول يا أيها الرسول ينظر فيها إلى جانب التبليغ *يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن

رَّبِّكَ *٦٧* المائدة * فالنبي أعم وقد يكون رسولاً فقد يستعمل في جانب الرسالة والدعوة والتبليغ وقد يستعمل في جانب آخر في الجانب الشخصي في غير التبليغ مثال: *يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ *٦٧* المائدة *يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ *٤١* المائدة * النبي عامة *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ *٦٥* الأنفال*يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى *٧٠* الأنبياء*يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ *٧٣* التوبة *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ *٢٨* الأحزاب*يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ *١* التحريم* هذا شيء شخصي بينه وبين أزواجه. إذن النبي عامة . القرآن يستخدم يا أيها الرسول إذا كان يتكلم في أمر الرسالة والتبليغ والنبي عامة .

* ما الفرق بين رضوان ومرضاة ؟

د. فاضل السامرائي

الرضوان هو الرضى *الرضوان مصدر* ولم يستعمل في القرآن كلمة الرضوان إلا رضى من الله تعالى أما المرضاة فتأتي من الله ومن غيره والرضوان هو أعظم الرضى وأكبره فخصّه بالله سبحانه وتعالى أما مرضاة فليست مختصة بالله تعالى وإنما تأتي لله تعالى ولغيره *وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ *٢٠٧* البقرة *تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ *١* التحريم* أما الرضوان فهو لله تعالى فقط، خاص بالله تعالى. والرضوان أعلى من الجنة وفي الأثر أنكم لتحتاجون إلى علمائكم في الجنة كما تحتاجون إليهم في الدنيا، فقالوا كيف يا رسول الله؟ قال

يطُلّ الله تعالى على عباده أصحاب الجنة فيقول سلوني، فيحارون ماذا يسألونه وكل شيء موجود فينظر بعضهم إلى بعض فيذهبون إلى علمائهم يقولون ما نسأل ربنا؟ فيقول العلماء سلوه الرضى.

آية *٣* :

* مطلع سورة التحريم ورد فيها فعل نبأ *وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ *٣ * ثلاث مرات وردت نبّأ ومرة وردت أنبأ فما اللمسة البيانية في هذا؟

د. فاضل السامرائي:

السؤال في آية التحريم *وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ *٣ * . نبّأ يقتضي التنبيء أكثر من أنبأ مثل علّم وأعلم، أعلم مرة واحدة لكن علّم يقتضي وقتاً علّمته النحو. إذن التنبيء وقته أو ما يُذكر فيه أكثر من أنبأ مثل علّم وأعلم. إذن نبّأ أكثر، هو قال *عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ* قالت *قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا* يعني بهذا الجزء؟ ليس كله، لو قالت من نبّأك؟ يعني كله، هو قال *قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ* يعني كله نبّأه به ربه. قال *عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ* أعرض يعني لم يذكره ما أراد أن يحاسبها حساباً عسيراً فذكر قسماً منه وأعرض عن الباقي ذكر جزءاً من الحديث إذن هو أنبأها جزءاً الإنباء أقل من التنبيء هي قالت *مَنْ أَنبَأَكَ

هَذَا* وهو قال *نَبَّأَنِيَ* نبّأني كله لم ينبئها بكل ما حدث مع علمه به وإنما أنبأها بجزء فقالت *مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا* لأنه جزء والإنباء أقل من التنبيء مثل علّم وأعلم.

د. حسام النعيمي:

* وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ* كلمة بعض في اللغة تعني الواحد أو الواحدة إلا إذا تكررت *بضع من ثلاث إلى تسعة *وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا *٩٩* الكهف* بعضهم لبعض تكون جماعة لجماعة أما إذا جاءت مفردة فالغالب في لغة العرب، هناك شاهد أو شاهدان استعملها للجماعة للقِسم لكن الراجح في كلام العرب وهذا الذي عليه القرآن الكريم أنه إذا استعمل بعض تعني واحداً وهنا جاء بمعنى واحد *بعض أزواجه* . *فلما نبّأت به* فهي كانت إحدى زوجاته - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عنهن جميعاً أسرّ إليها حديثاً، ما هذا الحديث؟ نحن منهجنا في فهم القرآن أنه ما سكت عنه القرآن نسكت عنه. عندنا أحاديث توضح الصورة لكن هذه الأحاديث متفاوتة الدرجات: حديث يتكلم على شرب العسل وحديث يتكلم على مواقعة ماريا القبطية في بيت حفصة رضي الله عنها. هذا الأمر ليس مهماً ولو كان مهماً لأشار إليه القرآن الكريم لكن هو قال *وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا* ما قال لنا ما هو فنقول سرّاً أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - به إحدى زوجاته والروايات تقول أنها عائشة رضي الله عنها وعن أبيها. هي لم تحفظ هذا السر يعني ضاق به صدرها فإتجهت إلى أقرب الناس إليها *زوجة

ثانية من زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - * وبدأت تحدثها بسِرّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال لي كذا وقال لي كذا ولا شك أنها في بداية الأمر ترددت قبل أن تتحدث فهذا أخذ زمناً، الحديث أخذ زمناً والتردد أخذ زمناً هذا يناسب صيغة فعّل لأن فعّل في اللغة تحتاج إلى وقت أطول من أفعل. نبّأ *فعّل* غير أنبأ *أفعل* .

لما تقول: أعلمت زيداً أي أوصلت إليه معلومة لكن لما تقول علّمته التعليم يحتاج إلى وقت ويحتاج إلى جهد. أخرجت الشيء وخرّجته، وهكذا. فصيغة فعّل في لغة العرب تحتاج إلى تلبّث، وقت، زمن يأخذ *فلما نبّأت به* معناه أخذت وقتاً. أخذت وقتاً حتى في الكلام. الحكاية نفسها تحتاج إلى وقت الكلام في وقت هو لم يكن كلمة واحدة أو كلمتين وإنما حديث *وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا* . *فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ* أظهره أي أطلعه وعرّفه أن فلانة أخبرت بحديثك والحديث كاملاً فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لرعايته لبيته ولأهل بيته ولسماحته عرّف بعضه وأعرض عن بعض، معناها الحديث طويل ذكر بعضه وترك بعضه ما خاض في كل التفاصيل وإنما قال جزءاً من قولها *عرّف بعضه وأعرض عن بعض* . *فلما نبّأها به* هذا التعريف، هذا البعض *به* تعود على البعض الذي تحدّث به كان حديثاً أخذ زمناً قال: *فلما نبّأها* . قالت *من أنبأك هذا*هذا* يعني إفشاء السر هي تعلم تفاصيل القول وهي لا تحتاج إلى نبّأ وإنما إلى أنبأ لأنه ليس فيها سرعة وليس فيها تلبّث ولا

وقت. *نبّأها* شرح لها ماذا قالت جزء من الحديث هي قالت *من أنبأك هذا* من أعلمك إفشائي للسر. إفشائي السر لا تحتاج للفعل المشدّد *نبّأ* وإنما إلى *أنبأ* لأنه يحتاج إلى وقت قصير.

هذه الظاهرة استعمال نبّأ وأنبأ مضطردة في القرآن الكريم بحيث أننا لما نأتي إلى أفعل كما في قوله *وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *٣١ * أنبأ وردت في أربعة مواضع في القرآن كله وسنجد أنها جميعاً فيها إختصار زمن، فيها وقت قصير وليس فيها وقت طويل. أما نبّأ فحيث وردت، وردت في ستة وأربعين موضعاً *من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* سنعود إلى ذكر إحصائها لأن لنا رأياً فيها. لاحظ *وعلَّم آدم الأسماء كلها* بمفهوم البشر التعليم يحتاج إلى وقت ولذا قال علّم ولم يقل أعلم. الأسماء كلها أي هذا الشيء اسمه كذا عذا المخلوق اسمه كذا ورب العالمين يمكن أن يقول كن فيكون. لكن أرادت الآية أن تبيّن أنه لقّنه هذه الأشياء بوقت كما أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان بإستطاعته أن يقول كن فيكون. *وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة * وذكرنا في مرة سابقة استعمال عرضهم لأن فيها العاقل وغير العاقل. *فَقَالَ أَنْبِئُونِي* لأنه هذا ما اسمه؟ فلان أو كذا وهذا لا يحتاج إلى شرح وتطويل ما قال *نبّؤني* قال *أنبؤني* لكن في مكان آخر قال *نبؤني بعلم إن كنتم صادقين* . قالوا *قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ *٣٢ * أيضاً ما

تعلّموه على وقت. *قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ* آدم هذا كذا اسمه وانتهى ، وهذا؟ كذا وهذا؟ كذا. الانباء بكل اسم على حدة لا يأخذ وقتاً ولهذا قال *أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِم*فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ* واحداً واحداً لا يحتاج إلى وقت.

إذا جاء الفعل بصيغتي فعّل وأفعل نفس الفعل فيكون أفعل إذا جاء لزمن أقصر من فعّل مثل علّم وأعلم ونبّا وأنبأ. في سورة الكهف *سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا *٧٨ * .هذا ليس إنباءً وإنما تبيين من نبّأ لأن فيها كلام كثير *أما السفينة ، أما الغلام، أما الجدار* فهي ليست مختصرة . *سَأُنَبِّئُكَ* جاءت بالتشديد مشددة ما قال سأنبئك. المضعّفة يعني فعّل من النبأ جاءت في ستة وأربعين موضعاً كما في سورة يوسف *نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ *٣٦ * لأن فيها شرح بالتفصيل عن الرؤيا ولم يقل أنبئنا مختصرة وهم يريدون شرحاً مفصّلاً للرؤيا. أنبأ لم ترد إلا في أربعة مواضع. نبّا وتفصيلاتها وردت في ستة وأربعين موضعاً في ستو وثلاثين موضعاً كانت تحتمل أن تُقرأ أنبأ بالتخفيف ومنه هذا الموضع. من حيث الرسم لو رسمنا من غير همزة ونقاط وشدّة كان يمكن أن تُقرأ سأنبئك لكن رجعت إلى القراءات وحتى الشاذّة منها ٣٦ موضعاً كان يمكن أن تُقرأ بالتخفيف لكن لم ترد قراءة واحدة بالتخفيف وللكن قُرئت كلها بالتشديد *سأنبّئكم، أنبّئكم، تنبؤنه* لم يقرأها أحد أنبأكم. ستة وثلاثون موضعاً كلها كان يمكن أن تُقرأ بالتخفيف ولم تُقرأ بالتخفيف وعشرة مواضع لا يمكن أن تُقرأ بالتخفيف لأن نبّأت به

وإنما *نبّأ* بالتضعيف مثل قوله تعالى *قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا *١٠٣* الكهف* بالتشديد لأن جاء الحديث بعدها طويل *الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا *١٠٤* أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا *١٠٥ * فيها تفصيل. وحيثما وردت ولذلك لم تُقرأ بالتخفيف ما دام فيها تلبّث وزمن فلا تُقرأ بالتخفيف.

وهذا القرآن من أوله إلى آخره كله جاء بهذه الصورة والإنسان يعجب *أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها* .

آية *٤* :

*إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ *٤* التحريم* لما كان الخطاب للمثنى في قوله تعالى *إن تتوبا* فما دلالة الجمع في *صغت قلوبكما* ولم يقل قلباكما؟ وهل أقل الجمع اثنين؟

د. فاضل السامرائي

هذا سؤال لغوي نحوي. الأفصح في اللغة أنه إذا أضيف المثنى إلى متضمّنه *أي الذي يتضمنه* المثنى يُجمع. مثال: القلب والإنسان الانسان يتضمن القلب، فإذن الأفصح أن لا يقال قلباكما في اللغة والشعر والقرآن مثل *وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *٣٨* المائدة * لم يقل يديهما، هذه قاعدة والأفصح في اللغة أنه إذا

أضيف المثنى إلى متضمنه سارق وسارقة اثنان واليد متضمنة في الشخصين فلم يقل يديهما وإنما قال أيديهما بالجمع. العرب تقول أكلت رؤوس الكبشين *لا رأسي الكبشين* ومهمهين معدتين ظهراهما مثل ظهور الترسين، ظهور جمع والترسين مثنى، هذا الأفصح في اللغة وهذا مقرر في كتب اللغة وكتب النحو. الأفصح في اللغة أن يقول *صغت قلوبكما* وهذا يرد كثيراً في اللغة إذا أضيف المثنى إلى متضمنه فالأفصح جمع المضاف وقد وردت في القرآن في أكثر من موطن *صغت قلوبكما*فاقطعوا أيديهما* .

*إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ *٤* التحريم* هل هي صالح المؤمنين أو صالحوا المؤمنين؟

د. فاضل السامرائي

هذه المفسرون قالوا فيها احتمالان صالحوا وحذفت الواو لأن أحياناً خط المصحف يكون فيه حذف مثل هاد تأتي بحذف الياء وداع تأتي بحذف الياء، فقسم يذهب إلى أنها هي وصالح المؤمنين مرسومة بلا واو لكن من حيث التقدير النحوي والاعرابي قسم أجاز أن يقول صالحوا المؤمنين والواو حذفت في خط المصحف وقسم قال هي وصالحُ المؤمنين. وصالح المؤمنين هذه عامة هذا وصف وليس شخصاً واحداً. من حيث اللغة والدلالة صالح المؤمنين تصير عامة أيضاً وصالحوا المؤمنين عامة لا تنطبق على واحد وأنا أميل إلى المفرد لأنها تشمل المفرد والجمع أما صالحوا فتشمل الجمع فقط.

آية *١٠* :

* لماذا ورد اسم زوجة سيدنا لوط ولعنت في القرآن مرات كثيرة وورد اسم زوجة سيدنا نوح ولعنت مرة واحدة فقط في سورة التحريم؟

د. فاضل السامرائي

امرأة لوط غير امرأة نوح، أولاً بالنسبة إلى لوط - عليه السلام - لم يؤمن له إلا أهل بيته وليس هنالك شخص آخر آمن إلا أهل بيته، إلا امرأته من أهل بيته فقط، لوط - عليه السلام - ما آمنت به زوجته، كل عائلته آمنوا إلا زوجته. أما نوح فليس كذلك فابنه لم يؤمن أيضاً مع امرأته فليست هي الوحيدة في العائلة التي لم تؤمن بنوح. لذلك لما يتكلم عن نجاته يستثني امرأته *فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
الْغَابِرِينَ *٨٣* الأعراف*فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ *٥٧* النمل*لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ *٣٢* العنكبوت*وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ *٨١* هود*إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ
الْغَابِرِينَ *٣٣* العنكبوت* لم يرد امرأة نوح وحدها في النجاة وإنما وردت في شيء آخر *ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ
فَخَانَتَاهُمَا *١٠* التحريم* ليست في النجاة لم يقل نجيناهما، ثم ذكر امرأة فرعون ومريم بنت عمران. إذن امرأة لوط غير امرأة نوح لأن امرأة لوط هي الوحيدة التي لم تؤمن من أهل لوط - عليه السلام - وهي الوحيدة التي لم تنجو، أهل لوط نجوا جميعاً. أما امرأة نوح فلم تنجو وحدها لكن مع

ابنها. في النجاة يحدد امرأة لوط وفي غير النجاة ذكر أمرأة لوط وامرأة نوح ومثل أمرأة لوط لم يقع في رسل الله بهذه الصورة أنه جميع أفراد العائلة آمنت إلا زوجته لم يذكر في القرآن إلا مع امرأة لوط. قد يكون هناك أخريات غير مؤمنات لكن في مسألة النجاة *إلا امرأته* لم يرد هذا الشيء إلا مع امرأة لوط أما امرأة نوح فهي ليست الوحيدة من الأهل التي لم تنجو.

فخانتاهما* الخيانة هنا عدم التصديق بهما وليس عمل الفاحشة والخيانة بهذا المفهوم استعمال حديث. الخيانة في القرآن وردت بمعنى خيانة الأمانة وغيرها *إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ *٥٨* الأنفال*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ *٢٧* الأنفال* أما في الاستعمال الحديث فصار مصطلحاً حتى الذي يتزوج أخرى يقال خان فالخيانة عدم الأمانة .

* لماذا جاءت لفظة امرأة بدل زوجة في آية سورة التحريم *ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ *١٠ *

د. حسام النعيمي

كلمة زوجة بالإضافة هي طبعاً في القرآن لم تستعمل بالتاء وإنما استعملت كلمة زوج للدلالة على الرجل أو على المرأة . الرجل زوج والمرأة زوج وهذا هو الأفصح في اللغة . هذا ليس من المشترك اللفظي لكن لو أخذنا بنظرية الإشتقاق لإبن جِنّي لما نقلب حروف كلمة زوج تصير جوز

ولما تفتح الجوزة هي عادة من فلقتين وكل فلقة تقريباً مساوية للأخرى فالزوج في أصل اللغة هو الواحد الذي يشكّل مع الثاني زوجين فهذا زوج وهذا زوج فهما زوجان. لما تقول زوج ليس هو أي فرد وإنما الزوج هو الذي يشكل مع الآخر زوجين هذا زوج وهذا زوج فهما زوجان لكن طول الاستعمال صار البعض يطلق كلمة الزوج على الإثنين يقول عن الشفع زوج هذا ليس خطأ في اللغة لأنه صار عندنا تطور الاستعمال لكن الأصل أن الزوج هو الذي يشكل مع الآخرين زوجين. بهذا المعنى استعمله القرآن الكريم لما قال *ثمانية أزواج: من الضأن إثنين ومن المعز إثنين ومن الإبل إثنين ومن البقر إثنين* ذكر أربعة أشياء فقال ثمانية أزواج يعني ثمانية أفراد كل فردين يشكلان زوجين. وقال تعالى *وقلنا إحمل فيها من كل زوجين إثنين* هذا الزوج وهذا الزوج وأكّد بكلمة إثنين. رجل وامرأة زوجان زوج وزوج. يقولون الأعداد الشفعية أو الزوجية : الشفع ٢ والوتر ١ - كلمة زوج لم تأت مضافة إلى ما بعدها في القرآن الكريم دائماً يستعمل امرأة ما عندنا زوج فلان وإنما عندنا زوجك بالكاف أما مضافة إلى شخص باسمه فغير موجود. لما نأتي إلى امرأة نلاحظ أن كلمة زوج لو قيل في غير القرآن زوج نوح أو زوج لوط أو زوج فرعون لو قيل هكذا توحي بنوع من المقاربة والتوافق لأن الزوج هو الذي يشكل مع الثاني زوجين فلو قال زوج فلان كأنها شكلت معه شيئاً واحداً فزوج فرعون المؤمنة لا تشكل مع فرعون زوجين صحيح هي إمرأته لكن لا يطلق عليها زوجه من حيث اللغة السامية الرفيعة التي تلحظ هذه المسائل الدقيقة .

لمثل هذه المسائل الدقيقة هي لا تشكل معه زوجين كأنما يريد القرآن أن يبعد عن الأذهان فكرة المقاربة أن هذه قريبة من هذا. امرأة نوح لا تستحق أن ترتفع بحيث تشكل مع نوح - عليه السلام - زوجين. أما كلمة امرأة فهي مجرد تثنية إمرئ يقال هذا كريم وهذه كريمة ، هذا فاضل وهذه فاضلة ، هذا امرؤ وهذه امرأة . تاء المؤنث لو إنتبهنا إليها ينفتح لها ما قبلها *كريم، كريمَةٌ * التاء تأخذ الإعراب وما قبلها يكون مفتوحاً فكذلك امرأة هي مؤنث إمرؤ. امرؤ تتحرك الهمزة والراء تقول هذا امرؤ القيس ورأيت امرء القيس ومررت بامرئ القيس الراء والهمزة تتحركان بحركة واحدة . إمرأته يعني أنثاه المؤنث لإمرئ فلما نقول هي امرأة نوح ليس فيها المقاربة . حتى امرأة العزيز هي أيضاً امرأة ومن قال أنها تشاكله؟ لعله كان على جانب من القيم وعلى جانب من المُثُل وهي تراود فتاه. مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - استعمل زوجك *قل لأزواجك* لما يضيفها إلى الضمير شيء آخر لكن الإضافة إلى اسم شخص لا يوجد في القرآن زوج فلان وإنما امرأة فلان هي الأصل *اسكن أنت وزوجك الجنة * استخدم الكاف الضمير زوجك. ويكون فيها ملمح التقريب. لذلك نقول أن المناسب هنا لمّا كان هذا التباين الواسع أن تكون امرأة نوح لأن هي فعلاً أنثاه هي أنثى امرؤ. هذا تقرير واقع امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون. ولفظ امرأة لا يحتوي على المشاكلة الأخلاقية وإنما هي المقاربة وتذكر كلمة جوز فلقتان كأنما يشكلان فلقتين هذا غير مراد هنا. من أجل ذلك هذه اللغة السامية الجميلة تستعمل هذا أما في عموم اللغة يمكن أن تقول هذه زوج فلان أو امرأة

فلان لكن إذا أردت أن تأخذ هذا السمو في التعبير تستعمل الاستعمال القرآني لكلمة امرأة .

آية *١٢* :

* ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى *فنفخنا فيها* وقوله *فنفخنا فيه* في قصة مريم عليها السلام؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة الأنبياء *وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ {٩١} * وقال في سورة التحريم *وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ {١٢} *

بين هاتين الآيتين أكثر من نقطة يجب الإلتفات إليها وهي كما يلي:

١ - في سورة الأنبياء لم يذكر اسم مريم عليها السلام بينما ذكره في سورة التحريم. والسبب في ذلك هو أنه أولاً في سورة الأنبياء كان السياق في ذكر الأنبياء *إبراهيم، لوط، موسى ، وزكريا ويحيى * ثم قال *والتي أحصنت فرجها* ولم يُصرّح القرآن باسمها في سورة الأنبياء لأن السياق في ذكر الأنبياء وهي ليست نبيّة أما في سورة التحريم فذكر اسمها لأن السياق كان في ذكر النساء ومنهم *امرأة فرعون، امرأة لوط وامرأة نوح* فناسب ذكر اسمها حيث ذكر النساء. والتصريح بالاسم يكون أمدح إذا كان في المدح وأذمّ إذا كان في الذّم. ونلاحظ في سورة التحريم أنها من أعلى المذكورات في سياق النساء ولهذا

ذكر اسمها من باب المدح. أما في سورة الأنبياء فهي أقلّ المذكورين في السورة منزلة أي الأنبياء فلم يذكر اسمها وهذا من باب المدح أيضاً.

٢ - ذكر ابنها في سورة الأنبياء ولم يذكره في سورة التحريم. وهذا لأن سياق سورة الأنبياء في ذكر الأنبياء وابنها *عيسى - عليه السلام - * نبيّ أيضاً فناسب ذكره في السورة وكذلك لأن سورة الأنبياء ورد فيها ذكر ابني إبراهيم وويحيى ابن زكريا فناسب ذكر ابنها أيضاً في الآية ولم يذكره في التحريم لأن السياق في ذكر النساء ولا يناسب أن يذكر اسم ابنها مع ذكر النساء.

٣ - لم يذكر أنها من القانتين في الأنبياء وذكرها من القانتين في سورة التحريم. ونسأل لماذا لم تأتي *القانتات* القانتات بدل القانتين؟ لأنه في القاعدة العامة عند العرب أنهم يغلّبون الذكور على الإناث وكذلك في القرآن الكريم عندما يذكر المؤمنون والمسلمون يغلّب الذكور إلا إذا احتاج السياق ذكر النساء ومخاطبتهن. وكذلك عندما يذكر جماعة الذكور يقصد بها العموم. وإضافة إلى التغليب وجماعة الذكور فهناك سبب آخر أنه ذكرها من القانتين وهو أن آباءها كانوا قانتين فهي إذن تنحدر من سلالة قانتين فكان هذا أمدح لها وكذلك أن الذين كملوا من الرجال كثير وأعلى أي هي مع الجماعة الذين هم أعلى فمدحها أيضاً بأنها من القانتين ومدحها بآبائها وجماعة الذكور والتغليب أيضاً.

ونعود إلى الآيتين ونقول لماذا جاء لفظ *فيه* مرة و *فيها* مرة أخرى ؟ فنقول أن الآية في سورة الأنبياء *فنفخنا فيها من

روحنا* أعمّ وأمدح:

دليل أنها أعمّ: ونسأل أيهما أخصّ في التعبير *ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها* سورة التحريم أو *والتي أحصنت فرجها* سورة الأنبياء؟

فنقول أن الأخصّ مريم ابنت عمران وقوله تعالى *ونفخنا فيها من روحنا* أعمّ من *نفخنا فيه* وأمدح. إذن مريم ابنت عمران أخصّ من التي أحصنت فرجها فذكر الأخصّ مع الأخصّ *فنفخنا فيه* وجعل العام مع العام *ونفخنا فيها* . وكذلك في قوله تعالى *وجعلناها وابنها* في سورة الأنبياء أعمّ فجاء بـ *فيها* ليجعل الأعمّ مع الأعمّ. وسياق الآيات في سورة الأنبياء تدل على الأعمّ.

عرفنا الآن لماذا هي أعم ويبقى أن نعرف لماذا هي أمدح؟ أيهما أمدح الآية *وجعلناها وابنها آية * أو *صدّقت يكلمات ربها* ؟ الآية الأولى أمدح لأن أي كان ممكن أن يصدق بكلمات ربها لكن لا يكون أي كان آية ، والأمر الثاني أن ذكرها مع الأنبياء في سورة الأنبياء لا شك أنه أمدح من ذكرها مع النساء في سورة التحريم فالآية في سورة الأنبياء إذن هي أمدح لها.

ومن الملاحظ في قصة مريم عليها السلام وعيسى - عليه السلام - أن الله تعالى جاء بضمير التعظيم في قوله تعالى *فنفخنا فيها* أي عن طريق جبريل - عليه السلام - وهذا الضمير للتعظيم يأتي دائماً مع ذكر قصة مريم وعيسى عليهما السلام أما في قصة آدم - عليه السلام - يأتي الخطاب *فنفخت فيه من روحي* لأن الله

تعالى قد نفخ في آدم الروح بعد خلقه مباشرة أما في مريم فالنفخ عن عن طريق جبريل - عليه السلام - .

* ما الفرق بين استخدام لفظ *ونفخت* و *نفخنا* في القرآن الكريم؟ *الشيخ خالد الجندي*

وردت *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *٢٩ * مرتين في القرآن الكريم في قصة خلق آدم - عليه السلام - *سورة الحجر وسورة ص* أما في قصة عيسى - عليه السلام - وأمه مريم عليها السلام فجاءت بلفظ *فنفخنا* . كلمة روح تطلق في القرآن الكريم على أكثر من معنى أما في موضوع عيسى - عليه السلام - فهي تطلق على جبريل - عليه السلام - وعلى الروح قوام الحياة . في سورة القدر *تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ *٤ * الروح هنا هي حبريل - عليه السلام - . وفي قصة مريم عليها السلام قوا تعالى أنه أرسل إليها روحاً وهو جبريل - عليه السلام - وقال تعالى *فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا *١٧ * .

هناك فرق بين النفخ في الطين فكان آدم - عليه السلام - وهذا النفخ كان مباشراً من الله تعالى *ونفخت فيه من روحي* .

والنفخ في مريم فكان عيسى - عليه السلام - الذي كان بسبب أي عن طريق جبريل - عليه السلام - ولم يكن نفخاً مباشراً فجاء التعبير المناسب بقوله تعالى *فنفخنا*وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً

لِلْعَالَمِينَ *٩١* الأنبياء*وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ *١٢* التحريم*.

اللفظ في القرآن له غاية ووسيلة نحن لا نعرف كيفية النفخ ولا يعلمها إلا الله تعالى. نفخ جبريل - عليه السلام - في مريم فكان عيسى - عليه السلام - وهذا أمر سهل لأن عيسى له أم أما النفخ في آدم - عليه السلام - فهذا أعجب لأن آدم لم يكن له أب ولا أم.

* لفظ القنوت جاء في القرآن الكريم في أكثر من موضع في أحد المواضع جاء بصفة الأمر *يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ {٤٣} آل عمران* وفي مواضع أخرى *وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ {١٢} التحريم* ما الفرق بين هذا القنوت والذي قبله؟

د. أحمد الكبيسي

هذا أمرٌ أمرها الله بالقنوت ثم بعد ذلك لما قنتت وطال قنوتها كانت من القانتين. أمرك الله بالصلاة فلما طالت صلاتك كنت أنت من القانتين والقنوت هو طول الصلاة طول الوقوف والدعاء في الصلاة لما تقعد تقرأ البقرة وآل عمران كما النبي صلى الله عليه وسلم في التهجد يقرأ البقرة وآل عمران والنساء في ركعة هذا قنوت السيدة مريم عليها السلام كانت هكذا تقنت بما أمرها الله أن تقنت به.

* تناسب فواتح سورة التحريم مع خواتيمها*

بدأت السورة بالكلام عن أزواج النبي *وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ

وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ *٣ * بدأت بالحديث عن أزواج النبي وأنه أسر لأحداهن ونبأت به وحذّرهما، وختم الكلام على امرأتين من أزواج الأنبياء السابقين عصتا ربهما امرأة نوح وامرأة لوط *ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ *١٠ * ثم ذكر امرأتين صالحتين امرأة فرعون ومريم بنت عمران. في البداية والحتام الكلام على النساء وطاعتهن. في البداية بدأ الكلام على نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - وانتهى الحديث عن النساء أيضاً وذكر نماذج وذكر تحذير أنه كونها زوجة نبي لا ينفعها مثل زوجة نوح *فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا* لا تقل إحداهن أنا أمرأة نبي هذا تحذير وكأنها رسالة إلى نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - أن انتبهوا. فالكلام كله في النساء وطاعة الله، العلاقة واضحة بين أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وزوجات الأنبياء السابقين. الخيانة هنا ليست بمعنى المصطلح الحديث الآن وإنما هي بمعنى عدم الإيمان به.

* تناسب خواتيم التحريم مع فواتح الملك*

في الملك قال *تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ *٢ * ذكر في آخر التحريم من بلاه فأحسن العمل ومن بلاه فأساء العمل قال في آخر التحريم ذكر من الذين أحسنوا العمل امرأة فرعون وبنت عمران ومن الذين أساءوا امرأة لوط وامرأة نوح إذن هو

ذكر صنفين وضرب لنا مثلين لمن أحسن العمل ولمن أساء العمل *لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا* وضرب مثلين في خاتمة التحريم *ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ *١٠* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ *١١* وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ *١٢ * . البلاء من قِبل الله سبحانه وتعالى لنوعين من الناس بلاهم فقسم أحسن وضرب لنا مثلاً وقسم أساء وضرب لنا مثلاً، هذا تناسب طيب.

ذكر في سورة الملك وأعدّ لمن بلاه فأساء فقال *وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *٦* إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ *٧ * ولمن بلاه فأحسن *إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *١٢ * وكذلك ذكر في سورة التحريم فيمن أساء وأحسن، فيمن أساء قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *٧ * وفيمن أحسن قال *يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٨ * ذكر أيضاً نموذجين في الملك وفي التحريم.

سورة الملك

الملك، القلم، الحاقة ، المعارج، نوح، الجنّ، المزّمل، المدّثر، القيامة ، الإنسان، المرسلات

هدف الجزء: الدعوة إلى الله

الجزء كله له هدف واحد أساسي وهو الدعوة إلى الله. وهذه وصية القرآن ما قبل الأخيرة . واجب المسلمين أن يدعوا إلى الله ويأخذوا هذا المنهج ويحملوه للأرض كلها. مصداقاً لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - *بلّغوا عني ولو آية * وقال الإمام ابن حنبل: من علم مسألة فهو بها عالم. وعليه فإن كل إنسان مسلم مسؤول عن الدعوة إلى الله مهما كان حديث العهد بالإسلام فأبو بكر رضي الله عنه أول ما أسلم دعا سبع رجال للإسلام. فالكل مسؤول عن الدعوة مهما كان العلم الذي عندنا.

سورة الملك

* تناسب خواتيم التحريم مع فواتح الملك*

في الملك قال *تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ *٢ * ذكر في آخر التحريم من بلاه فأحسن العمل ومن بلاه فأساء العمل قال في آخر التحريم ذكر من الذين أحسنوا العمل امرأة فرعون وبنت عمران ومن الذين أساءوا امرأة لوط وامرأة نوح إذن هو ذكر صنفين وضرب لنا مثلين لمن أحسن العمل ولمن أساء العمل *لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا* وضرب مثلين في خاتمة التحريم *ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ *١٠* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ *١١* وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ *١٢ * . البلاء من قبل الله سبحانه وتعالى لنوعين من الناس بلاهم فقسم أحسن وضرب لنا مثلاً وقسم أساء وضرب لنا مثلاً، هذا تناسب طيب.

ذكر في سورة الملك وأعدّ لمن بلاه فأساء فقال *وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ *٦* إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ *٧ * ولمن بلاه فأحسن *إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *١٢ * وكذلك ذكر في سورة التحريم فيمن أساء وأحسن، فيمن أساء قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *٧ * وفيمن أحسن قال *يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٨ * ذكر أيضاً نموذجين في الملك وفي التحريم.

* هدف السورة *

تدور حول معنى واحد هو: *إعرف قدر الله* والآيات في السورة كلها تتحدث عن قدرة الله تعالى والملك بيد الله فإذا عرفت قدر ربك، ننتقل إلى سورة القلم.

* من اللمسات البيانية فى سورة الملك*

آية *٢* :

*الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ *٢* الملك* ما دلالة خلق مع الموت؟

د. فاضل السامرائي

شبيه بهذا السؤال الفرق بين الخلق والجعل ورد أكثر من مرة . قلنا الجعل إخبار عن ملابسة مفعول بشيء آخر منه أو فيه أو له مثلاً *وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ *٣٠* الأنبياء* النحاة يقولون ملابسة شيء بشيء أن يكون فيه أو منه أو له أو حالة من حالاته في الغالب *وَجَعَلْنَا فِي

الْأَرْضِ رَوَاسِيَ *٣١* الأنبياء*وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ *٦١* النمل* أو يجعلها حالة *وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا *٣٢* الأنبياء* جعلها سقفاً. ملابسة المفعول بشيء، يجعل له شيئاً أما الخلق فليس بالضرورة ويكون ابتداء. خلق أي صنع على غير مثال أما الجعل فهو الملابسة بشيء *وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ *١٢* الإسراء* صارتا شيئاً آخر، *الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً *٢٢* البقرة * فيها إشمام بمعنى التحويل أن يجعلها تلتبس بشيء أو يجعل فيها شيئاً أو يجعل منها شيئاً أو يجعلها شيئاً أما الخلق فلا يفيد هذا المعنى وإنما هو الإيجاد ابتداءً. *الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ* لم يجعل لهما شيئاً أو فيهما شيئاً أو منهما شيئاً *وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا *٤٧* الفرقان* وهذا هو الأكثر في اللغة ولهذا قال تعالى *الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ* . *وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا *٣٢* الأنبياء* جعلنا السماء سقفاً لكن خلق السماء، *وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا *٣١* الأنبياء* جعلنا فيها تلتبس بشيء.

* لماذا جاءت آية سورة الملك باستخدام فعل بلى يبلو في قوله تعالى *الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ {٢} * ؟ وفي الإنسان *إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً {٢} * ولماذا جاء التخفيف في البلاء ولم يستعمل ليبتليكم؟ وما الفرق بينهما؟

لو قرأنا آية سورة الملك *الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ {٢} * لوجدنا أنها تنتهي بقوله تعالى وهو العزيز الغفور، والمغفرة تقتضي التخفيف أولاً لأن

الإبتلاء والشدّة لا تتناسبان مع الغفور التي هي أصلاً صفة مبالغة أما صيغة ليبلوكم فهي أنسب مع المغفرة والتخفيف جزء من المغفرة . وهناك أمر آخر: نلاحظ في سورة الإنسان ذكر تعالى ما يصحّ معه الإبتلاء *فجعلناه سميعاً بصيرا*إنا هديناه السبيل* السمع والبصر والإختيار والعقل وأطال في ذلك فلما أطال في ذكر ما تردد أطال في صيغة الإبتلاء *نبتليه* أما في سورة الملك فلم يذكر أياً من وسائل الإبتلاء إنما ذكر خلق السماوات مباشرة في الآية التي بعدها فاقتضى استعمال الصيغة المخففة *ليبلوكم* .

أمر آخر أنه تعالى ذكر في سورة الإنسان شيئاً من ابتلاء الأعمال ما لم يذكره في سورة الملك. فذكر في سورة الملك آية في المؤمنين *إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {١٢} * وآية في الكافرين *وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {٦} * لكن في سورة الإنسان ذكر الإبتلاء في الأعمال *يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {٧} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {٨} *فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً {٢٤} وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً {٢٥} وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً {٢٦} * وأفاض في ذكر النعيم في الآخرة مما لم يذكره في الملك *إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٥} * فذكر ما يستدعي الإبتلاء وذكر الكافرين *إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً {٢٧} * وذكر الظالمين *يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {٣١} * والظلم من نتائج

الأعمال. إذن السياق والوسائل وما ذكر من الأعمال جعل ذكر الإبتلاء أنسب من كل ناحية من حيث الوسائل وجو السورة والسياق والأعمال هذا من حيث الصيغة .

آية *٣* :

*الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا *٣* الملك* ما معنى طباقاً وما الفرق بين طباقاً وطبقات؟ وهل الأرض مثل السماوات سبع طباق أو طبقات؟

د. حسام النعيمي

جمع طبقة طبقات والطبقة هي مرحلة أو صورة من الصور يكون فوقها شيء فتقول هذه طبقة تعلوها طبقة تعلوها طبقة فهي طبقات، شرائح كما يقال شيء فوق شيء. أما الطباق فهي مصدر، طابق بين شيئين لكن في معنى شيء فوق شيء، المطابقة كأنه شيء فوق وشيء أسفل وتطابق بينهما. ومنه الطَبَق الذي هو الغطاء. فلما يقول طابق بين الشيئين يطابق طباقاً. فكلمة طباق تأتي جمعاً لطبقة وتأتي مصدراً من طابَقَ فلما يستعمل كلمة طباق تكون أشمل وأوسع من طبقات. *سبع سموات طباقاً* أي واحدة فوق الأخرى وكأنها متطابقة متناظرة متشابهة في وجودها فتعطي معنيين.

والأمر الثاني أن الكلمة التي فيها جمعان: طبقة جمعها طبقات وطباق لما تكون الكلمة فيها جمعان جمع تكسير وجمع مؤنث سالم. العرب تفضل جمع التكسير لأن جمع المؤنث السالم جموع الأعاجم. لما تأتي مثلاً كلمة مقبرة فيها تاء جمعت على مقابر ومقبرات ومقابر أفصح ولذلك شاعت لأنها

جمع تكسير. كذلك مرتبة جمعها مراتب ومرتبات. فلما يكون جمع التكسير فهو يفضل على جمع المؤنث السالم لأن جمع السلامة هو جمع الأعاجم وجمع الأطفال وانظر إلى الطفل تسأله كيف يجمع أحمر فيقول أحمرات لأنها أيسر عليه.

فكلمة طباقاً جمع تكسير ومصدر فهي أشمل وأوسع ثم هي من حيث اللغة أعلى من كلمة طبقات.

الطبقات السبع أوالسماوات السبع التي جعلت متطابقة أو بعضها فوق بعض لا ندري ما ماهيتها؟ ولا ندري مم تتألف؟ لا علم لنا وكل ما لدينا الحديث في رحلة الإسراء والمعراج أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إستفتح ففتح له أبواب السماء على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز لا ندري. وعندنا قوله تعالى *ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح* إذن هذه النجوم التي نراها هي جميعاً تحت السماء الدنيا والنجوم ملايين السنوات الضوئية وإذا كانت الثانية في السنة الضوئية ٣٨٦ ميل في الثانية فكم هي السنة الضوئية ؟ تضرب الناتج بأرقام فلكية *نضرب الرقم * ٦٠* ٦٠* ٢٤* ٣٦٥* ملايين السنوات الضوئية هناك نجوم كلها تحت السماء الدنيا فما هي السماء الدنيا؟ ما وصلنا في الكشف إلى كل النجوم فهذا شيء مهول فإذن لا نعلم ما هي لكننا نؤمن أنها سبع سموات طباقاً.

قال تعالى *ومن الأرض مثلهن* الألف واللام في كلمة الأرض هنا قد تكون للتعريف أنها الأرض التي نعيش عليها. *ومن الأرض مثلهن* هل تعني سبع أراضين؟ أي أن هناك ست أراضين أخرى

عليها مخلوقات؟ أين تكون؟ أم المراد *ومن الأرض مثلهن* أن المادة التي تكونت منها الأرض هي مثل مادة السماوات؟ الآية تحتمل هذا المعنى . *ومن الأرض* هذه الأرض مثلهن؟ ما في الأرض مثلهن؟ لم تقل عدد طبقات الأرض وإنما قال *ومن الأرض* ما قال عددهن وإنما قال مثلهن وكلمة *مثلهن* تحتمل العدد وتحتمل المادة فكلا المعنيين صحيح ولا مرجِّح بينهما. أين يكون هذا؟ هذا غيب لا نعلمه، هل مادة الأرض مكونة من مادة السماء من الغازات المحترقة التي تجمدت؟ أم مكونة من شيء آخر؟ هي سبعة ؟ أين تكون هذه الأراضين؟ كل مجموعة شمسية تشبه مجموعتنا الشمسية فيها كواكب تدوة ر ويمكن أن يكون هناك حياة في أماكن أخرى والله أعلم.

* ما دلالة استخدام كلمة الرحمن في الآية *الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ *٣* الملك* مع أن الكلام عن خلق السماوات؟

د. فاضل السامرائي

سورة الملك تبدأ بالكلام عن الله سبحانه وتعالى *تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ *٢* الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ *٣ * الذي خلق سبع سموات فالكلام عن الرحمن هذا أمر والأمر الآخر أن السماوات من خلق الرحمن ولما قال ما ترى من خلق الرحمن دخل فيها السماوات كلها

وغير السماوات ولو قال السماوات لم يدخل غير السماوات وقد يكون هناك تفاوت في غيرها. لو قال ما ترى في خلق السماوات من تفاوت نفى التفاوت في خلق السماوات ولم ينفه في غيرها. السماوات من خلق الرحمن تدخل في خلق الرحمن ودخل فيها كل ما خلق الرحمن إذن ما ترى فيه من تفاوت ولو قال ما ترى في خلق السماوات إذن نفى التفاوت عن السماوات أما غيرها فلم ينفه عن غيرها من خلق الرحمن. الأولى والأكرم أن يقول خلق الرحمن لأن دخل فيها السماوات وكل خلق الرحمن ومنه السماوات ولو قال السماوات كان يكون هناك احتمال أن هناك تفاوتاً في غير السماوات.

رب العالمين يوجه بصرنا إلى أمور كثيرة في خلق الأرض وفي خلق السماوات وغير السماوات *تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ *٢* الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ *٣ * وكلها من خلق الله. ثم تكلم عن السماوات وقال *وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ *٥ * .

آية *٩* :

* لم قال تعالى فى سورة يس *وما أنزل الرحمن من شيء* فأسند الفعل إلى الرحمن وقال في سورة الملك *وقلنا ما نزل الله من شيء *٩* الملك* وفي سورة الأنعام *وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء *٩١* الأنعام* بإسناد الفعل إلى الله؟

د. فاضل السامرائي

كل تعبير هو الأنسب في مكانه. فأما في سورة الملك فإنه يشيع فيها ذكر العذاب ومعاقبة الكفار فقد ذكر فيها مشهداً من مشاهد الذين كفروا في النار وسؤالهم عن النذر التي جاءتهم وذلك قوله *وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ *٥* وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *٦* إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ *٧* تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ *٨* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ *٩* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ *١٠* فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ *١١ * ثم حذر عباده من عقوبته وبطشه في الدنيا وألا يأمنوا عذابه من فوقهم أو من تحت أرجلهم وأن يعتبروا بما فعله ربنا مع الأقوام الهالكة *أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ *١٦* أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ *١٧* وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ *١٨ * ثم حذرهم مرة أخرى وهددهم بقوله *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ *٢٠* أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ *٢١ * وعاد مرة أخرى فذكر إنكار الكفار ليوم النشور واستبعادهم له وحذرهم من عقوبات رب العالمين في الدنيا والآخرة فقال *وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *٢٥* قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ *٢٦* فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا

الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ *٢٧* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *٢٨* قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢٩* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ *٣٠ * وإزاء كل هذا التحذير والتخويف وذكر مشاهد العذاب لم يذكر بخصوص المؤمنين وجزائهم إلا آية واحدة وهي قوله *إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *١٢ * فلا يناسب إزاء كل هذا التهديد والتحذير للكافرين وما أعده الله لعذابهم في جهنم أن يقرنه باسم الرحمن. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن القائلين لهذا القول إنما هم في أطباق النيران وأنهم ألقوا فيها فوجاً بعد فوج وقد اشتد غضب الله عليهم ولم تدركهم رحمته فلا يناسب ذكر الرحمن هنا أيضاً.

ثم إن الله جعل العذاب بمقابل الرحمة فقال *نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ *٤٩* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ *٥٠* الحجر* ولما كان المشهد مشهد العذاب كان ذلك في مقابل الرحمة فلا يناسب هذا العذاب ذكر الرحمة وبخاصة أن هؤلاء كفروا بربهم فلا ترجى لهم رحمة ولا ينالهم من اسم الرحمن نصيب.

ومن ناحية أخرى إن القائلين في سورة يس إنما هم في الدنيا وهم يتقلبون في نِعم الله ورحمته أما القائلون في سورة الملك فإنما هم في جهنم وقد يئسوا من رحمته سبحانه فناسب كل تعبير موطنه.

وأما سورة الأنعام فإنها يشيع فيها التحذير

والتهديد والتوعد وليس فيها مشهد من مشاهد الجنة وإنما فيها صور غير قليلة من مشاهد النار. كما أن السورة لم يرد فيها اسم *الرحمن* على طولها في حين ورد فيها
اسم *الله* تعالى *٨٧* سبعاً وثماني مرة فناسب كل تعبير مكانه.

آية *١٠* :

*وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ *١٠* الملك* ما دلالة استعمال *في* بدل *من* في الآية ؟ وفي نفس الآية *لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ* لماذا لم يقل لو كنا نبصر؟ هل لأن السمع يأتي بعد الدعوة مع أن القرآن الكريم حينما يريد أن يؤكد على الإعجاز يذكر إن في ذلك لآيات لقوم يبصرون؟

د. فاضل السامرائي

نعرف أن *في* تفيد الظرفية يعني ما كنا في أصحاب السعير أي ما كنا في عِدادهم. وهم ألقوا في السعير هذا الكلام وقد ألقوا في السعير *إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ *٧* تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ *٨* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ *٩* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ *١٠ * . *من* بهذا المعنى تبعيضية ، في أصحاب السعير تعني أنه فيهم الآن لو قال منهم هو منهم لكن لا يقتضي أنه فيهم الآن، لما تقول في الفريق يعني هو الآن فيه لكن لما تقول من الفريق ليس نصاً على أنه في الفريق الآن. تقول هو من العراق وتقول هو في العراق، هو في

العرق أي هو في العراق الآن لحظة الحديث. إذن لما قال *فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ* أي هم الآن في السعير لو قال من أصحاب السعير لا يعني أنهم في السعير الآن قد يكون ما زال في الصراط أو في مكان آخر. هو في الطلبة داخل معهم، من الطلبة هو واحد منهم لكن قد يكون في البيت. إذن هذا الكلام *فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ* أدل وأقوى على أنهم في السعير يعذبون الآن. إضافة إلى أن *في* ظرفية و *من* تبعيضية .

استعمال نسمع ونبصر؟ لم لم يقل نبصر مع نسمع؟

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ* هذا معناه أنه يكفي العقل والسماع للنجاة ما يحتاج للإبصار لأن الإبصار مشاهدة ومن رأى كمن سمع. هي تعبر عن حالة معينة في توقيت محدد. هو يكفي الإنسان أن يسمع أو يعقل لينجو لا يحتاج للإبصار لأنه لو شاهد لأنتهى وارتفع الحجاب وليس هناك إشكال أصلاً، فمن رأى كمن سمع. يكفي في النجاة السماع. عادة في القرآن السمع يأتي مع البصر لكن هذا مختلف، هذا الآن في السعير ماذا يبصر؟ هل يبصر السعير حتى يؤمن؟ في الدنيا كان يكفيه أن يسمع أو يعقل حتى ينجو لا يحتاج إلى الإبصار، يكفي هذان الأمران للنجاة كما كثير من الناس لا يبصرون فيكفيهم السماع والعقل للنجاة . إذن ليس هناك كلمة زائدة في القرآن الكريم وكل كلمة عاشقة لمكانها فلم يكرر المتوالية في القرآن *السمع والبصر* هذا يرد في مكان آخر في القرآن السمع والبصر مقترنان لكن هنا السماع والعقل كافية للنجاة .

آية *١٢* :

* في سورة الحديد قال تعالى *فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ *٧ * وفي سورة فاطر أضاف المغفرة فقال *وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *٧ * وفي سورة الملك *إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *١٢ * فما دلالة ذكر المغفرة مع الأجر وعدم ذكرها؟

د. فاضل السامرائي

كل موطن في القرآن يذكر فيه المغفرة يجب أن يذكر فيه الذنوب والكافرين في سائر القرآن. لما يضيف المغفرة للأجر الكبير لا بد أن يسبقها أو يأتي بعدها الذنوب والكافرين، يذكر في السياق أمرين: الكافرين والذنوب. في سورة فاطر بدأ تعالى بقوله *الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *٧* أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ *٨ * سوء عمله هذا ذنب، *وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ *١٠* فاطر* ذكر الكافرين مع الذنب، *أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا* مباشرة بعده في سياق الكفر والذنب. نفس الأمر في سورة الملك *وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *٦* إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ *٧* تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ *٨* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

كَبِيرٍ *٩* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ *١٠* فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ *١١ * ذنب وكافرون، كلما يقول مغفرة وأجر كبير يسبقها أمران الكفر والذنب. في سورة الحديد لم يذكر الكافرين ولا الذنب فلم يذكر المغفرة .

آية *١٤* :

* ما الفرق بين *ما* و *من* في الاستخدام اللغوي؟

د. فاضل السامرائي

في اللغة تستعمل *ما* لذوات غير العاقل ولصفات العقلاء *وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ *٢٩* طه* ماذا في يمينه؟ عصاه، *تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا* لذات غير العاقل ولصفات العقلاء. تقول من هذا؟ هذا فلان، تسأل ما هو؟ تسأل عن صفته فيقال مثلاً هو تاجر، *من هو؟* تسأل عن ذاته. *ما* هي تستعمل لأمرين: لذات غير العاقل ولصفات العقلاء *فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء *٣* النساء* عاقل وربنا سبحانه وتعالى يستخدمها لنفسه كما جاء في سورة الشمس *وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *٧ * يتكلم عن نفسه سبحانه. *ما* تقع على صفات أولي العلم جميعاً حتى قسم من النُحاة أدق لا يقولون العقل لأن الله تعالى لا يوصف بالعقل ولا يصق نفسه أنه العاقل وإنما العالِم، فيقول النحاة لذوي العلم وذوات غير العاقل. في سورة الليل قال تعالى *وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى *٣ * من الخالق؟ الله سبحانه وتعالى ، في سورة الكافرون *وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *٣ * ما أعبد هو الله تعالى ، *وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ *٤ * الأصنام غير عاقلة

و *ما* تستعمل لذوات غير العاقل وتستعمل لصفات العقلاء.

من* إذا إنفردت تكون لذوات العقلاء تحديداً، قد تستعمل في مواطن تخرج عن هذا الأمر مثلاً أنت تُنزِلأ غير العاقل منزلة العاقل، تتكلم مع حصانك يقولون لك: من تُكلِّم؟ تقول: أكلِّم من يفهمني، من يحفظني، هذا تجوّز. في الأصل أن *من* لذات غير العاقل وأحياناً يشترط العاقل مع غير العاقل فتطلق عليهم *من* فيصير تفصيل *وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٤٥* النور* من يمشي على بطنه غير العاقل، من يمشي على رجلين الإنسان، اجتمعت في عموم فصّل بـ *من* لها مواطن. أما إذا انفردت فلا تكون إلا للعاقل *أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ *١٤* الملك* لذي العِلم.

آية *١٩* :

* ما الفرق بين استخدام كلمة الله وكلمة مسخّرات في سورة النحل وكلمة الرحمن وصافّات في سورة الملك؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة النحل *أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *٧٩ * وقال في سورة الملك *أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ *١٩*

١ - أولاً وللعلم أن كلمة الرحمن لم ترد في سورة النحل كلها *١٢٨ آية * بينما وردت أربع مرات في سورة الملك *٣٠ آية * .

٢ - كلمة الله في سورة النحل وردت ٨٤ مرة بينما وردت في الملك ثلاث مرات.

٣ - هذا من حيث السمة اللفظية ، وللعلم أيضاً لم يرد إسناد الفعل سخّر في جميع القرآن إلى الرحمن وهذا هو الخط العام في القرآن وإنما ورد *سخرنا، ألم تر أن الله سخر* ولهذا حكمة بالتأكيد.

٤ - الأمر الآخر أن السياق في سورة المُلك هو في ذكر مظاهر الرحمن *هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ *١٥ * حتى لمّا حذرهم حذّرهم بما أنعم عليهم من قبل *وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ *١٨ * ولم يقل فكيف كان عقاب كما جاء في آية سورة الرعد *وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ *٣٢ * وهذا من مظاهر الرحمة *هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ *١٥ * *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ *٢٠* أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ *٢١ * فالسياق في السورة إذن في مظاهر الرحمن. أما في سورة النحل فالسياق في التوحيد والنهي عن الشرك *ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ *٧٥* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *٧٦ * حتى ختم آية النحل *إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ* ولفظ *الله* مأخوذ من العبادة فهو الأنسب هنا.

٥ - هذا أمر والأمر الآخر قال في سورة النحل *مسخّرات* من باب القهر والتذليل ولا يناسب الرحمة وليس من باب الإختيار. بينما في سورة الملك جعل اختيار *صافّات ويقبضن* من باب ما يفعله الطير ليس فيها تسخير وإعطاء الإختيار من باب الرحمة ثم ذكر حالة الراحة للطير *صافّات* وهذا أيضاً رحمة . إذن لفظ *الرحمن* مناسب لسورة الملك ولفظ *الله* مناسب لسورة النحل.

* لماذا جاءت صافات ويقبضن في الآية *أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ *١٩* الملك*؟ لم يقل صافات وقابضات؟

د. فاضل السامرائي

أصل الطير للطيور صفّ الأجنحة والقبض حتى يتمكن من الصفّ. فالقبض طارئ والصفّ هو الأصل. والصفّ هو فرد جناحي الطير. الأصل في الطيران هو صفّ الأجنحة والقبض ليتمكن من الاحتفاظ بالتوازن فلما كان الصفّ هو الحالة الثابتة جاء بالصيغة الدالة على الثبوت وهو الاسم والاسم يدل على الثبوت ولما كانت الحالة طارئة وهي القبض جاء بالحالة الدالة على الحركة

والتجدد وهو الفعل للدلالة على الحركة والتجدد. هذه حالة الطيران. إذا قال صافّات فقط هي ليست من دون قبض وهي تحتاج إلى القبض حتى تتمكن من الموازنة لكن القبض هو طارئ والصفّ هو الأصل الثابت لهذا قدّم صافّات أصلاً لأنه طيران. وصافات جاءت بالصيغة الثابتة للاسم للحالة الثابتة وجاء بالصيغة المتجددة الدالة على الحدوث للحالة المتجددة فناسب بين الحالة والصيغة .

آية *٢٠* :

* ما أصل *ذا* ؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ *٢٠* الملك* وقال *من ذا الذي* . *من ذا* في هذه الآية فيها احتمالان: إما *ذا* اسم إشارة *هذا* أو *من ذا* كلها واحدة اسم استفهام بمعنى *من* لكن قالوا أنها أقوى من *من* لأنه زاد في المبنى وزيادة المبنى في الغالب تدل على زيادة المعنى. *من ذا الذي يقرض الله قرضاً* تحتمل أن يكون من هذا الذي ويحتمل من الذي. وهناك فرق بين من ذا ومن هذا: الهاء للتنبيه *هذا: الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة * . لما يقتضي الكلام الشدة وما إلى ذلك يأتي بـ *هذا*أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ *٢١* الملك*. فرق بينها وبين *مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ *٢٥٥* البقرة * هذا شفيع والشفيع يترجّى، تذهب إلى من بيده الأمر وتشفع لفلان يعني يعلم أن هذا الذي تذهب

إليه هو الذي يقضي في الحاجة ويفصل فيها فما قال من ذا الذي. *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ *٢١* الملك* من هو هذا الذي هو ندٌ لله تعالى؟ الله تعالى يمسك الرزق وهذا يرزق؟! من هذا؟ فجاء بهاء التنبيه لأنها أشد. من هذا الذي هو ندٌ لله تعالى؟ *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ *٢٠* الملك* من هو؟ هذه أشد وأقوى من *من ذا* لأن فيها تنبيه. فالتي فيها تنبيه يقول *أمن هذا* وإذا لم يكن فيها تنبيه يقول *من ذا* وهذا ميزان عجيب في التعبير.

* ما دلالة استخدام لفظة الرحمن وليس الله تعالى مع القوة والنصرة والجند في الآية *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ *٢٠* الملك*؟

د. فاضل السامرائي

فعلاً هناك آيتان وردت فيها *من دون الله* واحدة في الكهف *وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا *٤٣ * وفي القصص *فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ *٨١ * وهذه الآية معنا *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ *٢٠* الملك* وليس من دون الله. السياق يوضح السبب ويوضح الأمر.

السياق في سورة الملك وهي في سياق ذكر النعم أصلاً *هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ *١٥* أَأَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ

تَمُورُ *١٦* أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ *١٧* وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ *١٨* أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ *١٩* أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ *٢٠* أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ *٢١* أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *٢٢* قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ *٢٣* قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ *٢٤ * إذن هو السياق في النِعَم فناسب ذكر الرحمن. الآن ننظر في آية الكهف *وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا* أصلاً السياق في الحوار بين المؤمن والكافر *وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا *٤٢* الكهف* هذا لا يصح فيه ذكر الرحمن لأن الآية فيها عقوبة وكلمة الرحمن لا يأتي في موطن عقوبة .

في سياق قارون في آية القصص *فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ* خسف لا يتناسب معه ذكر الرحمن. أما في سورة الملك ففي سياق النعم والنِعَم أقرب للرحمة والآيتان في الكهف والقصص في سياق العقوبات فلا تناسب ذكر الرحمن. ثم نلاحظ في العقوبتين عقوبة صاحب الجنة وعقوبة قارون عقوبة قارون أصعب لأنه قال فخسفنا به وبداره أما الأول فقال فأحيط

بثمره وبقي هو، قال في صاحب الجنة *وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ* وفي قارون قال *فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ*ما* جواب قسم لأنها داخلة على الماضي، سيبويه قال فعل نفيه لم يفعل، قد فعل نفيه لمّا يفعل، لقد فعل نفيه ما فعل لأنها قسم كأنه قال والله لقد فعلت، والله ما فعلت *يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ *٧٤* التوبة *ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ *٢٣* الأنعام* فأيها الأقوى؟ التي مع قارون فقال *فما كان له من فئة * جاء بـ *من* الدالة على الإستغراق أي من أي فئة بمعنى العموم والشمول مثل *قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ *٦٥* ص*فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ *١١* غافر*
هذه *من* الإستغراقية تستغرق كل شيء. في آية الكهف قال *وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ* وفي القصص قال *فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ* الدالة على الاستغراق، كل شيء، التعبير بحسب مقدار العقوبة وقدر العقوبة : *لم تكن - ما كان، فئة - من فئة ، من دون الرحمن - من دون الله* .

آية *٢٤* :

* ما الفرق بين استعمال *وإليه ترجعون* و *إليه تحشرون* وما دلالة كل كلمة في القرآن؟

د. حسام النعيمي

الآية الأولى تتكلم على الجانب المالي *مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *٢٤٥* البقرة * والآية الأخرى *قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ *٢٤* الملك*. لما كان الكلام على

المال، على القرض، والمال يذهب ويجيء، الله سبحانه وتعالى يقبضه ويبسطه فيناسب الكلام على البسط والقبض الذهاب والإياب، ذهاب المال وإياب المال يناسب كلمة الرجوع، أنتم وأموالكم ترجعون إلى الله لأن فيها قبض وبسط ففيها رجوع.

الحشر استعمله مع ذرأ لأن ذرأ بمعنى نشر، يذرؤكم في الأرض أي يبثّكم وينشركم في الأرض. هذا الذرء والبثّ يحتاج إلى جمع أن يُجمع والحشر فيه معنى الجمع. فإليه ترجعون كأنما هذا الرجوع لكن ليس فيه صورة لمّ هذا المذروء المنثور فالذي يناسب الشيء المنثور الموزع في الأرض كلمة الحشر وليس الرجوع صحيح الرجوع كله إلى الله سبحانه وتعالى. واللفظة المناسبة لـ *ذرأكم في الأرض* أي بثّكم كلمة تحشرون هذا الحشر الذي يناسب الذرء.

آية *٢٧* :

* ما معنى قوله تعالى *فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ *٢٧* الملك*؟

د. فاضل السامرائي

الزلفة أي القريب، الآية تتكلم عن يوم الحشر وهي في سورة الملك *قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ *٢٤ * هو يعدهم بالحشر وهم يسألون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين *وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *٢٥ * ؟ *قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ *٢٦* فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ *٢٧ * لما رأوه قريباً منهم لأن الزلفى هي القُرب، يقال ذو زلفة أي قريب. أزلفت والزلف *وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ *٩٠* الشعراء* أي قُرِّبت، *وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى *٣* الزمر* أي الأصنام تقربهم إلى الله تعالى . فالزلفة هي القُرب. *فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً* رأوا يوم القيامة ، يوم الحشر وكانوا من قبل يستبعدون هذا الحشر فلما رأوه زلفة سيئت وجوه *فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا* أي ساءهم رؤيته *سيئت* فعل مبني للمجهول. *ساء* فعل يتعدّى نقول ساءتني رؤيته، إذن سيئت مبني للمجهول ووجوه نائب فاعل. لما رأوا الحشر قريباً منهم ساءت الوجوه رؤيتهم، أصلها ساء يوم القيامة وجوه الذين كفروا فقيل سيئت وجوه. سيئت يوم القيامة وجوه الذين كفروا، وبناها للمجهول لأن المعنى واضح والكلام على الحشر واستبعادهم وهو قريب أمامهم. أنتم تشاهدونه الآن وخرجوا وراءه والحشر أمامهم كما قيل *وأزلفت الجنة للمتقين* أزلفت للتقريب وليس بالضرورة أن يكون فيه شيء من الهدوء والسكينة . لم يقل فلما رأوه قريباً.

ما دلالة التعبير بكلمة *زلفة * بغض النظر عن أي كلمة أخرى ؟

الزلفة بمعنى تقرّب إليه، تزلّف إليه أي تقرّب إليه شيئاً فشيئاً، يفعل الحِيَل ليتقرب حتى في الصلاة قال تعالى *وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ *١١٤* هود* الزُلف من الليل هي أقرب الصلاة إلى النار وهما المغرب والعشاء. الزُلَف من الليل أي ما هو أقرب إلى النهار وهما صلاتي المغرب

والعشاء. هذا يراه كثير من المفسرين وبعضهم يرى أن معناه تقرّب إلى الله بصلاة الليل وليس بالضرورة صلاة المغرب والعشاء. فالزلفة فيها تقرّب على العموم.

آية *٢٩* :

* ما دلالة تقديم وتأخير الجار والمجرور في قوله تعالى *قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا* ؟

د. فاضل السامرائي

ومن هذا النوع من التقديم قوله تعالى *قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢٩* الملك* فقدم الفعل آمنا على الجار والمجرور *به* وأخّر توكلنا عن الجار والمجرور *عليه* وذلك لأن الإيمان لما لم يكن منحصراً في الإيمان بالله بل لا بد معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الأخر وغيره مما يتوقف صحة الإيمان عليه، بخلاف التوكل فإنه لا يجوز إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم القديمين الباقيين قدّم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره لأن غيره لا يملك ضراً ولا نفعاً فيتوكل عليه.

آية *٣٠* :

* ما دلالة هذا السؤال في ختام سورة الملك *قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ *٣٠* الملك*؟

د. فاضل السامرائي

قوله تعالى *قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ* هذا سؤال تقريري يقرر

السامعين عن المنعم الأول، من المنعِم؟ وأنه لا يمكن أن يفعل أحد غير ما يريده سبحانه. نحو هذا السؤال ورد في آيات سابقة ، قبلها قال *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ *٢٠* أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ *٢١ * ثم قال *قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *٢٨ * *قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ* السياق هو عن المنعِم الأول والجواب عن كل ذلك لا أحد غيره فله الفضل وله المنّة . إذن هو السؤال تقريري والسياق هكذا في جملة أسئلة متعاقبة عن المنعِم الأول الذي تفضل علينا بالنعم. ليس سؤالاً واحداً وإنما هي عدة أسئلة .

معنى الآية *قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ* الله تعالى يخاطب الناس ويذكّرهم بالنِعم فمن غير الله يأتيكم بماء معين؟ هذا يسمى استفهام تقريري، من غير الله؟ لا أحد فله الفضل وله المنّة . غرض الاستفهام في القرآن كما في قوله *وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ *١١٦* المائدة * يقرره أيضاً كالمحاكمة ، لو كان الأمر بمقتضى علم الله تعالى لا يحاسب أحداً فالله تعالى يعلم ولكنه يقيم الحجة يوم القيامة .

* تناسب فواتح سورة الملك مع خواتيمها*

تبدأ بقوله *تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١ * وخُتِمت بملكه وقدرته *قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ *٣٠

* المُلك مُلكه. ثم ذكر *الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ *٢ * وذكر من أساء ومن أحسن في الآخر خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً إذن منهم من يسيء ومنهم من يحسن فقال فيمن أساء *فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ *٢٧ * وقال فيمن أحسن *قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢٩ * . فذكر خاتمة الابتلاء *الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ *٢ * فكان هنالك نوعين ممن أطاع وممن عصى وهذا خاتمة الابتلاء. وبدأت بمُلكه وخُتمت بملكه وقدرته.

* تناسب خواتيم الملك مع فواتح القلم*

في أواخر الملك قال *قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ *٢٩ * وفي القلم قال *إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ *٧ * الكلام عن الضالّ.

*سورة القلم *سورة نون

* تناسب خواتيم الملك مع فواتح القلم*

في أواخر الملك قال *قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢٩ * وفي القلم قال *إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ *٧ * الكلام عن الضالّ.

* هدف السورة *

فيها دعوة لتوثيق العلم. وهذه السورة هي ثاني السور ونزلت بعد سورة العلق *اقرأ* الآن جاء دور الحث على توثيق هذا العلم *والقلم وما يسطرون* فالعلم يوثّق بالكتابة ولهذا ورد ذكر القلم المتعارف على وظيفته بالكتابة والتدوين وهو وسيلة تثبيت العلم. لأنه متى وثّقنا العلم كان سلاحاً لنا في الدعوة وقد كان للمسلمين مكتبة عامرة بالعلوم هي مكتبة بغداد فأين نحن الآن في عصر العلم من توثيق علومنا؟ وتأتي السورة أيضاً وصف أخلاق الداعية وما يجب أن يتحلى به الداعية من أخلاق ولذا قال تعالى: *وإنك لعلى خلق عظيم* لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو سيّد الدعاة وأشرفهم خلقاً وعلماً وديناً. وتذكر السورة بالمقابل من كانت أخلاقه سيئة مثل أصحاب الجنة فلا يصح لأي داعية أن تكون أخلاقه سيئة وعليه أن يقتدي بأخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

من اللمسات البيانية فى سورة القلم

آية *١* :

* السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن:

*د. حسام النعيمي *

هذه الظاهرة موجودة في خمس سور تبدأ بالأحرف المقطعة وليس وراءها مباشرة لا ذكر قرآن ولا ذكر كتاب. لكن لما تتلو السورة كاملة ستجد في داخلها ذكراً للكتاب والقرآن أو الكتاب وحده أو القرآن وحده أو الذكر، هذه مسألة . والمسألة الثانية هي جميعاً في نهايتها كلام على القرآن فكأنها تأخذ الأول والآخر، في البداية *الم* وفي الآخر كلام على القرآن أو الذكر أو حديث عن هذا الذي أُنزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيكون جمعاً بين الاثنتين، والنقطة الثالثة لكا يكون عندنا ٢٩ موضعاً، ٢٤ منها بهيئة معينة ، الخمسة الباقية تكون محولة على الكثير تُفهم من خلال الكثير. لما عندي مجموعة من الطلبة يقرأون القرآن تقول للأول إبدأ فيقرأ فتلتفت إلى شخص تقول له يا زيد أكمل فيُكمِل ثم تلتفت لآخر وتقول يا عمرو أكمل فيُكمِل فلو استعملت يا فلان أكمِل ٢٤ مرة ألا يسعك بعد ذلك أن تقول يا فلان ويفهم أنه أكمِل؟! لا تقول له يا فلان أكمِل لأنك قلتها ٢٤ مرة فتكتفي أن تقول يا فلان فيعلم من ذلك. لما يكون ٢٤ موضعاً فيها بعد الأحرف المقطعة القرآن أو الكتاب، هذه الخمسة تابعة لها ولا سيما إذا أضفنا إلى ذلك أن القرآن أو الكتاب ذُكِر في داخل السورة وأنه جاء في الآخر.

النماذج:

سورة مريم *كهيعص *١* ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا *٢ * قد يقول قائل أن الآية ليس فيها ذكر الكتاب وإنما ذكر الرحمة لكن لما نمضي في السورة نجد *وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا *١٦* ذكر الكتاب وفي نهاية السورة *فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا *٩٧* ما الذي يسّره بلسانه؟ واضح أنه القرآن فإذن ختمت السورة بكلام على القرآن.

سورة العنكبوت *الم *١* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ *٢ * لم تذكر الكتاب والقرآن مباشرة لكن لما نمضي نجد أنه يقول *وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ *٤٧* وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ *٤٨ * وفي نهاية السورة *وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ *٦٨ * ما الحق الذي جاء به الناس؟ القرآن إذن إشارة إلى القرآن.

سورة الروم *الم *١* غُلِبَتِ الرُّومُ *٢* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ *٣ * لا يوجد قرآن ولا كتاب ولما نمضي نجد فيها *كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *٢٨ * وفي الختام *وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآَنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآَيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ *٥٨ * .

سورة الشورى *حم *١* عسق *٢ * بعدها مباشرة

*كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *٣ * * ماذا يوحي؟ يوحي القرآن. مع ذلك يقولون لم يذكر قرآن ولا كتاب وإذا جئنا إلى نهاية السورة *وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *٥٢ * ذكر الكتاب.

سورة نون *ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ *١ * ذكر القلم مباشرة *وما يسطرون* وفي الداخل *إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ *١٥ * وفي الآخر *وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ *٥١ * والذكر هو القرآن. ماذا سمعموا؟ الذكر والذكر هو القرآن.

فإذن السور الخمس جاء في داخلها القرآن وختمت بكلام على القرآن أو الكتاب إما صريح وإما بإعادة الضمير أو استعمال الذِكر فإذن ربط الأول والآخر.

القرآن مؤلف من هذه الأحرف ولا سيما في ٢٩ موضعاً وهذا مذهبنا في ذلك إختيارنا لما قاله علماؤنا القدماء لأن القدماء عندهم أكثر من رأي وهذا رأي من آرائهم. الذي تكلمنا فيه هو مسألة ما كان آية وما لم يكن آية وهذا من جهدي، ولِمَ جاءت الكتاب هنا والقرآن هنا والعلاقة بين المقاطع هذا من الجهد الشخصي ولا يبعد أن نجد من من قاله من القدماء كما قال عنترة :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهّم

قد تقول وصلنا إلى هذا الأمر بجهد جهيد ثم تجد

في حاشية من الحواشي أن أحد العلماء نبّه إلى هذه المسألة ولكن بقدر ما اطلعت عليه ما وجدته.

ن والقلم وما يسطرون هل التسطير يتبع الكتابة بهذا القلم؟ وهل التسطير مرتبط بالقلم؟

د. فاضل السامرائي

التسطير يعني الكتابة وهو معطوف على الفسم. النُحاة يرون أنه قَسَم واحد ونعطف عليه وليس قسماً مستقلاً. *والنازعات غرقاً* هذا هو القسم والباقي معطوف على القسم فيكون قسماً بدليل *وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا *١* وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا *٢* وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا *٣ * ثم جاء بالفاء وهي ليست حرف قسم وإنما حرف عطف *فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا *٤* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا *٥ * . الواو عاطفة على القسم والفاء عاطفة على القسم فكان حكمها قسم والمعنى قسم. المعطوف على الشيء له حكمه فالمعطوف على المبتدأ مبتدأ والمعطوف على الخبر خبر والمعطوف على الفاعل فاعل فالحكم واحد والإخبار عنهم واحد. إذا كان القسم بحرف القسم *الباء أو الواو أو التاء* أو *لعمرك* أي وحياتك أو أيمن الله أي يمين الله أو أيم الله هذه كلها قسم. *ن والقلم وما يسطرون* القسم بالقلم، و *ن* مثل *ق* أحرف مقطعة . *والقلم* القسم *وما يسطرون* معطوفة على القسم فلها حكمه. يسطر أي يكتب والفرق بين سطر وكتب أن الكتابة قد تكون حرفاً واحداً أو حرفين أو كلمة أما السطر فالكتابة أكثر.

آية *٢* :

* قال تعالى في سورة الطور: *فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ *٢٩ * وقال في سورة القلم: *مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *٢ * فزاد قوله: *بكاهن* على ما في سورة القلم، فما سبب ذاك؟

د. فاضل السامرائي

والجواب: أن هناك أكثر من سبب دعا إلى هذه الزيادة .

١ - منها أنه فصل في سورة الطور في ذكر أقوال الكفرة في الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد ذكروا أنه كاهن، وذكروا أنه مجنون، وذكروا أنه شاعر. *أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون* . وقالوا إنه كاذب: *أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون* .

في حين لم يذكر غير قولهم إنه مجنون في سورة القلم: *ويقولون إنه لمجنون* فناسب ذكر هذه الزيادة في سورة الطور.

٢ - ومنها أنه ذكر في سورة الطور قوله: *أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين* والاستماع مما تدعيه الكهنة لتابعيهم من الجنِّ، فناسب ذلك ذكر الكهنة فيها.

٣ - ومنها أنه ذكر السحر في سورة الطور فقال: *أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون* . فناسب ذكر السحر ذكرَ الكهنة .

٤ - ومما حسن ذلك أيضاً أنه توسع في القَسَم في أول سورة الطور بخلاف سورة القلم، فقد قال: *والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور *

والبيت المعمور * والسقف المرفوع* والبحر المسجور* .

في حين لم يقسم في سورة القلم إلا بالقلم وما يسطرون. فناسب التوسع في الطور هذه الزيادة .

٥ - ذكر في سورة القلم في آخر السورة قول الكفرة ، إنه لمجنون ولم يزد على هذا القول، فقال: *وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون* فرد عليهم في أول السورة بنفي الجنون عنه فقال: *ما أنت بنعمة ربك بمجنون* . فناسب آخر السورة أولها.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفي *بمجنون* التوكيد باللام في الإثبات *لمجنون* لأن الباء لتوكيد النفي واللام لتوكيد الإثبات. والله أعلم.

آية *١١* :

* ما الفرق بين هُمَزة وهمّاز؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة الهمزة *وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ {١} * وقال تعالى في سورة القلم *هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ {١١} * الفروق بين الآيتين في الصيغ فصيغة همّاز هي صيغة مبالغة على وزن فعّال تدل على الحرفة والصنعة والمدأولة في الأصل مثل نجّار وحدّاد وخيّاط. وعندما نصف شخصاً ما بـ *كذّاب* فكأنما نقول أن صَنعَتُه الكذب. أما صيغة هُمَزة فهي مبالغة بالتاء وهناك أكثر من نوع للمبالغة بالتاء:

١ - ما أصله غير مبالغة وبالغ بالتاء مثل راوي - راوية *للمبالغة * وهي في الأصل صيغة مبالغة ونأتي بالتاء لزيادة المبالغة . ما أصله صيغة مبالغة ثم نأتي بالتاء لتأكيد المبالغة وزيادتها، مثل: *هُمزة * فأصلها *هُمَز* وهي من صيغ المبالغة مثل *حُطَم ـ لُكَع ـ غُدَر ـ فُسق* ، فنأتي بالتاء لزيادة المبالغة . ويقول أهل اللغة : ما بولغ بالتاء يدل على النهاية في الوصف أو الغاية في الوصف، فليس كل *نازل* يسمى *نازلة * ، ولا كل *قارع* يسمى *قارعة * حتى يكون مستطيرا عاما قاهرا كالجائحة ، ومثلها القيامة والصاخة والطامة . فهذا التأنيث للمبالغة بل الغاية في المبالغة ، وهذا ما تدل عليه كلمة *هُمَزة * ؟

إذن نحن أمام صيغتين للمبالغة إحداهما تدل على المزأولة ، والأخرى على النهاية في الوصف ... ها هو الفرق بينهما.

والسؤال الآن بعد أن عرفنا الفرق بينهما: لماذا اختار وضع هذه هنا وهذه هناك؟

قال تعالى في سورة الهُمزة *"وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ. الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ. نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ. فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ" * وقال في سورة القلم *ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ. فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ. بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ. فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ. وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ. وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ. هَمَّازٍ مَّشَّاء

بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ. أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ. إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ. إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ*

استعمال هُمزة في آية سورة الهمزة لأنه ذكر النتيجة وتعرّض للعاقبة ، نتيجة وغاية وعاقبة الكفار الويل وجاءت الآية *كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ {٤} * والحُطمة هي بنفس صيغة همزة وهي صيغة مبالغة لذلك ناسب أن يذكر بلوغه النهاية في الاتصاف بهذه الصفة بالتاء تدل على النهاية في الحطم، وهي تفيد أن الجزاء من جنس العمل فكما أنه يبالغ في الهمز فسيكون مصيره مماثلا في الشدة فالذي يتعدّى على الناس في قوانين الدنيا في أنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة . ونلاحظ أيضا من السورة أن الخارج والمتعدي يحبس في النار وهكذا في قوانين الدنيا أيضا.

أما في سورة القلم استخدام صيغة همّاز لأن الكلام في التعامل مع الناس وكل سورة القلم تتكلم عن التعامل مع الناس. "وإنك لعلى خلق عظيم" ، فهي تتناول السلوكيات ولا تذكر العاقبة إلا قليلا وهي التي وردت في قوله: "سَنَسمُه على الخرطوم" ولكنه لم يذكر شيئا آخر من عاقبة مرتكب هذا الفعل إنما ذكر صفاتهم فقط مثل *حلاف مهين هماز مشاء بنميم* وهذه الصفات لا تستوجب الطاعة ولم يأت ذكر العاقبة في هذه السورة فهي كلها في التعامل. وجاء في السورة *أن كان ذا مال وبنين* ينبغي أن لا يُطاع ولو كان ذا مال وبنين فهو يمتنع بماله وبنيه

والمال والبنون هما سبب الخضوع والإيضاح والانقياد ولو كان صاحبهما ماكر لذا جاءت الآية *وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ {١٠} هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ {١١} مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ {١٢} عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ {١٣} أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ {١٤} * . فالعربي صاحب عزة في عشيرته ببنيه ولكن المال والقوة هما سبب الخضوع والانقياد في الأفراد والشعوب مهما كانت حقيقة صاحب المال من أخلاق سوء وإثم واعتداء فإن لها القوة لما لها من مال وقوة وهذا مشاهد في واقعنا وهو سبب استعلاء الدول القوية صاحبة هذا المال وتلك القوة على الشعوب المستضعفة . فالملحوظ هنا أن سورة القلم لم تتطرق إلى نهايتهم بل اكتفت بالأمر بعدم طاعتهم، أما الهمزة فقد ذكرت نهايتهم بتفصيل.

آية *١٢* :

* في سورة القلم قال تعالى *مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ *١٢ * ما الفرق بين أثيم وآثم؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى *مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ *١٢ * باستخدام الأثيم لأنه لو لاحظنا ما ورد في السورة لوجدنا أن الله تعالى ذكر فيها كل صفات المبالغة *حلاّف، همّاز، مشّاء، مهين، منّاع للخير*وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ *١٠* هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ *١١* مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ *١٢* عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ *١٣ * فجو السورة جو مبالغة والأمر الآخر أن الذي يفعل كل هذه الأمور الذي سبقت ألا يكون أثيماً؟ بالطبع هو أثيم وليس آثم بل إن فعل كل واحدة من هذه الأفعال يجعله أثيماً وليس آثماً فكيف لو اجتمعت كل هذه

الصفات في المعتدي فلا بد أن يكون أثيماً.

* ما الفرق بين قوله تعالى فى سورة ق *مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ {٢٥} ق* وفي سورة القلم يقول *مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ {١٢} القلم* ؟

د. أحمد الكبيسي

واضح جداً الفرق بينهما. معتدٍ مريب رجل هذا مجرم يعني هو حيثما إذا قال كلامك إذا أحبك إذا صافحك هو مريب ولا يمكن أن تستقر إليه لماذا؟ لأنه كل حركاته إثم، رجلٌ يتتبع الإثم في القول والعمل والفعل وبالتالي بعد كونه مريباً يحقق هذه الريبة بإثم فهو مناع للخير معتدٍ مريب أولاً ثم يطور إلى مناع للخير معتدٍ أثيم.

آية *٤٢* :

* ما المقصود بهذه الآية *يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ *٤٢* القلم*؟

د. فاضل السامرائي

عند العرب كشف الساق التشمير عنها وهو مثل في شدة الأمر عندهم يشمر عن ساقه أي الأمر شديد الأمر فيه صعوبة فتقول العرب شمر عن ساقه إذا كان هناك أمر شديد جلل كبير فيه صعوبة العرب تقول شمّر عن ساقه، حتى قال الشاعر *أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضها وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّر* وآخر يقول *عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومن طواء الخيل عن أرزاقها من سنة قد كشفت عن ساقها* فإذن في الأصل هو كناية عن الشدة

والكلام عن يوم القيامة *يوم يكشف عن ساق* لكن مع ذلك هناك حقيقة رواها البخاري ومسلم أنه يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءٍ وسمعة فذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ". فإذن يجتمع الأمران يجتمع شدة الأمر والخطب وصعوبة يوم القيامة وهنا يكشف عن ساق الأمر يقتضي التشمير وهذا الأثر الله أعلم بمراده. *يُكشف عن ساق* فعل مبني لما لم يسمي فاعله، *عن ساق* نائب فاعل."

آية *٤٣* :

* ما الفرق بين خشعاً ابصارهم وخاشعة أبصارهم وأبصارها خاشعة *خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ *٧* القمر*، *خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ *٤٤* المعارج*، *يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ *٤٢* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ *٤٣* القلم*أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ *٩* النازعات*؟

د. فاضل السامرائي

خُشّع هذا الجمع على وزن فُعّل. والخشوع هو الإنكسار والذلة ويكون للإنسان عموماً وللقلوب وللأبصار والوجوه *وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ *٢* الغاشية * يظهر فيها الذلة والإنكسار، *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *٢* المؤمنون* خشوع عام في القلب والجوارح. خُشّع جمع مفردها خاشع مثل سُجّد ساجد. قال خاشعة أبصارهم وخشّعاً أبصارهم، في الايتين في

السؤال *خاشعة أبصارهم*خشعاً أبصارهم* خشع جمع على وزن فعل هذا الوزن يفيد التكثير والمبالغة نظير قولنا في المبالغة مثل قُلّب، نقول هذا رجُل قُلّب أي كثير التقلب وسريع التقلب، وبَرْق خُلّب أي ليس فيه مطر، ورجُل حُوّل أي كثير التحوّل. هذه من صيغ المبالغة وهي أكثر من فُعَلة هُمزة لُمزة . في المفرد من صيغ المبالغة ، هذه جمع خشعاً ابصارهم أي فيها مبالغة الخشوع. هذا المعنى اتضح الفرق بين خاشع وخُشّع، خاشعة اسم فاعل وخُشّع هي جمع يفيد التكثير ومفرده في الأصل على وزن فُعل يفيد المبالغة والتكثير مثل خُلّب وقُلّب.

هذا الفرق في الدلالة ، يبقى سبب الإختيار لماذا هنا قال خُشّعاً وهنا خاشعة ؟ نقرأ الآية في سورة القمر *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *٦* خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨ * أولاً قال *شيء نكر* نُكُر أي شديد النكارة غير مألوف ولا معروف صيغة فُعُل من صيغ المبالغة الدالة على شدة النكارة غير المألوفة وغير المعروفة ، هذا واحد ثم تقديم الحال *خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ* وفي الآية الثانية كلها مؤخرة *يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ *٤٣* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ *٤٤ * الحال متأخرة بينما في القمر الحالة المتقدمة لشدة الأمر *خشعاً* حال دالة على الكثرة وشيء نكر ومتقدمة . *يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨* القلم* مهطعين أي مسرعين مادّي

أعناقهم خائفين ولم يذكر في الآية الثانية مثل هذه الأشياء. *يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ* كلها تدل على الموقف والهول وشدة النكارة فقال *خشعاً أبصارهم* فجاء بالصيغة التي تدل على الكثرة والمبالغة وقدّمها.

أقصى ما قال في الآية الثانية في سورة المعارج *كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ* هذه يشاهدونها، يسرعون إلى أصنامهم حالة مألوفة لكن لما قال *إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ* هذا غير مألوف شديد النكارة غير معروف *يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨ * أيها الإنسب لمن يعرف اللغة أين نضع خشعاً وخاشعة ؟ يضعها في مكانها هذه موازين كالمعادلة الرياضية قدم خشعاً وخاشعة على الإبصار أما في آية *أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ *٩* النازعات* هذه إخبار مبتدأ وخبر.

* تناسب فواتح سورة القلم مع خواتيمها*

قال في أولها *ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ *١* مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *٢ * وفي آخرها *وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ *٥١* وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ *٥٢ * برّأه تعالى . هم يقولون مجنون والله تعالى يقول ما أنت بنعمة ربك بمجنون.

* تناسب خواتيم القلم مع فوتح الحاقة *

في أواخر القلم قال *فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ *٤٤* وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ *٤٥ * وضرب مثلاً لهؤلاء في الحاقة *ثَمُودُ وَعَادٌ

بِالْقَارِعَةِ *٤* فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ *٥* وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ *٦ * إستدرجهم وأملى لهم حتى أهلكهم. أُملي لهم يعني أؤجل لهم أدعهم يفعلون إلى أن أهلكهم. أملى لهم واستدرجهم إلى أن أهلكهم. إذن ضرب مثلاً من كذب ثم استدرجهم فأملي لهم. قال في أواخر القلم ذكر المتقين والكافرين *إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ *٣٤ * وذكر الكافرين *يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ *٤٢ * وقال في أول الحاقة ذكر من أوتي كتابه بيمينه ومن أوتي كتابه بشماله، ذكر المتقين وذكر يوم يطشف عن ساق وهذا في يوم القيامة والحاقة من أسماء يوم القيامة . هذا ما ذكره في المتقين وما ذكره في الكافرين هو إنما يكون في يوم القيامة الحاقة فقال *الْحَاقَّةُ *١* مَا الْحَاقَّةُ *٢* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ *٣ * ثم ذكر من أوتي كتابه بيمينه *إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ *٣٤ * وذكر من أوتي كتابه بشماله *يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ *٤٢ * فضرب المثالين في الحاقة . كل واحدة ذكر فيها جانباً من الجوانب استكمالاً لما يذكر أو للتوضيح والتبيين وليس من قبيل التكرار وإنما تضيف إطاراً به تكتمل الصورة العامة .

الله تبارك وتعالى أثبت الحكم في بداية السورة فهل لهذا دلالة ، نفهم أنه ربما يأتي بقولهم ثم يكذب هذا القول؟

ليس بالضرورة هو أقسم على شيء أنه نفى كونه مجنوناً ثم ذكر قول الذين كفروا لأن هؤلاء الذين كفروا قالوا بعد أن نزل عليه الذكر ولم يقولوا قبله *لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ *٥١ * .

فإذن هم قالوا بعد نزول الذكر عليه وربنا سبحانه وتعالى نفى هذا الأمر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - *مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *٢ * ثم وضح لنا أنهم يقولون إنه لمجنون فأراد أن يبرئ ساحته. ذكر *مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ* لأنهم قالوا *وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ* . فائدة الخطاب من الله تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم - *مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *٢ * لأن كثرة الكلام لو كان غير الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد يثبت في نفسه شيء فأراد أن يثبته.

سورة الحاقة

* تناسب خواتيم القلم مع فوتح الحاقة *

في أواخر القلم قال *فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ *٤٤* وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ *٤٥ * وضرب مثلاً لهؤلاء في الحاقة *ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ *٤* فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ *٥* وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ *٦ * إستدرجهم وأملى لهم حتى أهلكهم. أملي لهم يعني أؤجل لهم أدعهم يفعلون إلى أن أهلكهم. أملى لهم واستدرجهم إلى أن أهلكهم. إذن ضرب مثلاً من كذب ثم استدرجهم فأملى لهم. قال في أواخر القلم ذكر المتقين والكافرين *إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ *٣٤ * وذكر الكافرين *يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ *٤٢ * وقال في أول الحاقة ذكر من أوتي كتابه بيمينه ومن أوتي كتابه بشماله، ذكر المتقين وذكر يوم يطشف عن ساق وهذا في يوم القيامة والحاقة من أسماء يوم القيامة . هذا ما ذكره في المتقين وما ذكره في الكافرين هو إنما يكون في يوم القيامة الحاقة فقال *الْحَاقَّةُ *١* مَا الْحَاقَّةُ *٢* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ *٣ * ثم ذكر من أوتي كتابه بيمينه *إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ *٣٤ * وذكر من أوتي كتابه بشماله *يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ *٤٢ * فضرب المثالين في الحاقة . كل

واحدة ذكر فيها جانباً من الجوانب استكمالاً لما يذكر أو للتوضيح والتبيين وليس من قبيل التكرار وإنما تضيف إطاراً به تكتمل الصورة العامة .

* هدف السورة *

آياتها كلها تذكّر بالآخرة . والتذكرة بالآخرة هي وسيلة مهمة للداعية وهي من أهم ما يجب أن يستخدمه الداعية في دعوته لأن التذكرة بالآخرة ترقق القلوب القاسية . وقد احتوت السورة على مشاهد عظيمة من يوم القيامة يوم يظهر الحق الكامل ويعلم الناس إذا كانوا في الجنة أو النار.

* من اللمسات البيانية فى سورة الحاقة *

آية *٤* :

* ما دلالة تقديم ثمود على قوم عاد في سورة الحاقة مع أنها تتأخر في باقي القرآن؟

د. فاضل السامرائي

التقديم والتأخير عموماُ قد يكون بالمتقدم أو المتأخر حتى في كلامنا العادي نضرب مثلاً بمن هو أمامنا أو بمن هو متقدم: تقول لواحد انظر إلى فلان كيف كان، انظر إلى فلان الذي قبله قد تذكره بمن تشاهده وقد تذكره بالقديم تقول له هذه سنة الله في الخلق منذ خلق الله الأرض، من آدم. أحياناً التذكير أو الذكر يبدأ بالأقرب ثم الأبعد وأحياناً بالعكس. سياق السورة والسمت العام في السورة كلها أنها تبدأ بالأقرب *كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ *٤ * *وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ *٩ * فرعون ومن قبله، ثم قال *إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ *١١ * هذا نوح،

هذا سمت عام في السورة حتى في مشاهد القيامة *فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ *١٣* وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً *١٤ * بدأ بالأرض ثم قال وانشقت السماء وفي أحيان كثيرة يبدأ بالسماء وهي الأبعد *إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ*إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ*إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ *١* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ *٢* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ *٣* التكوير* السمت العام في السورة أنه يبدأ بالأقرب ثم الأبعد حتى في القسم *فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ *٣٨* وَمَا لَا تُبْصِرُونَ *٣٩* الحاقة * ما تبثر أقرب مما لا تبصر، هذا السمت العام في السورة .

ثم أن السورة تبدأ بالحاقة ويبدو أن كل التي تبدأ بأمثالها الحاقة والقارعة والصاخة والآزفة والغاشية والواقعة تبدأ بالأقرب *الْقَارِعَةُ *١* مَا الْقَارِعَةُ *٢* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ *٣* يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ *٤* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ *٥ * *فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ *٣٣* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ *٣٤* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ *٣٥* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ *٣٦ * *فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى *٣٤* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى *٣٥ * *إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *١* لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ *٢* خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ *٣* إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا *٤* وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا *٥ * *أَزِفَتِ الْآَزِفَةُ *٥٧* لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ *٥٨* أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ *٥٩ * *هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ *١* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ *٢* عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ *٣ * هذه تحتاج إلى تدقيق أكثر ولكن هكذا يبدو لي بنظرة سريعة والله أعلم.

آية *٧* :

* ما هي الآية الكريمة التي استعصت على الدكتور لمعرفة لمساتها البيانية ؟

د. فاضل السامرائي

هي أكثر من آية ، إحداها بقيت عندي أشهر وهي قوله تعالى *تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ *٢٠* القمر* لماذا جاءت بالتأنيث في سورة الحاقة *كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ* وفي القمر *كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ* وهي وصف للنخل في الحالتين لكن إحدى الآيتين بالتأنيث والأخرى بالتذكير. رجعت لكتب التفسير التي تقول أنها متناسبة لخواتيم الآيات لكن في نفسي أنها ليست للفاصلة وحدها وقطعاً هناك أمر غير الفاصلة ووصلت إلى إجابة وكتبتها في كتاب بلاغة الكلمة في القرآن. ثم اهتديت إليها عَرَضاً في صنعاء. عندنا قاعدة أن التأنيث قد يفيد المبالغة والتكثير يعني رجل راوية ، داعية هذه فيها مبالغة مثل علام علامة ، حطم حطمة ، همز همزة هذه مبالغة وهذه قاعدة لغوية وتعني التكثير *قالت الأعراب آمنا* بالتأنيث وقال *قال نسوة في المدينة * الأعراب أكثر.

قال تعالى *إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ *١٩* تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ *٢٠ * وقال في يوم واحد بينما في سورة الحاقة قال *سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ *٧ * أيها الأكثر سبع أيام بلياليها أم يوم؟ سبع أيام فجاء بالتأنيث للدلالة على المبالغة والتكثير ثم قال في الحاقة قال *وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ *٦ * وفي القمر قال *رِيحًا

صَرْصَرًا* لم يقل عاتية فزاد العتو وزاد الأيام في الحاقة فيكون الدمار أكبر فقال خاوية لأن الخاوية أكثر من منقعر لأن كل منقعر هو خاوي والخاوي عام يشمل المنقعر وغير المنقعر فجاء بكلمة خاوية التي هي أعم من منقعر وجاء بالتأنيث للمبالغة والتكثير وصفة الرياح أقل ريح صرصر لذا قال بعدها *فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ* .

* تعقيباً على إجابة الدكتور السامرائي:

في الحلقة السابقة عن الآية *أعجاز نخل خاوية *منقعر* فهل يمكن أن نفهمها على أنه خاوية تعود على الأعجاز وفي حالة منقعر تعود على النخل؟ لا يصح لأننا إذا رجعنا إلى تشكيل خاوية ومنقعر في الحالتين هي مجرورة *خاويةٍ*منقعرٍ* وهي وصف للنخل وليس للأعجاز ولو كانت تعود على أعجاز لكانت تكون مرفوعة *أعجاز نخل خاويةٌ* .

آية *١٣* :

* قال تعالى *فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ *١٣* الحاقة * لماذا جاء الفعل *نفخ* مذكراً ولم يقل نفخت مع أن الفاعل مؤنث *نفخة * ؟

د. فاضل السامرائي

أولاً الحكم نحوي أن نفخة مؤنث مجازي والمونث المجازي يجوز فيه التذكير والتأنيث والفصل بين الفعل والفاعل *في الصور* هذا أمر آخر يحسّن التذكير، هذا أمر نحوي ومن الناحية النحوية يجوز التذكير والتأنيث. يبقى هنالك أمر آخر قُرئت *نفخةً* وإعرابها مفعول مطلق و *في

الصور* نائب فاعل *جار ومجرور* وفي هذه الحالة لا يجوز، أصلها نفخ الله في الصور نفخةً واحدة باعتبارها متعلقة بمحذوف مفعول به لأن الفعل اللازم إذا كان الفعل لازماً ممكن أن ينوب عنه الظرف بشروط نائب الفاعل مثلاً *سُوفِر يومُ الخميس* وسافرتُ يومَ الخميس، سافر فعل لازم ليس متعدياً وعندما نبنيه للمجهول سوفِر يومُ *يوم نائب فاعل* ، أو الجار والمجرور بشروطه *جلست في الحديقة *جُلِس في الحديقة * جار ومجرور، *ونفخ في الصور* وقد يكون المصدر إنطُلِق انطلاقٌ شديد *نائب فاعل* . فهنا على القراءة المشهورة *نفخةٌ* نائب فاعل وأصلها مصدر ونفخ في الصور نفخةٌ واحدة *نفخة اسم مرّة * . وعندنا قرآءة نفخةً مفعول مطلق مثل انطلقت انطلاقة ، إذن على هذه القراءة لا يصح أصلاً نُفخت على قراءة نفخةً هذا ليس فاعلاً حتى تؤنث له الفعل لأن المفعلول المطلق لا يؤنث له الفعل. أولاً بموجب هذه القراءة *نفخةً* لا يصح التأنيث أصلاً ثم عندنا مؤنث مجازي وعندنا الفصل، عندنا ثلاثة أمور الآن قسم يجيز التذكير وقسم يجيز التأنيث.

وهنالك أمر آخر حتى لو لم تكن قراءة بالنصب *نفخةً* وهو أن هذا يوم شديد *وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً *١٤* الحاقة * هذا يوم شديد يجعل الولدان شيباً كما ذكر تعالى والتذكير في هذا أولى كما في تذكير الملائكة في الشدة ،عندما يذكر ربنا الملائكة في الشدة يذكّرهم وعندما يذكرهم في البشرى أو فيما هو أقل يؤنثهم، لو عندنا أمران أحدهما أشد من الآخر يستعمل الملائكة بالتذكير لما هو أشدّ مثال: *وَلَوْ

تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ *٥٠* الأنفال* قال يتوفى *مذكر* مع الملائكة استعمل الفعل بالتذكير، وقال *فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ *٢٧* محمد* مؤنث، لم يقل ذوقوا عذاب الحريق مع أن الفعل واحد في الحالتين وهذه وطبيعة القرآن إذا كان الأمر شديداً يستعمل التذكير للملائكة وفي مقام البشري يستعمل المؤنث *وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا *٢٥* الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا *٢٦* الفرقان* نُزِّل مذكّر، *إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ *٣٠* فصلت* الفعل تتنزل مؤنث.

*فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ *١٣* الحاقة * ما هي الحكمة في هذا التعبير؟

د. فاضل السامرائي

الصفة قد تكون مؤكدة مثل *أمس دابر* ، *فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ *١٣* الحاقة * هي واحدة ، *وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ *٥١* النحل* إلهين يعني اثنين، *وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً *١٤* الحق*.

آية *١٩* :

* ما معنى هاؤم اقرأوا كتابيه؟

د. فاضل السامرائي

هاؤم معناها هاكم في العامية مقول هاك معناها خُذ، هاؤم معناها خذوا وإن كان أيضاً أهل اللغة يقولون هاءَ تأتي بمعنى هات أي عكس خُذ لكن في الآية خذوا اقرأوا كتابيه فرح بما أوتي من كتابه باليمين وفي التفسير يقولون تعالوا اقرأوا كتابيه، هاؤم معناها هاكم خذوا اقرأوا كتابيه. هي هاءِ بالإفراد مثل هاكِ، هاؤم تفيد الجمع، يقول أهل اللغة هاءَ بالفتح بمعنى هات وهاءِ بمعنى خُذ. هاؤم بمعنى خذوا فرح بما آتاه الله من كتاب في يمينه فقال تعالوا انظروا ما في كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه، هاؤم اسم فعل.

* حرف الهاء يقصد بها التنبيه في *هؤلاء، هذا* فهل للهاء نفس الدلالة في *فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ *١٩* الحاقة *؟ وما دلالة باقي الكلمة *اؤم* ؟

د. حسام النعيمي

يفرحنا جداً مثل هذه الأسئلة والملاحظة والتتبع والمراعاة وتشير إلى أن المشاهدين يتتبعون فصاروا ممن يلاحظ هذه الآيات كما قال تعالى عن أناس هجروا هذا القرآن *أفلا يتدبرون القرآن* فصاروا ممن يتدبر القرآن وينظرون شيئاً دُبُر شيء.

*فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ *١٩* الحاقة * الجزء الأول في هاؤم *هـ* هو ليس كالجزء الأول في لفظ *هذا*، الجزء الأول من لفظ *هذا* نص العلماء على أن *ذا* هو اسم الإشارة ولو تذكرت أبيات الألفية :

بذا لمُفردٍ مذكّر أشِر بذي وذِه تي تا على الأنثى اقتصر

وتدخل الهاء للتنبيه فيقال *هذا* وأحياناً لا تدخل الهاء وإنما يأتي ذاك وذلك. لكن هنا *هاؤم* الهاء ليست للتنبيه و *أؤم* التي يحار الناس في معناها وإنما هذه لفظة ، هي اسم فعل *هاؤم* كلمة كاملة كما هي بمعنى *خذوا* كأنما يريد أن يعطيهم شيئاً *هاؤم اقرأوا كتابيه* خذوا كتابي فاقرأوه.

هاؤم قال العلماء تستعمل في لحظة الفرح الشديد، يقول هاؤم هذا وانظروا فيه. بعض العلماء تتبع هذه اللفظة في لغات العرب فوجد أن العرب تستعملها بثماني طرائق: منهم من يقول *ها* فقط: ها يا رجل، ها يا امرأة ، ها يا رجلان، ها يا امرأتان، ها يا رجال، ها يا نسوة صورة واحدة بمعنى خذ وخذي وخذا وخذوا وخذن. وبعضهم يستعمل معها الهمزة *هأ* هأ يا رجل، لكن يقولون أكثرها استعمالاً التي أشار إليها سيبويه إمام النحاة وهي التي يقول فيها العربي *هاءَ يا رجل، هاءِ يا امرأة ، هاءا يا رجلان ويا امرأتان، هاؤنّ للنساء وهاؤم يا رجال* فهذه هي اللغة العليا الأكثر استعمالاً. أن تلحق الألف همزة مفتوحة قبل كاف الخطاب هذه لغة أخرى : *هاءك، هاءكِ، هاءكما، هاءكنّ، هاءكم* . ثماني لغات لكن اللغة التي عليها القرآن الكريم أجودها ما حكاه سيبويه لما يقول العرب تقول أي جمهور العرب فهي اللغة العليا المثلى تقول *هاءَ، هاءِ، هاءا، هاءكنّ، هاؤم* فالميم في هاؤم كالميم في أنتم وضمها كضمها في بعض الأحيان. وفسّر هنا بـ *خذوا* وتستعمل عند الفرح والنشاط وكأنها جواب، كأنها لشخص يقول: ما عندك؟ يقول: هاءِ

ما عندي، في حال فرحك ونشاطك وسرورك. هؤلاء كانوا مسرورين فيقولون *هاؤم* لفرحهم وسرورهم، والذي أعطي كتابه بشماله لم يقل هاؤم.

وعندنا رأي يرى "وزعم قوم أنها مركّبة في الأصل" كأنها منحوتة نحتاً أصلها هاء التنبيه وأوموا أي إتجه إلى الشيء، هاأوموا إليّ يعني إتجهوا إليّ لكن لا يوجد دليل واللغات السبع الأخرى دليل على أنها كلمة وصنعت هكذا ابتداءً وليست من النحت.

هناك فرق بين هاؤم وخذوا: هاؤم كأنها لفظة سرور لكن إذا قلت خذوا أي خذوا هذا الأمر وأنت فرح أو غاضب أو راضٍ أو غير راضٍ أو غيره لكن هاؤم فيها سرور وفرح.

*لا تخفى منكم خافية *: مناسبة أن نقول أن هذه الآية وحدها لو كان الإنسان يتبصّر فيها لتوقف عن كل عمل لا يرضي الله سبحانه وتعالى لما يتذكر أنه *يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية * هذه وحدها لو أراد أن يسرق أو يعصي، يقول صحيح أنه لا أحد يراني، لكن كيف أصنع يوم لا تخفى خافية ؟ سلاّمة لما قالت لعبد الرحمن القُسّ *يقال له قُسّ لعبادته* قالت له: إني لأحبك، قال وأنا والله، قالت: وأشتهي أن أقبّلك، قال وأنا والله، قالت: فما يمنعك فإن الموضع لخالٍ؟ قال: يمنعني قول الله عز وجل - تذكروا فإذا هم مبصرون - *الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ *٦٧* الزخرف* فأخشى أن تحول محبتي لك عداوة يوم القيامة . فلو تذكر الإنسان دائماً هذه الآية *يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية

* ما كان عصى أحدٌ ربّه سبحانه وتعالى.

* هل ورد التنازع في القرآن الكريم؟

د. فاضل السامرائي

ورد التنازع في القرآن الكريم في أكثر من موضع ومن ذلك قوله تعالى *هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ *١٩* الحاقة * هاؤم هذا اسم فعل بمعنى هاتوا، اقرأوا فعل أمر، كتابيه، هاؤم اقرأوا كتابيه، تنازعوا الكتاب، هاؤم اقرأوا الكتاب هاتوا الكتاب واقرأوه واسم الفعل يعمل عمل الفعل.

آية *٢٥* :

* ما الفرق بين *وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ {٢٥} الحاقة *وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ {١٠} الانشقاق* ؟

د. أحمد الكبيسي

بشماله أو من وراء ظهره يا أخي هذا الشمال هذا الكتاب هكذا ثم يده مغلولة بالخلف فهي يده مغلولة وراء ظهره فيعطى الكتاب بشماله المغلولة وراء ظهره.

آية *٥١* :

* في سورة التكاثر قال تعالى *كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ *٥ * ومباشرة بعدها *ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ *٧ * وفي سورة الحاقة *وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ *٥١ * فما دلالة الاختلاف علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين؟ وهل نفهم أن اليقين له مراتب؟

د. فاضل السامرائي

علم اليقين أن تتيقن من الشيء. أعلاها حق اليقين ثم يأتي عين اليقين *اليقين هو الأمر الثابت الحق الثابت* ودونه علم اليقين. إبراهيم - عليه السلام - لما سأل ربه كيف تحيي الموتى؟ قال أولم تؤمن؟ قال بلى، هذا علم يقين لم يكن إبراهيم شاكاً وإبراهيم يعلم ذلك علم اليقين ليس متشككاً إذن يعلمه علم اليقين فلما رأى الطير صار عين اليقين رآها بعينه، شاهدها مشاهدة ولذلك القدامى يضربون مثالاً يقولون علم الناس بالموت هذا علم اليقين فإذا رأى ملائكة الموت وهو في النزع هذا عين اليقين فإذا ذاقه صار حق اليقين.

* تناسب فواتح سورة الحاقة مع خواتيمها*

بدأت بعقوبة المكذبين بالحاقة والقارعة في الدنيا *الْحَاقَّةُ *١* مَا الْحَاقَّةُ *٢* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ *٣* كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ *٤ * ثم ذكر إهلاك ثمود وعاد *فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ *٥* وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ *٦ * ثم ذكر الحاقة وأحوالها المؤمنين والمكذبين بها *فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ *١٩ * *وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ *٢٥ * . إذن قال في أولها *كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ *٤ * ثم ذكر عاقبتهم وفي الآخر قال *وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ *٤٩ * وهم كذّبوا، *كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ* فأهلناكم *فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ *٥* وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ *٦ * *وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ *٤٩* وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ *٥٠ * عاقبتهم الحسرة ، أولئك أهلناكم وأنتم عاقبتكم الحسرة .

* تناسب خواتيم الحاقة مع فواتح المعارج*

الحاقة كلها تتكلم عن يوم القيامة من بدايتها *الْحَاقَّةُ *١* مَا الْحَاقَّةُ *٢ * إلى آخرها *وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ *٤٩* وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ *٥٠ * وفي المعارج *تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ *٤ * هي نفسها، فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة هذا يوم القيامة يوم تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، هذه نفسها.

سورة المعارج

* تناسب خواتيم الحاقة مع فواتح المعارج*

الحاقة كلها تتكلم عن يوم القيامة من بدايتها *الْحَاقَّةُ *١* مَا الْحَاقَّةُ *٢ * إلى آخرها *وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ *٤٩* وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ *٥٠ * وفي المعارج *تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ *٤ * هي نفسها، فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة هذا يوم القيامة يوم تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، هذه نفسها.

* هدف السورة *

تتحدث آيات السورة عن صفات المؤمنين وهي مشابهة لسورة المؤمنون وهي مكمّلة لها لأن الداعية عليه أن يتحلّى بالصفات العبادية التي وردت في سورة المؤمنون وكذلك بالصفات الأخلاقية للمؤمن التي وردت في هذه السورة أيضاً.

* من اللمسات البيانية فى سورة المعارج*

آية *٢* :

* ما دلالة اللام في قوله تعالى *سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ *١* لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ *٢* المعارج*؟

د. حسام النعيمي

في ستة مواطن في القرآن ورد *وقع على * لأن الوقوع هو سقوط من أعلى ، المناسب للوقوع هو *على * ، في مكان جاءت *واقع بهم* استعمل الباء وهنا استعمل اللام *للكافرين* ولكل استعمال غرضه البياني. من البداية *الباء* في قوله *بعذاب* عادة يقال سأل عن الشيء، سأل بالشيء فلا بد أن يكون لها لمسة بيانية . كان يمكن أن يقول: سأل سائل عن عذاب واقع على الكافرين والله تعالى لا يعجزه ذلك فلما يأتي بهذه الصيغة ينبغي أن نبحث. الباء *بعذاب* الباء للإلصاق كأنه ألصق الشيء يقال كتبت بالقلم كأنه إلتصق بيدك وقد تأتي للسببية *مررت على زيد بهذا الأمر* أي بسبب هذا الأمر. لما نبحث عن أسباب النزول - وليس شرطاً أن نعرف السبب وإنما من عموم اللغة - لكن السؤال هنا لم يكن سؤال مستفِهم وإنما سؤال طالِب. السؤال هو بمعنى الطلب، سأله أي يطلب إجابة وأحياناً يطلب شيئاً. أصل الآية عندما نزلت في إنسان كان عنده نوع من المجابهة ونوع العنجهية *إئتنا بعذاب* أي طلب عذاباً ويقال في الروايات أنه رُميَ بصاعق كما تقول الروايات وهو خارج، سأل العذاب فوقع عليه، فلما طلب هذا الطالب عذاباً *سأل سائل بعذاب* فالباء عند ذلك تكون زائدة - لا نعني أن وجودها كعدمه - لما نقول *وكفى بالله حسيباً* أو *وكفى بالله شهيدا* في غير القرآن يمكن أن نقول وكفى الله شهيداً، *وما ربك بظلام* وما ربك ظلام يقولون الباء زائدة لكن حقيقتها للتوكيد، حقيقة الباء للتوكيد. لما نقول هي زائدة فهذا مصطلح لا يعني أن وجودها

كعدمه وإنما نعني أنها لا تتعلق وما بعدها بشيء لأن الجار والمجرور يتعلقان كما نقول *كتبت بالقلم* الجار والمجرور *بالقلم* يتعلقان بالفعل *كتب* ، *زيدٌ في الدار* الجار والمجرور متعلقات بزيد أي زيد موجود في الدار.

لما نقول *وما ربك بظلام للعبيد* لا نقول الجار والمجرور *بظلام* متعلقة فهي ليست متعلقة بشيء لذا يقال الباء مؤكدة وظلاّم خبر *ما* منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة منع من ظهورها إشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد *الباء تعمل لكن لا تتعلق مع ما بعدها* . *بعذاب* مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة وجُرّ بالباء لفظاً *وإن كان بعض العلماء لا يجيزون هذه العبارة * . سأل سائل كأنه قال طلب طالب عذاباً وجاءت الباء للتوكيد. ليس هذا فقط، صحيح فيها معنى التوكيد فقط وإنما فيها معنى الإلصاق أيضاً أي أن العذاب لاصق به وهذا العذاب فعلاً وقع. ومعاني الباء كثيرة وإبن هشام يذكر لها إثني عشر معنى . يقول العذاب *واقع* سيقع لكن أكبر من *سيقع*واقع* لا محالة ولم يقل بعذاب سوف يقع فيها تراخي وإنما قال بعذاب واقع، واقع للكافرين إن لم يكن الآن فهو واقع في الآخرة لأن الآيات بعدها تتكلم عن الآخرة لذا قلنا المعنى ليس فقط منحصراً بسبب النزول.

للكافرين*: اللام أيضاً لها معاني من جملتها الملك كأن نقول: الكتاب لزيد أي يملكه. اللام فيها معاني متعددة ، هذه اللام لما نقول واقعٌ له، ما الذي وقع له؟ ما الذي امتلكه من الآية ؟ امتلك عذاباً، تخيّل أن هذا العذاب يرتبط به كأنه ملكية . وأحياناً

تكون للتخصيص أي خاص به، ملكٌ له، مرتبط به. اللام فيها مجموعة من المعاني ولو قيل في غير القرآن: بعذاب واقع على الكافرين تفوت تلك المعاني ويبقى معنى نزول العذاب عليهم فقط. أصل المسألة كأن فيها نوع من المشادة كأنما فأراد أن يجمع لهذا ومن يكون على منهجه أن هذا العذاب سيلصق بكم إلتصاقاً و سيكون كأنه ملك لهم وهذه صورة مخيفة للعرب لأنها أشد لأن تأتي اللام بمعنى على . وهناك ارتباط بين اللام والباء وإبن هشام يقول في كتابه معاني الحروف يذكرإثنا عشر معنى لللام منها المِلك *لله ما في السماوات* من معانيها إنتهاء الغاية *كلٌ يجري لأجلٍ مسمى * كأن غاية العذاب ينتهي إليهم، صار ملكاً وغاية . وتنطبق على الآية ، والإستعلاء *ويخرون للأذقان* تضمن معنى *على * وزاد عليها معنيين إنتهاء الغاية والملك، فإجتمعت كل هذه المعاني في كلمة *للكافرين* .

* ما الفرق بين *مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ *٨* الطور* و *لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ *٢* المعارج*؟ لماذا استعمل مرة *ليس* ومرة *ما* ؟

د. حسام النعيمي

سؤال طريف حقيقة يدل على تنبّه أنه كلتا الآيتين تنفي وجود الدافع عن العذاب. العذاب واقع ففي الآية الأولى لا يوجد شيء سيمنع هذا العذاب وفي الآية الثانية لا يوجد شيء سيمنع هذا العذاب. لكن صيغة التعبير مرة جاءت *ما له من دافع* ومرة جاءت *ليس له دافع* فهو من حقه أن يسأل حقيقة لأنها تلفت النظر. بشكل أولي حقيقة نحن عندنا تأكيد الجمل: الجملة

الاسمية آكد وأقوى من الجملة الفعلية
. *ليس* فعل فحينما تنبني مع مبتدأ وخبر تكون الجملة فعلية ولذلك الجملة مع *ليس* أقل توكيداً. أنت تقول: ليس زيدٌ حاضراً في نفي حضور زيد لمن ليس في ذهنه شيء لكن إذا كان شاكّاً فلك أن تقول له: ليس زيدٌ بحاضر لك تؤكده بالباء ولك أن تنتقل من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية فتقول: ما زيد حاضراً لأن *ما* حرف فدخولها على الجملة لا ينقلها من اسميتها إلى الفعلية . *ما زيدٌ حاضراً* آكد من *ليس زيد حاضراً* فيها تأكيد. الآية الأولى استعملت *ما له من دافع*ما* فالجملة الاسمية ، *ليس له دافع* الجملة فعلية ، فالآية التي في سورة الطور آكد يعني فيها تأكيد من الجملة التي في سورة المعارج. لكن يبقى السؤال: طبعاً هنا *ما له من دافع*من* التبعيضية يعني فيها زيادة تأكيد حتى جزء دافع ما له. *ما و من* بدل *ليس* . لو قال: *ماله دافع* ستكون مجرد تأكيد بينما *ما له من دافع* زيادة في التأكيد. يبقى السؤال: السياق الذي وردت فيه الآيتان: لما ننظر فيه نجد أن الآية الأولى التي في الطور فعلاً تنسجم مع شدة التوكيدات والآية الثانية أصلاً ليس فيها توكيد.

نلاحظ الآية الأولى في الطور تبدأ السورة بقسم والقسم توكيد، لما تقسم على شيء فأنت تؤكده فإذن فالجو جو تأكيد *وَالطُّورِ *١* وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ *٢* فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ *٣* وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ *٤* وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ *٥* وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ *٦* إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ *٧* مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ *٨ * قسم لتذكير بيوم القيامة *إن عذاب ربكَ لواقع* و *إنّ* تأكيد مشددة

واللام *لواقع* مؤكدة ، لاحظ المؤكدات فالجو جو توكيد فجاء *ماله من دافع* فجاءت منسجمة مع الجو العام للسورة التي هي تعيش في توكيدات.

لكن لما نأتي إلى السورة الثانية سورة المعارج *سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ *١* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ *٢* مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ *٣ * هكذا تبدأ السورة فليس فيها جو توكيدات حتى يؤكد. هناك الجو بكامله جو تأكيد فاستعمل الصيغ التي تتناسب مع جو السورة ونحن دائماً نقول حقيقة الكلمة تناسب جو السورة ،الآية تناسب جو السورة هناك تناسب. لما ننظر هنا لاحظ *سأل سائل* كلام اعتيادي لماذا؟ هذا سائل والسائل هنا لا يعني المستفهم وإنما يعني الذي يدعو، هذا شخص لم يذكره القرآن الكريم من هو على عادته في إفال ذكر الأشياء التي لا أهمية لها. *سأل سائل* يعني دعا على قومه ونفسه بالعذاب وهذا معنى سأل والعذاب واقع، العذاب سيقع سواء هو سأله أو لم يسأله واقع على الكافرين لا محالة . هذا الروح روح سؤال العذاب تتكرر عند العرب في أكثر من موضع. انظر في سورة الأنفال آية ٣٢ و ٣٣ *وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *٣٢* وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ *٣٣ * يعني الإنسان ماذا يتوقع؟ العرب كانت تعرف الله عز وجل ويقولون يا الله واللهم *وإني إذا حدثٌ المّ أقول يااللهم يااللهم* يعني حينما يقول إذا أصابنا شيء ندعو، إذا حدثٌ المّ يقول يااللهم يجمع بين يا والميم.

فماذا نتوقع من قوم يقولون: يا رب إذا كان ما

يقول محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الحق من عندك فما الجواب؟ المنطق: إذا كان هذا هو الحق فاشرح صدورنا له، إذا كان هذا هو الحق فاجعلنا نتّبعه لكن لاحظ هذه القسوة في قلوبهم وأن تأخذهم العزة بالإثم، هذه الشدة فقالوا *وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* يا مساكين أنتم تقولون إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة ؟ يعني كيف؟ هذا يدل على انفعالهم الوقتي. يعني هم منفعلون لأن القرآن الكريم بعد ذلك وضّح لنا حالتهم النفسية كيف قال لاحظ وهذه صورة عجيبة في البيان القرآني *فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *٣٢* وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ* وجودك يا محمد - صلى الله عليه وسلم - في هؤلاء مانع من العذاب. مانع أوّل و *وما كان الله معذبهم وأنت فيهم*وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ* معناه أنهم بعد هذا القول بلحظات صاروا يستغفرون: اللهم اغفر لنا، يخشون أن ينزل عليهم العذاب.

هل أفادت التعدية بالباء معنى التكذيب؟ التعدية بالباء في *بعذاب* حقيقة سأل بالشيء يعني كأنه دعا به لبيان أن هذا الفعل قد استُخدم في معنى آخر غير المعنى الأساسي الذي هو الاستفهام لكن هذا السؤال هو دعاء أيضاً أو طلب فهو طلب هذا العذاب لكن حمّله معنى الدعاء أنه طلب بدعاء فدخلت الباء كما تدخل على الفعل دعا *دعا بكذا على قومه* .

آية *٤* :

* ما اللمسة البيانية في ترتيب الملائكة والروح في القرآن *تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ *٤* المعارج*تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ *٤* القدر*يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا *٣٨* النبأ* ما اللمسة في تقديم وتأخير الملائكة ؟

د. فاضل السامرائي

يقدم الملائكة في الحركة لأن حركة الملائكة في الصعود والنزول كثيرة *هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ *٢١٠* البقرة *أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ *١٢٤* آل عمران*وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ *١١١* الأنعام* فيما كان فيه حركة يقدم الملائكة وفيما كان فيه الحركة قليلة أو ليس فيه حركة يقدم الروح *يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا *٣٨* النبأ* هذه ليست حركة وليست صعوداً أو نزولاً. الروح قسم قالوا هو جبريل - عليه السلام - وقسم قالوا خلق من الله عظيم. يقدم الملائكة ساعة الحركة وإذا جمعت الملائكة والروح في غير ما حركة يقدّم الروح.

* ما الفرق بين اليوم في كلا الآيتين *يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ *٥* السجدة *تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ *٤* المعارج*؟

د. فاضل السامرائي

هذان اليومان مختلفان: خمسين ألف سنة هو يوم القيامة كما في الحديث الصحيح وكما هو في سياق الآية *سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ *١* لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ *٢* مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ *٣* تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ *٤* فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا *٥* إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا *٦* وَنَرَاهُ قَرِيبًا *٧* يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ *٨* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ *٩ * هذا يوم القيامة وكل الكلام في يوم القيامة إذن ليس هو نفس اليوم، في سورة السجدة هذا الكلام في الحياة الدنيا *يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ *٥ * الزمن الذي تأخذه الملائكة للصعود بأعمال العباد إلى السماء. يوم القيامة مقداره خمسين ألف سنة ويُخفّف على المؤمن كالصلاة المكتوبة كما في الحديث وعلى غير المؤمن خمسين ألف سنة والرسول - صلى الله عليه وسلم - بيّنه في حديث في صحيح مسلم. هو هكذا كما ذكر ربنا لكنه يُخفف على المؤمنين أما في آية السجدة هذا في الدنيا وهو ليس نفس اليوم.

هل الزمن في التعبير القرآني له نفس مقدار الزمن كما في حياتنا عموماً؟ ذكرنا هذا سابقاً وقلنا أن الله تعالى لما يذكر الأحكام الشرعية يذكرها بما نعلم من أيامنا، شهر رمضان، كفارة اليمين، عشرة كاملة ، شهرين، فأماته الله مائة عام يعني مائة عام، ثلاثمائة سنين، فهي كما ذكر تعالى. هذه على زمننا نحن ولما يقول تعالى مائة عام فهي كما ذكر. اختلفوا في بعض المسائل *اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ *٨٠* التوبة * يبدو لي هذا على الحقيقة لأن

الرسول قال أرى ربي قد أذن لي بالاستغفار فلأزيدنّ على السبعين فأنزل الله تعالى *سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ *٦* المنافقون* يبدو لي أن السبعين على الحقيقة أيضاً. في معلوماتنا الأولية أن سنة المشتري غير سنة الأرض ويوم المشتري غير يوم الأرض وكل كوكب يختلف أيامه وسنواته عن أيامنا فلماذا نستغرب من طول يوم القيامة ؟!.

آية *٩* :

* من سورتي المعارج والقارعة قال تعالى في سورة المعارج: *وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ *٩ * وقال في سورة القارعة : *وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ *٥ * فزاد كلمة *المنفوش* في سورة القارعة على ما في المعارج، فما سبب ذاك؟

د. فاضل السامرائي

الجواب - والله أعلم:

١ - أنه لما ذكر القارعة في أول السورة ، والقارعة من *القَرْع* ، وهو الضرب بالعصا، ناسب ذلك ذكر النفش؛ لأن من طرائق نفش الصوف أن يُقرعَ بالمقرعة . كما ناسب ذلك من ناحية أخرى وهي أن الجبال تهشم بالمقراع - وهو من القَرْع - وهو فأس عظيم تحطم به الحجارة ، فناسب ذلك ذكر النفش أيضاً.

فلفظ القارعة أنسب شيء لهذا التعبير. كما ناسب ذكر القراعة ذكر *الفراش المبثوث* في
قوله: *يوم يكون الناس كالفراش المبثوث* أيضاً؛ لأنك إذاقرعت طار الفراش وانتشر. ولم يحسن ذكر *الفراش* وحده كما لم يحسن

ذكر *العهن* وحده.

٢ - إن ما تقدم من ذكر اليوم الآخر في سورة القارعة ، أهول وأشد مما ذكر في سورة المعارج. فقد قال في سورة المعارج: *تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * فاصبر صبراً جميلاً * إنهم يرونه بعيداً* ونراه قريباً* . وليس متفقاً على تفسير أن المراد بهذا اليوم، هو اليوم الآخر. وإذا كان المقصود به اليوم الآخر فإنه لم يذكر إلا طول ذلك اليوم، وأنه تعرج الملائكة والروح فيه. في حين قال في سورة القارعة : *القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * فكرر ذكرها وعَظَّمها وهوَّلها. فناسب هذا التعظيم والتهويل أن يذكر أن الجبال تكون فيه كالعهن المنفوش. وكونها كالعهن المنفوش أعظم وأهول من أن تكون كالعهن من غير نفش كما هو ظاهر.

٣ - ذكر في سورة المعارج أن العذاب *واقع* وأنه ليس له دافع *سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع* ووقوع الثقل على الصوف، من غير دفع له لا ينفشه بخلاف ما في القارعة ، فإنه ذكر القرع وكرره، والقرع ينفشه وخاصة إذا تكرر، فناسب ذلك ذكر النفش فيها أيضاً.

٤ - التوسع والتفصيل في ذكر القارعة حسَّن ذكر الزيادة والتفصيل فيها، بخلاف الإجمال في سورة المعارج، فإنه لم يزد على أن يقول: *في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * .

٥ - إن الفواصل في السورتين تقتضي أن يكون كل تعبير في مكانه، ففي سورة القارعة ، قال تعالى : *يوم يكون الناس كالفراش المبثوث *

وتكون الجبال كالعهن المنفوش* . فناسبت
كلمة *المنفوش* كلمةَ *المبثوث* .

وفي سورة المعارج، قال: *يوم تكون السماء
كالمهل * وتكون الجبال كالعهن** .
فناسب *العهن*المهل* .

٦ - ناسب ذكر العهن المنفوش أيضاً قوله في آخر
السورة : *نار حامية * لأن النار الحامية هي التي
تذيب الجبال، وتجعلها كالعهن المنفوش، وذلك من
شدة الحرارة ، في حين ذكر صفة النار في
المعارج بقوله: *كلا إنها لظى * نزاعة للشوى* .
والشوى هو جلد الإنسان. والحرارة التي تستدعي
نزع جلد الإنسان أقل من التي تذيب الجبال،
وتجعلها كالعهن المنفوش، فناسب
زيادة *المنفوش* في القارعة من كل ناحية . والله
أعلم.

٧ - كما أن ذكر النار الحامية مناسب للقارعة من
ناحية أخرى، ذلك أن *القَرَّاعة * - وهي من لفظ
القارعة - هي القداحة التي تقدح بها النار.

فناسب ذكر القارعة ، ذكر الصوف المنفوش، وذكر
النار الحامية ، فناسب آخر السورة أولها.

وبهذا نرى أن ذكر القارعة حسَّنَ
ذكر *المبثوث* مع الفراش، وذكر *المنفوش* مع
الصوف، وذكر النار الحامية في آخر السورة . والله
أعلم.

آية *١١ - ١٤* :

* ما اللمسة البيانية في قوله تعالى *يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ
مِنْ أَخِيهِ *٣٤* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ *٣٥* وَصَاحِبَتِهِ

وَبَنِيهِ *٣٦* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ *٣٧* عبس*؟ ولماذا اختلف الترتيب مع آية سورة المعارج *يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ *١١* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ *١٢* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ *١٣* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ *١٤ *

د. فاضل السامرائي

أولاً في عبس قال *يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ* إذن هو مشهد الفرار وليس مشهد العذاب مشهد الفرار يخلو بنفسه والفرار عادة يكون من الأباعد ثم ينتهي بالأقربين. المذكورون هم الأخ والأم والأب والصاحبة أي الزوجة والأبناء، الأبعد هو الأخ قد نكون في مدينة واحدة ولا يرى أحدنا أخاه لسنة بينما يأوي الإنسان كل يوم إلى بيته وزوجه وأولاده. الأب أقدر على الدفع من الأم، الأم تبكي وتصرخ بينما الأب يعين ويدفع وينفع هذا مشهد فرار فلكون الأم لا تستطيع أن تفعل له شيء فهي أبعد من الأب في هذا المشهد هو يحتاج إلى الإعانة فالأب قريب للنجدة ، الأعرابي إذا ما بُشّر بمولودة قال والله ما هي بنعِم الولد نصرُها بكاء وبِرُّها سرقة ، تريد أن تنصره تبكي وبرها صدقة تأخذ من مال زوجها وتعطي. الأب أقدر على المنع والدفع في الفرار. ثم الصاحبة والأبناء، الأبناء أقرب من الزوجة لأن الزوجة يمكن أن يطلقها لكن الأبناء أقدر على الزوجة من النفع والإعانة قد يستعين بأبنائه ولا يستعين بالزوجة . فلما كانت الآية تصور مشهد الفرار والفرار يكون من الأبعد إلى الأقرب فأبعدهم الأخ وأقربهم الأبناء فرتبها هكذا.

في آية المعارج مشهد آخر، هذا مشهد عذاب، مجرم أدركه الجزع والأمر ليس فيه مساومة فأراد أن يفتدي بأثمن ما لديه. أولاً ربنا قال مجرم والمجرم يود النجاة بكل سبيل ويضحي ببنيه لأنه يصنع أيّ شيء. ذكر القرابات *وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا *١٠ * فبدأ بأقرب القرابة ثم ربنا قال *إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا *١٩* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا *٢٠ * فبدأ بالأقرب. لكن الملاحظ أنه ذكر الأخ والأبناء والصاحبة ولم يذكر الأب والأم في الفداء لعظيم منزلتهما عند الله لا يجرؤ أن يفتدي بهما لأنه عندما يفتدي الشخص يفتدي بمن يحبه الشخص المقابل صاحب الشأن. لو أراد شخصاً أن يفدي نفسه عند حاكم يفتدي بما يريده الحاكم لا بما يرضيه هو فلو افتدى بهما يقال له: هذا ما وصيتك به؟! تفتدي بهما وأنا أوصيتك بالإحسان إليهما وأنت تضعهما في النار؟!، لا يجرؤ مع أنه مجرم أن يفتدي بأبيه وأمه لعظيم منزلتهما عند الله لا يستطيع أن يقول أنا أفتدي بأمي وأبي، يقال له تعصي أمري الآن؟

* د. فاضل السامرائي:

ربنا لما ذكر *يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ *١١* وَصَاحِبَتِهِ
وَأَخِيهِ *١٢* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ *١٣* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ *١٤* المعارج* لم يذكر الأب والأم بينما في سورة عبس ذكر في الفرار الأم والأب. في الفداء قال *يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ *٣٤* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ *٣٥* وَصَاحِبَتِهِ
وَبَنِيهِ *٣٦* عبس* يفتدي من العذاب، يفدي نفسه من العذاب فلا بد أن يقدم شيئاً ما فيقدّم بنيه بدلاً منه وصاحبته أي زوجته وأخيه وفصيلته

التي تؤويه أي عشيرته ومن في الأرض جميعاً ولم يذكر الأم والأب لأنه لا يستطيع أن يقدمهما لأن ذلك سيغضب ربه. يقول أنا أمرتك بالإحسان إليهما فكيف يفتدي بهما؟ هذا لعظيم منزلة الأبوين عند الله المجرم لا يجرؤ أن يفتدي بالأم والأب والله تعالى أمر بالإحسان إليهما وكان هذا الإحسان دنيا وآخرة . أنت عندما تفتدي عند صاحب الأمر والنهي تفتدي بما يحب لا بما يكره، فربنا يكره أن تفتدي بالأب والأم لا يحب ذلك وإنما ينبغي الإحسان إليهما. فهذا يدل على عظيم مكانة الأبوين عند الله.

إذا كان الله تعالى يحب الأبوين هكذا فلم لا نقدمهما فداء؟

يقدمهم فداء حتى يدخلوا النار مكانه؟! هل هذا جزاء الإحسان إليهما؟ وهل يدخلهما النار مكانه؟!

* ما دلالة صيغة المبني للمجهول في قوله تعالى *يُبصّرونهم* في سورة المعارج؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة المعارج *يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ *١١ * . ليس فيها ما يدعو للغرابة . يُقال في العربية بصُر به وهو فعل لازم غير متعدي *كل صيغة فَعُل فهي لازمة * .

أبصَرَ: متعدي *وأبصرهم فسوف يبصرون* .

بصّره: معناه أراه يتعدى إلى اثنين أو بالباء يُقال: بصّرته زيداً أي أريته إياه.

وقوله تعالى يبصّرونهم بمعنى أنه يوم القيامة يُري

بعضهم بعضاً فهذه صيغة مضارع مبني للمجهول.

* وردت *لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ *١١* المعارج*وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ *٦٦* هود* كلمة *يومِئذ* الميم مكسورة غير يومَئذ؟

د. فاضل السامرائي

يومِئذ هذه مضاف إليه، كلمة يوم مجرورة مكسورة . فكلمة يومِئذ مضاف ومضاف إليه *من خزي يومِئذ* .

* لما قال تعالى *يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ *١١* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ *١٢* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ *١٣* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ *١٤* المعارج* ثم ينجيه لم يقل ينجّيه. لماذا؟

د. فاضل السامرائي

تلك من نجّى تلبُّث يرد أن ينتهي من العذاب بأي صورة أما هذه إشارة إلى أن العذاب لا يمكن أن يُحتمل يفتدى بكل شيء وينجو بسرعة لا أن يمكث لا أن يتلبث *وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ *١٤* المعارج* لا يحتاج إلى تمهل وتلبث لأن العذاب لا يطاق ولا يستطيع الصبر عليه طويلاً حتى يمكث فيه وإنما يريد أن ينتهي بأي شكل ويبتعد عنه فقال *ينجيه* .

آية *١٩ - ٣٥* :

* لمسات بيانية من سورتي المؤمنون والمعارج *من موقع موسوعة الإعجاز* :

من سورة *المؤمنون* :

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ {٢} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ
مُعْرِضُونَ {٣} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ {٤} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {٥} إِلَّا
عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ {٦} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ
الْعَادُونَ {٧} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاعُونَ {٨} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ {٩} أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ {١٠} الَّذِينَ
يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [سورة
المؤمنون] .

من سورة *المعارج* :

*إِنَّ الْإنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {١٩} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
جَزُوعًا {٢٠} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا {٢١} إِلَّا
الْمُصَلِّينَ {٢٢} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
دَائِمُونَ {٢٣} وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
مَّعْلُومٌ {٢٤} لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {٢٥} وَالَّذِينَ
يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ {٢٦} وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ
رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ {٢٧} إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ
مَأْمُونٍ {٢٨} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ {٢٩} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {٣٠} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء
ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {٣١} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {٣٢} وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ
قَائِمُونَ {٣٣} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ {٣٤} أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ* [سورة
المعارج] .

هناك تشابه كبير بين النصين، كما أن هناك اختلافاً
بينهما كما هو ظاهر:

١ ـ فقد قال في سورة المؤمنون: *الذين هم في صلاتهم خاشعون* . وقال في سورة المعارج: *الذين هم على صلاتهم دائمون* .

٢ ـ وقال في سورة المؤمنون: *والذين هم عن اللغو معرضون* . ولم يذكر ذلك في سورة المعارج.

٣ ـ وقال في سورة المؤمنون: *والذين هم للزكاة فاعلون* . وقال في سورة المعارج: *والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم* .

٤ ـ وقال في سورة المعارج: *والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون* . ولم يذكر مثل ذلك في آيات المؤمنون.

٥ ـ وقال في سورة المعارج: *والذين هم بشهادتهم قائمون* ولم يذكر نحو ذلك في سورة المؤمنون.

٦ ـ وقال في سورة المؤمنون: *والذين هم على صلواتهم يحافظون* ، بالجمع. وقال في سورة المعارج: *والذين هم على صلاتهم يحافظون* ، بالإفراد

٧ ـ وقال في سورة المؤمنون: *أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس* . وقال في سورة المعارج: *أولئك في جنات مكرمون* .

٨ ـ قال في سورة المؤمنون: *هم فيها خالدون* . ولم يقل مثل ذلك في سورة المعارج.

فما سبب ذلك؟

نعود إلى هذين النصين، لنتلمس سر التعبير في كل واحد منهما.

إن آيات النص الأول، هي مفتتح
سورة *المؤمنون*انظر ملف سورة المؤمنون* .

ثم نأتي إلى سورة المعارج:

قال تعالى : *إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {١٩} إِذَا مَسَّهُ
الشَّرُّ جَزُوعًا {٢٠} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا {٢١} إِلَّا
الْمُصَلِّينَ {٢٢} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
دَائِمُونَ {٢٣} وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
مَّعْلُومٌ {٢٤} لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {٢٥} وَالَّذِينَ
يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ {٢٦} وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ
رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ {٢٧} إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ
مَأْمُونٍ {٢٨} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ {٢٩} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {٣٠} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء
ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {٣١} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {٣٢} وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ
قَائِمُونَ {٣٣} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ {٣٤} أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ* [سورة
المعارج] .

قال تعالى : *إن الإنسان خلق هلوعا*

بنى الفعل *خلق* للمجهول، ذلك أن المقام مقام ذم لا تكريم مقام ذكر جانب مظلم من طبيعة البشر. والله سبحانه لا ينسب الفعل إلى نفسه في مقام السوء والذم.

قال تعالى : *لقد خلقنا الإنسان في أحسن قويم* [التين] فنسب الفعل إلى ذاته في مقام المدح وقال: *ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لأدم* و *وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون* [الأعراف] في حين

قال: *يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً* [النساء] و *خلق الإنسان من عجل* [الأنبياء] و *إن الإنسان خلق هلوعاً* [المعارج]

والهلع فسره ربنا بقوله: *إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً* ، فهو الجزع عند مس الشر والمنع عند مس الخير.

جاء في *الكشاف* : "الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير و *الخير* : المال والغنى و *الشر* : الفقر، أو الصحة والمرض إذا صح الغني منع المعروف وشح بماله، وإذا مرض جزع وأخذ يوصي"

وجاء في *تفسير ابن كثير* : "أي: إذا مسه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير."

وإذا مسه الخير منوعاً أي: إذا حصلت له نعمة من الله، بخل بها على غيره، ومنع حق الله ـ تعالى ـ فيها "."

وجاء في *فتح القدير* : "قال في الصحاح: الهلع في اللغة : أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه أي: إذا أصابه الفقر والحاجة ، أو المرض ونحو ذلك، أي كثير الجزع وإذا أصابه الخير من الغنى والخصب والسعة ونحو ذلك، فهو كثير المنع والإمساك" .

والجزع ضد الصبر ونقيضه، وقد قابله الله بالصبر فقال: *سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص* [إبراهيم] وجاء في *لسان العرب* : "الجزوع ضد الصبور على الشر، والجزع

نقيض الصبر وقيل: إذا كثر منه الجزع، فهو جزع وجزاع" .

وقد بدأ بالشر قبل الخير، فقال: *إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً* وذلك لأن السياق يقتضي ذلك، فقد بدأت السورة بالعذاب، وهو قوله تعالى : *سأل سائل بعذاب واقع* وذكر قبل هذه الآية مشهداً من مشاهد العذاب، فقال: *يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه كلاً إنها لظى نزاعة للشوى * .

فالمناسب إذن هو البدء بالشر، وهو الذي يقتضيه السياق وجو السورة فالإنسان خلق هلوعاً لا يصبر إذا م سه الشر بل يجزع وذكر الجزع ههنا وهو عدم الصبر مناسب لقوله تعالى في أوائل السورة : *فاصبر صبراً جميلاً* فهو يأمر نبيه بالصبر الجميل. والصبر طارد للجزع المقيت الذي طبع عليه الإنسان وتحرر منه من أراد الله له بالخير.

واستثنى من الاتصاف بصفة هذه بشقيها: الجزع والمنع للخير، من ذكرهم بعد هذه الآية بقوله: *إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون*

والدوام على الصلاة معناه المواظبة عليها والانهماك فيها حتى تنتهي، وعدم الانشغال عنها، وليس المراد أنهم يصلون أبداً.

جاء في *البحر المحيط* : "ديمومتها، قال الجمهور: المواظبة عليها وقال ابن مسعود: صلاتها لوقتها."

وقال عقبة بن عامر: يقرون فيها ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً "."

وجاء في *فتح القدير* : "أي لا يشغلهم عنها شاغل، ولا يصرفهم عنها صارف، وليس المراد بالدوام أنهم يصلون أبداً" .

وجاء في *روح المعاني* : "أخرج ابن المنذر عن أبي الخير أن عقبة قال لهم: من الذين هم على صلاتهم دائمون؟ قال: قلنا الذين لا يزالون وأما ارتباطها بقوله: *إن الإنسان خلق هلوعاً* فهو أجمل ارتباط وأحسنه ذلك أن الدوام الصلاة علاج للجزع، وعلاج لمنع الخير. فإن الجزوع شخص لا يصبر."

وعلاج هذه الصفة أن يتعلم الصبر ويتعوده، والدوام على الصلاة والمواظبة عليها والاستمرار عليها من أحسن ما يعود على الصبر، فإن هذه الأعمال تقتضي صبراً متواصلاً، ولذا لا يدوم، عليها كثير من النسا، فهم يصلون ولمكن لا يدومون على صلاتهم، بل ينشغلون عنها بأنفسهم وقلوبهم وتسرح في دواخلهم صوارف تنال كثيراً من صلاتهم. فالدوام عليها علاج من أنجع الأدوية للتعويد على الصبر والمعافاة من الجزع.

وهي كذلك علاج لمنع الخير ذلك أن الدائم في صلاته يتعود أن يعطي من نفسه ووقته لربه، بل يعطيه نفسه كلها ووقته في الصلاة ، وأم يتحرر من العبودية لرغبته وشهوته فيدوم على أمر ليس في مصلحة دنيوية ظاهرة له، بل قد يفوت عليه شيئاً علاجاً كما ذكر ربنا في قوله في صلاة الجمعة ": *وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها* [الجمعة] "

فالدوام على الصلاة علاج ناجع لهذه النفوس الجاسية لتسمح من وقتها ومالها وكل ما يربطها

برغباتها وشهواتها ولذا لمك يكف بقوله: *إلا المصلين* بل قال: *الذين هم على صلاتهم دائمون* .

ثم قال بعد ذاك: *والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم*

قيل: إن المراد بالحق المعلوم الزكاة لأنها مقدرة معلومة ، وقيل غير ذلك

وعلى أية حال فإن هؤلاء وضعوا في أموالهم حقاُ معلوماً لمستحقه.

وهذه الآية مرتبطة بقوله تعالى في أصحاب جهنم: *وجمع فأوعى * ومرتبطة بقوله تعالى : *وإذا مسه الخير منوعاً* .

أما ارتباطها لقوله تعالى : *وجمع فأوعى * فهو ظاهر، ذلك أن الله وصف أصحاب جهنم بقوله: *تدعوا منة أدبر وتولى وجمع فأوعى * ومعني جمع فأوعى : أنه جمع المال بعضه على بعض فأوعاه، أي: فجعله في وعاء وكنزه ومنع حق اله الواجب فيه من مستحقيه أما هؤلاء المعافون من النار، فقد جعلوا في أموالهم حقاً معلوماً للسائل والمحروم، فهم لم يمنعوا حق الله، فلم يكونوا ممن أدبر وتولى وجمع فأوعى .

وأما ارتباطها بقوله تعالى : *وإذا مسه الخير منوعاً* فهو ظاهر أيضاً ذلك أم معنى *وإذا مسه الخير منوعاً* أنه إذا أصابه الخير والمال والغنى بخل ومنع حق لله تعالى فيه كما ذكرنا وهؤلاء جعلوا في أموالهم حقاً معلوماً للسائل والمحروم فهم معافون مستثنون من صفة الهلع، المذكورة بل إنهم مستثنون من صفة الهلع بشقيها: الجزع عند

مس الشر والمنع عند مس الخير ذلك أم قسماً من البخلاء إذا خرج شيء من مالهم، جزعوا وحزنوا كأنما حلت بهم مصيبة ، وكان المال ألصق بقلوبهم من أي شيء آخر، هؤلاء جعلوا في أمالهم حقاً معلوماً للسائل والمحروم، لم يجزعوا عند خروج المال منهم ولم يعقبوه أنفسهم، ولم يمنعوا السائل والمحروم منه، فإخراج المال إلى الفقراء والمساكين علاج وشفاء لهذا الداء الوبيل.

وهناك لمسة فنية لطيفة في اختيار نوع العذاب في هذا السياق، ذلك أنه قال: *كلا إنه لظى نزاعة للشوى تدعوا من أدبر وتولى وجمع فأوعى *

ومن معاني *الشوى * جلد الإنسان فهي، أي: جهنم تنزع جلد الإنسان وتبقي الأحشاء بلا جلد. والجلد للأحشاء بلا جلد. والجلد للأحشاء كالوعاء للمال يحفظ ما في داخله، فإن هذا الشخص كما أوعى ماله ومنعه حقه، سيمزق الله وعاء جسمه ويخرج ما في داخله. ولاشك أن جلده ووعاء نفسه أحب إليه من المال ومن كل شيء، ألا ترى أنه يقال للمطلوب: *انج بجلدك* ؟ فانظر التناسق الجميل بين المعصية والعذاب، والجزاء من جنس العمل.

ثم قال بعد ذلك: *والذين يصدقون بيوم الدين*

ويوم الدين يوم القيامة ، واختيار ذكر التصديق بيوم الدين دون غيره من أركان الإيمان ههنا له سببه، ذلك أن جو السورة في الكلام على هذا اليوم، فقد قال في أوائل السورة : *تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقدار خمسين ألف سنة وهذا اليوم هو يوم القيامة * ، كما جاء في الحديث الصحيح.

وقال عن هذا اليوم: *إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً* أي: أن الكفار يستبعدون وقوعه ويرونه محالاً، في حين أن هؤلاء المعافين يصدقون به.

وقال: *يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن* .

وقال: *فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون* .

فجو السورة والسياق في الكلام على يوم الدين، وختم السورة بالكلام عليه، فكان مناسباً لأن يخصه بالذكر من بين أركان الإيمان الأخرى ، فقال: *والذين يصدقون بيوم الدين*

ثم قال: *والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون* .

وذكر الإشفاق من العذاب مناسب لجو السورة أيضاً، فإن السورة مشحونة بذكر العذاب والكلام عليه فقد بدئت السورة به وختمت به، فقال في أول السورة : *سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع* ، وقال في خاتمتها: *خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة * كما ذكر فيها مشهداً آخر من مشاهد العذاب، فقال: *يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤيه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعوا من أدبر وتولى وجمع فأوعى * .

فاختيار الإشفاق من العذاب أنسب اختيار ههنا.

ولا شك أن الذين يصدقون بيوم الدين، ويخشون عذاب ربهم مستثنون معافون من صفة الهلع.
فالتصديق بيوم الدين مدعاة للطمأنينة والأمن في النفوس، فهو يصبر إذا مسه الشر احتساباً لأجر مما فقد أو مما ابتلي به، وإذا مسه الخير، لا يمنع، لأن الله سيعطيه أضعاف ما يعطي.

ثم قال بعد ذلك: *والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون*

وقد مر تفسير ذلك في آيات
سورة *المؤمنون* فلا حاجة إلى إعادة ما مر.

غير أن الذي نقوله ههنا: إن هذه الآيات مرتبطة بما قبلها أجمل ارتباط وهي مع ما ذكر معها من الأوصاف منجاة من الهلع وعلاج له.

ذلك أن الذي يصبر على شهوته ولا يندفع وراء رغبته يعود نفسه على الصبر، فلا يجزع إذا رأى ما يستثير ثم لا يهلث وراءها حتى يهتبل هذه الفرصة للتلذذ بها.

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية إن حفظ الفروج وعدم إرسالها إلا على مستحقيها، أولى من حفظ المال وكنزه ومنع مستحقه منه.

ثم قال: *والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون*

وقد مر ذلك في آيات سورة *المؤمنون*

وهذا علاج للهلع أيضاً، ذلك أن الأمانة والعهد ربما يلحقان بالمؤتمن ضرراً من سلطة أو متنفذ، ذلك لأن صاحب الأمانة قد يكون مطلوباً لهما فالمؤتمن

كأنه يعينه على ما هو عليه أو لغير ذلك من الأسباب وقد يفوتان عليه خيراً كبيراً، وهو مع ذلك يفي بالعهد ويؤدي الأمانة موطناً نفسه على الصبر على ما سيحيق به محتسباً أجر ما يفوته من الخير العاجل عند الله ولا شك أنة هذا مما يكسر الهلع ويضعفه ويعافي منه.

ثم قال: *والذين هم بشهاداتهم قائمون*

"والشهادة من حملة الأمانات وخصها من بينها، إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وإبطالها"

والقيام بالشهادة معناه: إقامتها على "ومن كانت عليه من قريب أو بعيد، أو رفيع أو وضيع، ولا يكتمونها ولا يغيرونها" ولا يخفون ما علموه منها.

والإتيان بها مجموعة إشارة "إلى اختلاف الشهادات وكثرة ضروبها، فحسن الجمع من جهة الاختلاف

والقيام بالشهادات من أنفع الأشياء في علاج الهلع يشقه، ذلك أن القيام بالشهادة ، قد يعرض صاحبها للأذى والنيل منه أو قد يفوت عليه فرصة من فرص الخير المادي، والنفع العاجل، فالقيام بها توطين للنفس على استقبال الشر والصبر عليه، وتوطين لها على السماح بالخير، وبذله وعدم منعه.

ثم قال بعد ذلك: *والذين هم على صلاتهم يحافظون*

فختم بالمحافظة على الصلاة ، كما افتتح بالدوام

عليها، وهذا نظير ما جاء في
سورة *المؤمنون* منن الافتتاح بالصلاة والختم بها.

والمحافظة على الصلاة غير الدوام عليها: "فإن معنى الدوام هو أن لا ينشغل عنها بشيء من الشواغل، وأن ينهمك بها وتواظب على أدائها.

أما المحافظة عليها فتعني مراعاة شرائطها وإكمال فرائضها وسننها وأذكارها، كما سلف بيان ذلك.

وارتباط هذه الآية بما قبلها واضح فهي مرتبطة بقوله: *وجمع فأوعى * ذلك أن القصد من جعل المال في وعاء، هو المحافظة عليه والصلاة أدعى وأولى بالمحافظة عليها.

ومرتبطة بصفة الهلع أيضاً ذلك أنها علاج لهذه الصفة المستهجنة بشقيها فالمحافظة على الصلاة في مختلف الأوقات وتباين الأزمان في أوقات الرخاء والشدة ، والعسر واليسر، والمرض والعافية ، والشر، والخير من المنجيات من هذه الصفة ، ذلك أن المحافظة عليها تحتاج إلى الصبر الطويل، لذلك قال تعالى : *وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها* [طه] ، وتحتاج إلى البذل والسماح بالخير، وقد وصف الله تعالى رجالاً من المؤمنين
بقوله: *رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة * [النور] . فالصلاة إذا حضرت أهم من التجارة والبيع، فهم يفرطون بالصفقات واحتمال الربح في جنب الصلاة .

إن الصفات المذكورة أنفع علاج لصفة الهلع المقيت، وإن القائمين بهذه الصفات إنما هم ناجون منها مستثنون من أهلها معافون من بلواها.

ثم قال بعد ذلك: *أولئك في جنات مكرمون* .

وقد تقول: ولماذا قال في
آيات *المؤمنون* : *أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون* وقال ههنا: *أولئك في جنات مكرمون*

فذكر هناك أنهم يرثون الفردوس، والفردوس أعلى الجنة وربوتها، وأفضلها، ومنه تتفجر أنهار الجنة . وثم ذكر أنهم فيها خالدون في حين قال هنا أنهم في جنات، ولم يقل أنهم في أعلى الجنان، كما لم يقل أنهم فيها خالدون كما قال في الأولين.

ونظرة إلى ما في النصين توضح سبب ذلك.

إن آيات سورة *المؤمنون* في ذكر فلاح المؤمنين وآيات سورة المعارج في ذكر المعافين من الهلع وقد جعل كل صفة في مواطنها.

١ ـ فقد قال في سورة *المؤمنون* : *قد أفلح المؤمنون* فذكر صفة الإيمان على وجه العموم.

وقال في آية *المعارج* : *والذين يصدقون بيوم الدين* فذكر ركناً من أركان الإيمان، وهو التصديق بيوم الدين وثمة فرق بين الحالين.

جاء في *روح المعاني* في قوله: *قد أفلح المؤمنون* "والمراد بالمؤمنين قيل: إما المصدقون بما علم ضرورة أنه من دين نبينا r من التوحيد والنبوة ، والحشر الجسماني والجزاء ونظائرها"

فذكر في آية *المؤمنون* المؤمنين بيوم الدين وغيره، وذكر في سورة المعارج التصديق بيوم الدين. فما ذكره في سورة *المؤمنون* أكمل

٢ ـ قال في آية *المؤمنون* : *الذين هم في صلاتهم خاشعون* .

وقال في آية *المعارج* : *والذين هم على صلاتهم دائمون*

والخشوع أعم من الدوام ذلك أنه يشمل الدوام على الصلاة ، وزيادة فهو روح الصلاة ، وهو من أفعال القلوب والجوارح من تدبر وخضوع وتذلل وسكون وإلباد بصر وعدم التفات. والخاشع دائم على صلاته منهمك فيها حتى ينتهي.

٣ ـ قال في *المؤمنون* : *والذين هم عن اللغو معرضون* وهو كل باطل من كلام وفعل وما توجب المروءة إطراحه كما ذكرنا.

ولم يذكر مثل ذلك في سورة المعارج، فهذه صفة فضل لم ترد في المعارج.

٤ ـ قال في *المؤمنون* : *والذين هم للزكاة فاعلون*

وقال في سورة *المعارج* : *والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم*

وما في سورة *المؤمنون* أعم وأشمل غذ الزكاة تشمل العبادة المالية كما تشكل طهارة النفس فهي أعلى مما في المعارج وأكمل فإنه ذكر في المعارج أنهم يجعلون في أموالهم حقاُ للسائل والمحروم. أما الزكاة فإنها تشمل أصنافاً ثمانية وليس للسائل والمحروم فقط، هذا علاوة على ما فيها من طهارة النفس وتزكيتها كما سبق تقريره.

٥ ـ قال في
سورتي *المؤمنون* و *المعارج* : *والذين هم

لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فغنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هو العادون واذلين هم لأماناتهم وعهدهم راعون* .

٦ ـ قال في آية المعارج: *والذين هم بشهادتهم قائمون*

ولم يذكر ذلك في آيات *المؤمنون* ذلك أنه في سياق المعاناة من الهلع وقد ذكرنا مناسبة ذلك وعلاقته بالنجاة منه. فاقتضى ذلك ذكره وتخصيصه من بين الأمانات.

٧ ـ قال في آلات *المؤمنون* : *والذين هم على صلاتهم يحافظون* بالجمع

وقال في *المعارج* : *والذين هم على صلاتهم يحافظون* بإفراد الصلاة .

والصلوات أعم من الصلاة واشمل والمحافظة على الصلوات أعلى من المحافظة على الصلاة لما فيها من التعدد والفرائض والسنن.

فما كانت الصفات في آيات
سورة *المؤمنون* أكمل وأعلى كان جزاؤهم كذلك، فجعل لهم الفردوس ثم ذكر أنهم خالدون فيها، في حين قال في سورة *المعارج* : *أولئك في جنات مكرمون* ولم يذكر أنهم في الفردوس، ولم يذكر الخلود، فانظر كيف ناسب كل تعبير موطنه.

ثم انظر كيف ذكر في سورة *المؤمنون* المؤمنين وهم المصدقون بيوم الدين وزيادة ، وذكر الخشوع في الصلاة ، وهو الدوام عليها وزيادة ، وذكر فعلهم للزكاة وهي العبادة المالية وزيادة

ومستحقوها هم السائل والمحروم وزيادة ، وذكر الإعراض عن اللغو وهو زيادة وذكر الصلوات وهي الصلاة وزيادة ، ثم ذكر الفردوس وهي الجنة وزيادة في الفضل والمرتبة ، وذكر الخلود فيها وهو والإكرام وزيادة .

فانظر ما أجمل هذا التناسب والتناسق، فسبحان الله رب العالمين.

آية *٢٠ - ٢١* :

* يأتي الضر مع فعل مسّ ومع الرحمة يأتي الفعل أذقنا، فما الفرق بين المسّ والإذاقة في القرآن؟

د. فاضل السامرائي

أولاً هذا التفريق غير دقيق فالذوق والمس يأتي للضر وغير الضر، الذوق هو إدراك الطعم والمسّ هو أي إتصال. أما كون المس يأتي مع الشر فغير صحيح لأن المس يأتي مع الرحمة أيضاً *إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا *٢٠* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
مَنُوعًا *٢١* المعارج*إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ
تَسُؤْهُمْ *١٢٠* آل عمران*وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ *١٧* الأنعام* وكذلك الإذاقة تأتي مع العذاب ومع الرحمة *وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ *٢١* السجدة *وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ
بِهَا *٤٨* الشورى*وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا *١٩* الفرقان* ليس هنالك تقييد في الاستعمال.

آية *٢٣* :

* في سورة المعارج *الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ *٢٣ * *وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ *٣٤ * ما الفرق بين دائمون و يحافظون؟ وكيف نوفق بينهما؟

د. فاضل السامرائي

ليس هناك تعارض حتى نوفق بينهما وإنما لكل واحدة مدلول. الدوام يعني المواظبة عليها لا يشغلهم عنها شاغل إذا صلّوا لم يلتفتوا عن يمين وشمال يعني هم ينهمكون فيها حتى تنتهي، يداوم في الصلاة يعني ينهمك فيها فقط ولا يتلفت ولا ينشغل عنها هذه دائمون. أما يحافظون يحافظون على أوقاتها يراعون أوقاتها وإسباغ الوضوء وإقامة أركانها ويحفظونها من الإحباط باقتراف الآثام لأنه إذا اقترف المآثم يحبط عمله إذن يحافظ عليها ويبقيها لكيلا يحبط عمله، يحافظون في مواعيدها ودائمون منهمكون فيها لا ينشغلون بغيرها، الديمومة هنا يعني لا ينشغل عنها.

*الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ {٢٣} المعارج*وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {٩} المؤمنون* لماذا في الأولى صلاتهم والثانية صلواتهم؟ وفي الأولى دائمون والثانية يحافظون؟ الصلاة واحدة أو اسم جنس جنس الصلاة وهنا يؤكد على أنها خمسة ، لماذا؟

د. أحمد الكبيسي

رب العالمين عز وجل فرق بين يحافظون وبين دائمون يحافظون لا يعني يؤديها تلك دائمون إنما يحافظون يعني يحافظون عليها من الإسقاط والإحباط أنت تصلي مثلاً شخص عنده خزينة

يخاف عليها من اللصوص أن يكسروها فرب العالمين أعظم عمل يوم القيامة الصلاة كما تعرفون أول ما يُسأل العبد عنه يوم القيامة الصلاة هذه الصلاة برغم عظمتها سريعة الإلغاء والإحباط تُحبَط يعني أحاديث كثيرة عن من لا تقبل لهم لا صلاتهم ولا صيامهم مثلاً يقول صلى الله عليه وسلم *ثلاثة لا ينفع معهن عمل* من ضمنها الشرك بالله والتولي يوم الزحف وعقوق الوالدين فأنت صلاتك ليست مقبولة بل أصلاً ليست معتبرة أنت لم تحافظ عليها على الصلاة من الإحباط. التهاجر *اثنان لا ترتفع صلاتهما فوق رأسيهما شبراً أخوان متصارمان وعاقٌ لوالديه* فهذا ما حافظ على صلاته صلى وصلى بخشوع لكنه عاقٌ لوالديه خلاص لا تقبل صلاته فما حافظ عليها. القاتل *لا تقبل لقاتل صلاة * طبعاً القاتل بغير حق حينئذ القاتل كان يصلي ويصوم *لن يزال المؤمن بخير ما لم يصب دماً حراماً* فلتكن صحابياً أو ولياً مهما كنت صالحاً مجاهداً عظيماً عالماً لكنك أسلت دماً بغير حق ليس لك عمل، مُحبَط عملك كله. وكذلك شارب الخمر *من شرب خمراً ما تقبل الله له صلاة أربعين يوماً فإن عاد عاد الله لا يتقبل له صلاة أربعين يوماً* كلما يشرب لا تقبل له صلاة أربعين يوماً وبالتالي في النهاية ما يقبل له ولا صلاة إذاً يحافظون على الصلاة من أن تُحبَط وهناك أسباب أخرى ما أحببت أن أسردها كلها.

أما دائمون دائم يعني يداوم الموظف أين يداوم؟ يداوم في الدائرة الرسمية والذي لا يداوم في دائرته لا يعطونه مرتباً يعتبرونه غائباً يسجلونه غائباً عن كذا من أجل هذا الصلاة أساسها في

المسجد أنت إذا كنت تصلي لماذا
قال *صَلَوَاتِهِمْ* لأن خمسة تكون تصليها في المسجد وصلاتك في المسجد أكثر من صلاتك في البيت خمسة وعشرين مرة ولهذا المداومة على الصلاة في المسجد يعني هي التي تجعل الصلاة متجلية بحيث تكون يوم القيامة فيها قوة أن يغفر الله لك بها كل ذنوبك فإن حسنت *أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة الصلاة فإن حسنت حسن سائر عمله* وحينئذٍ كيف تحسن وأنت لا تصلي في المسجد والمسجد بجوار بيتك مثلاً إلا من عذر كما قال صلى الله عليه وسلم والعذر خوفٌ أو مرضٌ هكذا.

* قال تعالى في المؤمنون *وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* ومرة
قال *دَائِمُونَ* وقال *الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ {٢٣} المعارج* ما الفرق؟

د. أحمد الكبيسي

دائمون يعني يصليها في مكان الدوام أنت أين تداوم في الوظيفة ؟ في بيتكم؟ تداوم في الدائرة ، الصلاة تصلى في المسجد. المحافظون يعني لا يقطع صلاته على أركانها وشروطها وخشوعها لكن دائم لا تعني كل يوم هذه يحافظ، الدائم يؤديها في مكان أدائها في المكان الذي يداوم فيه كما يداوم الموظف في الدوام الرسمي في مكان الوظيفة ، ولهذا يا أيها السعودي الكريم خذ أطفالك وصلي بهم في المسجد وسوف تدمن أربعين يوماً إذا صليت بهم كتبت لك براءتان من النار ومن النفاق.

آية *٤٣* :

* وردت كلمة أجداث في القرآن ثلاث مرات والقبور ثماني مرات فما هناك فرق بين الجدث والقبر؟

د. حسام النعيمي

حقيقة هم يقولون لما نأتي إلى معجمات اللغة أي معجم يعني من اللسان إلى الصحاح الواسعة والموجزة يقول لك: الجدث القبر فالأجداث القبور. لكن السؤال لماذا استعمل القرآن الأجداث هنا ولم يستعمل القبور؟ صحيح الأجداث هي القبور لكن نريد أن نعرف حقيقة كان بإمكان القرآن أن يقول *يخرجون من القبور* بدل ما يقولون *من الأجداث* طبعاً علماء اللغة يقولون القبر عام عند العرب كلمة قد يستعملها قبائل اليمن قبائل العرب وما بينهما وقبائل الشام. أما الجدث فالأصل فيه أنه لهذيل. هذيل قبيلة في وسط الجزيرة يعني من القبائل التي أُخِذ منها العربية وتميم أيضاً في وسط الجزيرة لكن الفرق أن الهُذلي يقول جدث بالثاء والتميمي يقول حدف بالفاء. لاحظ تقارب الثاء والفاء، قريش أخذت من هذيل وصارت تستعملها ونزل القرآن بها. هؤلاء الذين في وسط الصحراء أرضهم رملية فتخيل عندما ينشق القبر تتشقق هذه القبور وكلها رمال ماذا سيكون؟ سيكون نوع من طيران الرمال في الجو لتشققها هذا يتناسب مع صوت الثاء بما فيه من نفث. لما نقول جدث وأجداث الثاء فيه نفخ بخلاف قبر وقبور فيها شدة ، فيها حركة لكن فيها شدة ليس فيها هذه الضوضاء ولذلك لم يستعمل الأجداث إلا في بيان مشاهد يوم القيامة بينما كلمة قبر وقبور استعملت في الدنيا والآخرة *إذا القبور بعثرت* يعني ما صوّر لنا الصورة . لاحظ

الصور أنا جمعت الآيات الثلاث: هي في ثلاثة مواضع وكلها في الكلام على النشور يوم القيامة وعلى الخروج من القبور أو من الأجداث،

الآية الأولى *وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ *٥١* يس*: يعني جماعات جماعات أفواج ينسلون يتجهون يسرعون في الخروج.

الآية الثانية *خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* القمر*: أيضاً يوم القيامة وأيضاً فيه هذا الانتشار وسرعة الحركة للجراد كأنهم جراد منتشر.

الآية الثالثة *يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ *٤٣* المعارج*: هذا كله في مشهد يوم القيامة في الحركة والانتفاض. لم تستعمل كلمة جدث وما استعمل أي اشتقاق من اشتقاقاتها استعمل فقط أجداث. وفي هذه الصورة صورة مشهد يوم القيامة . بينما كلمة قبر لأنها عامة استعمل منها الفعل *ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ *٢١* عبس* واستعمل المفرد *وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ *٨٤* التوبة * هذا في الدنيا، المقابر في الدنيا، القبور وردت خمس مرات.

آية *٤٤* :

* ما الفرق بين خشعاً ابصارهم وخاشعة أبصارهم وأبصارها خاشعة *خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* القمر*، *خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا

يُوعَدُونَ *٤٤* المعارج*، *يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ *٤٢* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ *٤٣* القلم*أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ *٩* النازعات*؟

د. فاضل السامرائي

خُشّع هذا الجمع على وزن فُعّل. والخشوع هو الانكسار والذلة ويكون للانسان عموماً وللقلوب وللأبصار والوجوه *وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ *٢* الغاشية * يظهر فيها الذلة والإنكسار، *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *٢* المؤمنون* خشوع عام في القلب والجوارح. خُشّع جمع مفردها خاشع مثل سُجّد ساجد. قال خاشعة أبصارهم وخشّعاً أبصارهم، في الايتين في السؤال *خاشعة أبصارهم*خشعاً أبصارهم* خشع جمع على وزن فعل هذا الوزن يفيد التكثير والمبالغة نظير قولنا في المبالغة مثل قُلّب، نقول هذا رجُل قُلّب أي كثير التقلب وسريع التقلب، وبَرْق خُلّب أي ليس فيه مطر، ورجُل حُوّل أي كثير التحوّل. هذه من صيغ المبالغة وهي أكثر من فُعَلة هُمزة لُمزة . في المفرد من صيغ المبالغة ، هذه جمع خشعاً ابصارهم أي فيها مبالغة الخشوع. هذا المعنى اتضح الفرق بين خاشع وخُشّع، خاشعة اسم فاعل وخُشّع هي جمع يفيد التكثير ومفرده في الأصل على وزن فُعل يفيد المبالغة والتكثير مثل خُلّب وقُلّب.

هذا الفرق في الدلالة ، يبقى سبب الاختيار لماذا هنا قال خُشّعاً وهنا خاشعة ؟ نقرأ الآية في سورة القمر *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ

نُكُرٍ *٦* خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨ * أولاً قال *شيء نكر* نُكُر أي شديد النكارة غير مألوف ولا معروف صيغة فُعُل من صيغ المبالغة الدالة على شدة النكارة غير المألوفة وغير المعروفة ، هذا واحد ثم تقديم الحال *خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ* وفي الآية الثانية كلها مؤخرة *يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ *٤٣* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ *٤٤ * الحال متأخرة بينما في القمر الحالة المتقدمة لشدة الأمر *خشعاً* حال دالة على الكثرة وشيء نكر ومتقدمة . *يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨* القلم* مهطعين أي مسرعين مادّي أعناقهم خائفين ولم يذكر في الآية الثانية مثل هذه الأشياء. *يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ* كلها تدل على الموقف والهول وشدة النكارة
فقال *خشعاً أبصارهم* فجاء بالصيغة التي تدل على الكثرة والمبالغة وقدّمها.

أقصى ما قال في الآية الثانية في سورة المعارج *كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ* هذه يشاهدونها، يسرعون إلى أصنامهم حالة مألوفة لكن لما قال *إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ* هذا غير مألوف شديد النكارة غير معروف *يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨ * أيها الإنسب لمن يعرف اللغة أين نضع خشعاً وخاشعة ؟ يضعها في مكانها هذه موازين كالمعادلة الرياضية قدم خشعاً وخاشعة على الإبصار أما في آية *أَبْصَارُهَا

خَاشِعَةٌ *٩* النازعات* هذه إخبار مبتدأ وخبر.

* تناسب فواتح سورة المعارج مع خواتيمها*

السورة السبعون ذكر العذاب الواقع الذي ليس له دافع *سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ *١* لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ *٢* مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ *٣ * ثم ذكر اليوم *تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ *٤* فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا *٥* إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا *٦* وَنَرَاهُ قَرِيبًا *٧ * وختم السورة أيضاً بذكر ذلك اليوم *فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٤٢* يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ *٤٣* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ *٤٤ * في الأول ذكر اليوم هذا وفي الآخر ذكر حالهم. *فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ *٤* فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا *٥* إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا *٦* وَنَرَاهُ قَرِيبًا *٧ * هذا يوم القيامة ثم ذكر هذا اليوم في آخر السورة *يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ *٤٣* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ *٤٤ * النُصب يعني الأصنام.

* تناسب خواتيم المعارج مع فواتح نوح*

ذكر في آخر المعارج *فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٤٢ * وذكر قومه من الذين خاضوا ولعبوا وهم قوم نوح إلى أن قال *مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا *٢٥ * ضرب لنا مثلاً بهولاء الذين خاضوا ولعبوا *فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٤٢ *

هؤلاء قوم نوح الذين لعبوا واستهزأوا إلى أن لقوا يومهم الذي يوعدون مثلٍ لمن خاض ولب حتى يكون التهديد واضحاً بما ضرب في المثل.

سورة نوح

* تناسب خواتيم المعارج مع فواتح نوح*

ذكر في آخر المعارج *فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٤٢ * وذكر قومه من الذين خاضوا ولعبوا وهم قوم نوح إلى أن قال *مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا *٢٥ * ضرب لنا مثلاً بهولاء الذين خاضوا ولعبوا *فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٤٢ * هؤلاء قوم نوح الذين لعبوا واستهزأوا إلى أن لقوا يومهم الذي يوعدون مثل لمن خاض ولب حتى يكون التهديد واضحاً بما ضرب في المثل.

* هدف السورة *

بعد أن عرفنا قدر الله *سورة الملك* وتعلمنا ووثّقنا العلم *سورة القلم* وحسّنا أخلاقنا *سورة القلم* وتذكير بالآخرة *القلم* والتحلي بصفات وأخلاق الداعية *المعارج* تأتي سورة نوح سورة مركزية في وسط الجزء تعطينا نموذجاً من الدعاة من البشر وتعرض وسائل الدعوة في قصة نوح - عليه السلام - . فهو مكث في قومه ٩٥٠ سنة يدعوهم إلى الله بشتى الوسائل وفي كل الأوقات وآيات السورة كأنها تعرض كشف حساب يقدمه نوح - عليه السلام - إلى ربه. والسورة اشتملت على فن الدعوة *ليلا ونهارا*قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا* آية ٥ والإلحاح في الدعوة وقد

ابتدأ بالدعوة ليلاً لتدل على أنه لم يفتر في دعوته لا ليلاً ولا نهاراً، وقد دعا قومه سراً وجهراً وعلانية *ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا* آية ٨ و ٩ - ومن فنون الدعوة إلى الله البدء بترغيب الناس لا بتخويفهم بدلالة قوله *فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* آية ١٠ ذكّرهم بنعم الله تعالى في الكون ودعاهم لاستغفار الله تعالى . ثم ذكّرهم بتذكير سورة الملك وعدد لهم في اسلوب الدعوة عظمة الله تعالى في الكون *مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا* آية ١٣ إلى *لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا* آية ٢٠ وتذكرة بالآخرة *قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا* آية ٢١ كما في سورة الحاقة ، وهذا مرتبط بالجزء ٢٨ *إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ* سورة التغابن، آية ١٥ الذين انشغلوا بالمال والولد عن طاعة الله.

وتختم السورة بدعاء سيدنا نوح *رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا* آية ٢٨ لأنه من صفات الداعية وواجباته أن يدعو للأمة كلها.

* من اللمسات البيانية فى سورة نوح*

آية *٣* :

* ما دلالة اختلاف صيغ الأفعال في الآية *أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ *٣* نوح*؟

د. فاضل السامرائي

اعبدوا فعل أمر واتقوه فعل أمر وأطيعون فعل أمر استخدم النون للمتكلم نون الوقاية تأتي مع

ياء المتكلم فقط لتقي الفعل من الكسر ولا تأتي مع فعل الأمر.

آية *٤* :

* ما الفرق بين يغفر لكم من ذنوبكم ويغفر لكم ذنوبكم؟

د. فاضل السامرائي

من تبعيضية ، للتبعيض أي بعضاً من ذنوبكم. بحسب السياق تغفر بعض الذنوب أو الذنوب جميعاً. لكن هنالك أمر وهو أنه لم يرد في القرآن *يغفر لكم ذنوبكم* إلا في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - في القرآن كله، أما *يغفر لكم من ذنوبكم* فعامّة لأمّة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولغيرهم. قال تعالى في سورة الصف *يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *١٢ * أما في سورة نوح فقال تعالى *يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى *٤ * . إذن *من* للتبعيض وبحسب المواقف، هل لو أنفق أحدهم درهماً يكون كمن جهّز جيشاً؟

آية *٢٢* :

* موضوع كلمة قسورة عند العرب *فرت من قسورة * وكلمة كُباراً وسمعنا أن أبو لهب وأبو جهل أنكروا على الرسول **?** هذه الكلمات في القرآن أنهم لم يسمعوا بها من قبل وهم أهل اللغة ووردت قصة أن رجلاً كبيراً من المشركين أمره الرسول **?** بالجلوس ثم أمره بالنهوض ثم بالجلوس فقال الرجل الكبير: *أتسخر مني يا

قسورة العرب وأنا رجل كباراً* هل هذه القصة صحيحة ؟ فهل كلمة قسورة *فرت من قسورة * وكباراً *ومكروا مكراً كباراً* كلمات عربية ؟

د. فاضل السامرائي

كلتاهما عربية وكبار من الصفات العربية وقسم من اللغويين يجعلونها تدرج فعيل فُعال فُعّال، كبير كُبار كُبّار طويل طوال طُوّال، حسن حُسان حُسّان يجعلها قياس تدرج، فعيل فإذا بلغ الزيادة في الوصف تتحول إلى فُعال وهي أبلغ من فعيل عجيب وعُجاب وإذا بلغ الزيادة اقتضى التكثير والتضعيف *فُعّال* مثل رجل قُرّاء. إذن كُبّار هي عند بعض اللغويين قياس لا سماع وقسم يقول هي سماع.

ربما نقرأ في بعض القصص *أتستهزئ بي يا ابن قسورة العرب وأنا رجل كباراً في قومي إن هذا لشيء عجاب* فهل هذه الكلمات عربية ؟

قالوا هذه حبشية كبار هذه في القياس عندنا رجل قُرّاي أي رجل كثير القراءة مثل فُعّال في الجمع، مكر كباراً مكراً كبيراً محبوكاً تماماً. وحتى في العامية نقول رجل كباراً. وقسورة
من *فعوَل* قسر الفريسة قسراً ونقول قسره إذن قسورة فعول موجودة في اللغة .

هل في القرآن كلمات غير عربية ؟ هذا سؤال قديم هنالك كلمات دخلت العربية قبل الاسلام فلما دخلت في اللسان العربي أصبحت عربية بالاستعمال. لكن ربما يكون الأصل الذي انحدرت منه غير عربي وهذا في كل اللغات ما يسمى بتقارب اللغة وهناك بحوث كثيرة في القديم

والحديث في هذا المجال. هذا لا يتعارض مع قوله *بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ *١٩٥* الشعراء* بلسان عربي أي يتكلمون به لأن العرب كانت تستعمل هذه الألفاظ مثل أرائك وسندس في حياتها ولم تكن هذه الألفاظ جديدة عليها.

آية *٢٣* :

* في سورة نوح في الآية *وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آَلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا *٢٣ * لماذا ذكرت بعض أسماء الأصنام باستخدام لا وبعضها بدون لا النافية ؟

د. حسام النعيمي

هي الآية ٢٣ في سورة نوح، هو ذكر خمسة أصنام، خمسة معبودات إتصلت لا بثلاثة منها ولم تتصل باثنين لماذا؟ مسألة لافتة للنظر. لما ننظر في الكتب التي تحدثت في الأصنام نجد أنهم يقولون: ود كان على صورة رجل وسواع كان على صورة امرأة فهو قال *وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا* الرجل والمرأة . يغوث ويعوق ونسر على صورة حيوانات: يغوث على صورة أسد، يعوق على صورة فرس ونسر على صورة النسر. فكأنما أعطوا أهمية لما هو على صورة البشر *وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا* وجمعوا الثلاثة الأخرى بنفي واحد. ما قال: لا تذرن وداً ولا تذرن سواعاً، تفيد درجة أدنى بعدم تكرار الفعل ثم جمع الثلاثة بـ *لا* واحدة *وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا* لأنها حيوانات والله أعلم.

آية *٢٧* :

* يقول **?** "يولد المرء على الفطرة فأبواه يهودانه

أو ينصرانه أو يمجسانه" وفي أواخر سورة نوح لما دعا على قومه قال *وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا *٢٦* إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا *٢٧ * كأنه تعهد بأن هؤلاء القوم لا يلدون إلا فاجراً كفاراً؟

د. فاضل السامرائي

هذا يسمونه في البلاغة في باب المجاز المرسل يسمونه إعتبار ما سيكون. هؤلاء كيف سيكونون في المستقبل مثل قوله تعالى *قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا *٣٦* يوسف* كيف يعصر الخمر؟ باعتبار ما سيكون سيعصر ما سيكون خمراً من عنب وغيره، هذا يسمونه مجاز مرسل باعتبار ما كان واعتبار ما سيكون. إذن *وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا *٢٧* نوح* باعتبار ما سيكونون، سيكون هؤلاء في المستقبل وهو إستدل بهذا على الأقوام الهالكين. إذن هم خلقوا على الفطرة ولكن هم باعتبار ما سيكونون في المستقبل سيكونون كفاراً، هذا مجاز مرسل اعتبار ما سيكون مثل قوله تعالى *إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ *٥٣* الحجر* كيف يكون الغلام عليماً؟ باعتبار ما سيكون. مجاز مرسل من علاقة مشابهة لأن المجاز المشهور يكون علاقة مشابهة تدخل في مجال الإستعارة . يقال هذا كلام مجازاً أي ليس حقيقة وهذا من باب التوسع في المعنى حتى سيبويه يقول باب التوسع في الكلام. سيدنا نوح قال *وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا *٢٧ * والله تعالى قال له *وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ *٣٦* هود* ثم هو استمر على ما حصل في قومه من الذرية المتواصلة وهو باعتبار ما حصل في الأقوام السابقة فقال هؤلاء

مثل هؤلاء.

آية *٢٨* :

* ياء المتكلم متى تُسَكَّن ومتى تُحرَّك مثل وجهيَ ووجهي؟

د. فاضل السامرائي

السؤال هو متى تكون الياء مفتوحة ومتى تكون ساكنة ؟ ذكرنا في حينها الفتح الواجب، فتح ياء المتكلم وجوباً لها مواطن وجوب الفتح وما عدا ذلك جواز.

ذكرنا وقلنا بعد الألف المقصورة الياء يجب أن تكون مفتوحة مثل *قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *١٦٢* الأنعام*فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى *١٢٣* طه* لا بد أن تفتح الياء.

بعد المنقوص لا بد من فتح الياء: معطي، معطيَّ، أنت معطيَّ كتاباً تحذف النون هذا اسم لا تكون فيه النون، هل أنت منجيَ من عذاب الله؟ الياء لا بد أن تُفتح بعد المنقوص.

بعد المثنى *رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ *٢٨* نوح*.

بعد جمع المذكر السالم *وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ *٢٢* إبراهيم* وكما في الحديث "أومخرجيَ هم؟" ما عدا هذا يجوز الفتح والكسر، هذا الفتح الواجب والباقي يجوز وجهي ووجهيَ.

* ما الفرق بين دلالة الأبوين والوالدين؟

د. فاضل السامرائي

في القرآن عادة خط لا يتخلّف إذا ذكر الوصية بهما أو البر بهما أو الدعاء لهما يقول الوالدين ولا يقول الأبوين هذا خط لم يتخلف في القرآن *وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا *٢٣* الاسراء*وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً *٨٣* البقرة *رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ *٢٨* نوح* لم يتخلف في القرآن ولا مرة واحدة . أما الأبوين فقد تأتي في الميراث *وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ *١١* النساء*. لا شك أن الأبوين هو تغليب هو الأب والأم *مثنى الأب والأم* لكن تغليب الأب والوالدين هو الوالد والوالدة وأيضاً تغليب لفظ الوالد مع أنه لم يلد والولادة للأم، الولادة للأم بالفعل وللأب للنسب. إذن لما يقول الوالدين تذكير بالولادة *يعني الأم* يعني فيها إلماح إلى إحسان الصحبة إلى الأم أكثر وهذا يتطابق مع حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن الولادة منها. إذن كل القرآن فيه إلماح إلى أن الأم أولى بحسن الصحبة والإحسان إليها أكثر من الأب الإهتمام بالأم أكثر.

* تناسب فواتح سورة نوح مع خواتيمها*

هي في قصة نوح من أولها إلى آخرها *إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *١ * إلى آخرها *رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا *٢٨ * من أول السورة إلى آخر آية هي قصة واحدة .

* تناسب خواتيم نوح مع فواتح الجن*

في أول سورة الجن قال على لسان مؤمني الجنّ

*قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *١* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا *٢ * وفي أواخر نوح قال قوم نوح *وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا *٢٣ * فرق بين المؤمن والكافر *لن نشرك بربنا أحداً* - *لا تذرنّ آلهتكم* . تذرنّ بمعنى تتركون، إذن هم يدعون إلى الشرك وعدم ترك الآلهة . في الجن قال *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *٦ * وفي نوح قال *وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا *٢٤ * . قال في نوح *مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا *٢٥ * وفي الجن قال *وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا *١٥ * القاسطون أي الظالمون وقال *وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا *١٧ * . قال في الجن *وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا *١٦ * وفي نوح قال *فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا *١٠* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا *١١ * وكأن الاستقامة على الطريقة تتمثل في استغفار الله تعالى .

هذا الكلام إذا أحببنا أن ندرس القرآن الكريم بهذه الشاكلة يندرج تحت ماذا؟ هو التناسب، تناسب الآيات والسور.

جرى ذكر السماء في سورة نوح وذكر من أجرامها الشمس والقمر *أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا *١٥* وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا *١٦ * وفي سورة الجن ذكر الشهب والسماء *وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا *٨ * ذكر هنا السماء والشهب وهناك

ذكر الشمس والقمر. جرى ذكر الناصر في السورتين عند العذاب قال *مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا *٢٥* نوح* وفي سورة الجن *حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا *٢٤ * إذن هنالك علاقات بين هاتين السورتين ومناسبات في أكثر من موضوع.

سورة الجنّ

تناسبها مع خواتيم نوح ... آية *٧* ... آية *١٦* ... آية *٢٥*

هدف السورة ... آية *٨* ... آية *١٧* ... آية *٢٦*

نظرة عامة على السورة ... آية *٩* ... آية *١٨* ... آية *٢٧*

آية *١* ... آية *١٠* ... آية *١٩* ... آية *٢٨*

آية *٢* ... آية *١١* ... آية *٢٠* ... تناسب فواتحها مع خواتيمها

آية *٣* ... آية *١٢* ... آية *٢١* ... تناسب خاتمتها مع المزمل

آية *٤* ... آية *١٣* ... آية *٢٢*

آية *٥* ... آية *١٤* ... آية *٢٣*

آية *٦* ... آية *١٥* ... آية *٢٤*

* تناسب خواتيم نوح مع فواتح الجن*

في أول سورة الجن قال على لسان مؤمني الجنّ *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *١* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآَمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا *٢ *وفي أواخر نوح قال قوم نوح *وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آَلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا *٢٣ * فرق بين المؤمن والكافر *لن نشرك بربنا أحداً* - *لا تذرنّ

آلهتكم* . تذرنّ بمعنى تتركون، إذن هم يدعون
إلى الشرك وعدم ترك الآلهة . في الجن قال *وَأَنَّهُ
كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *٦ * وفي نوح قال *وَقَدْ أَضَلُّوا
كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا *٢٤ * . قال في
نوح *مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ
يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا *٢٥ * وفي الجن
قال *وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا *١٥ *
القاسطون أي الظالمون وقال *وَمَن يُعْرِضْ عَن
ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا *١٧ * . قال في الجن
*وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً
غَدَقًا *١٦ * وفي نوح قال *فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا *١٠* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا *١١
* وكأن الاستقامة على الطريقة تتمثل في استغفار
الله تعالى.

جرى ذكر السماء في سورة نوح وذكر من أجرامها
الشمس والقمر *أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ
سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا *١٥* وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
الشَّمْسَ سِرَاجًا *١٦ * وفي سورة الجن ذكر الشهب
والسماء *وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا *٨ * ذكر هنا السماء والشهب وهناك
ذكر الشمس والقمر. جرى ذكر الناصر في
السورتين عند العذاب قال *مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا
فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ
أَنصَارًا *٢٥* نوح* وفي سورة الجن *حَتَّى إِذَا رَأَوْا
مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ
عَدَدًا *٢٤ * إذن هنالك علاقات بين هاتين
السورتين ومناسبات في أكثر من موضوع.

* هدف السورة *

نموذج ثاني للدعاة لكن هذه المرة من الجنّ.
فالجنّ تحولوا إلى دعاة إلى الله لما سمعوا كلام الله والقرآن. *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا* آية ١ تدل على الانتماء، و *يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا* آية ٢، و *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا* آية ٦ وفيه تحذير من خطورة الإستعانة بالجنّ واتخاذهم ملجأ من دون الله لأن هذا سيؤدي إلى تعاستهم . وهذا كلام مشابه لما قاله نوح - عليه السلام - في دعوته لقومه *وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا* آية ١٦ - ثم تأتي ختام السورة *لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا * آية ٢٨ فيها تركيز على الدعوة .

* اللمسات البيانية فى سورة الجنّ للدكتور فاضل السامرائي*

* نظرة عامة على السورة :

* هل هنالك خط تعبيري معيّن في سورة الجن؟

حقيقة هناك خط ظاهر ونحن نعرض إلى افتتاحية هذه السورة الآية الأولى لكن هنالك خط ظاهر في السورة يتبين أن الأمور فيها لم تُبنى على الشيء ومقابله وإنما يذكر الأمر ويذكر ما يتضمنه أو يتضمن جزءاً منه وهذا الخط الظاهر في السورة . مثال *وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا *١٠ * الذي يقابل الشر الخير ولكنه ما قال الخير وإنما قال الرَشَد والذي يقابل الشر الخير والرشد هو مما يتضمنه الخير، جزء منه بينما في مواطن كثيرة في القرآن

يقابل الشر بالخير *وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً *٣٥* الأنبياء*لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ *٤٩* فصلت*فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *٧* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ *٨* الزلزلة *وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ *١١* الإسراء* بينما هنا لم يبني على المقابل وإنما على ما يتضمنه أو يتضمن جزءاً منه.

مثال آخر *وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ *١١ * الصالحون يقابلهم المفسدون والصلاح يقابله الفساد وفي القرآن يقابل كثيراً المصلح بالمفسد بينما قال في السورة *وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ *١١ * *دون ذلك* هذه الكلمة عامة ، هو قال من هم دونهم في الصلاح *دون ذلك* يعني من هم دونهم في الصلاح يتدرج إلى أن يصل إلى الفساد والكفر، قد يكون أقل صلاحاً ثم يستمر إلى ما شاء الله بينما في القرآن ربنا يقابل الإصلاح بالإفساد *وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ *٢٢٠* البقرة *وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا *٥٦* الأعراف*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ *١١* البقرة * بينما هنا في السورة قال *ومنا دون ذلك* يتضمنهم هذا الأمر. قال *وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ *١٤ * القاسط الظالم ويقابل المسلم الكافر، كلمة قاسط عامة قد يدخل فيها قسم من المسلمين قد يقسطون قد يظلمون ويدخل فيها الكافر، هي عامة ، الظالم قد يكون مسلماً وقد يكون كافراً بينما ربنا في القرآن يقابل الكفر بالاسلام *رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ *٢* الحجر*أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم

مُّسْلِمُونَ *٨٠* آل عمران* بينما في هذه السورة الخط التعبيري قال القاسطون مقابل المسلمون.
مثال آخر *فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا *١٤* وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا *١٥ * القياس أن يقابل الرَشَد بالغيّ، تحروا رشداً - تحروا غيّاً *قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ *٢٥٦* البقرة * . بينما لم يقل ذلك لم يقل أنهم تحروا الغيّ والضلال.

* لم يقل فيهم أنهم من أصحاب الجنة كما قال على الآخرين *فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا* ؟

المسلم قابله بالقاسط ثم تأتي *فمن أسلم* ، قابل المسلم بالقاسط ذكر *فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا*وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ* ما قال تحروا غيّاً أو ضلالاً وإنما قال *فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا* .

مثال آخر *قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا *٢١ * لم يقل لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، هذا خط تعبيري في السورة وفي مواطن كثيرة في القرآن يقابل الضر بالنفع *قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ *٤٩* يونس*وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا *٣* الفرقان* هذا هو الموطن الوحيد الذي يقابل الضر بالرَشَد. وقال *قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا *٢٥ * القريب يقابله البعيد وفي آية أخرى قال *وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ *١٠٩* الأنبياء* هذا خط ظاهر في السورة حتى إذا قرأ أحدهم السورة يلاحظ أن هذا خط ظاهر فيها أنه يقابل الأمر لا بمقابله وإنما بما يتضمنه أو بما يتضمن جزءاً منه.

* بما أن هذا الخط بارز في السورة فماذا عن

ارتباط سورة الجن بالسورة التي قبلها؟

التي قبلها سورة نوح، هناك علاقات وارتباطات أولاً قال في السورة التي قبلها *إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ *١ * هو خصص رسالة نوح بالقوم بينما رسالة محمد لم تقتصر على قوم وإنما شملت الثقلين. وذكر أن قوم نوح تمسكوا بالشرك وبأوثانهم ودعوا إلى عدم تركها *وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا *٢٣ * بينما الجن قالوا *وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا *٢ * . وقال في الجن *وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا *١٦ * الطريقة هي الشريعة وفي نوح قال *فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا *١٠* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا *١١ * أسقيناهم ماء غدقاً - يرسل السماء عليكم مدراراً. في سورة الجن قال *وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا *١٧ * وذكر في نوح لما أعرضوا عن ذكر ربهم قال *مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا* ذكر العذاب مثال لما فعله قوم نوح. جرى ذكر السماء في سورة نوح وذكر من أجرامها الشمس والقمر *أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا *١٥* وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا *١٦ * وفي سورة الجن ذكر الشهب والسماء *وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا *٨ * ذكر هنا السماء والشهب وهناك ذكر الشمس والقمر.

جرى ذكر الناصر في السورتين عند العذاب قال *مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا *٢٥* الجن* وفي سورة الجن *حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ

أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا *٢٤ * إذن هنالك علاقات بين هاتين السورتين ومناسبات في أكثر من موضوع. هذا هو الأمر العام هكذا لكن ما يتعلق بالآية *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *١* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا *٢ *

آية *١* :

*قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *١ *

* ما اللمسات البيانية في هذه الآية ؟ قال استمع ولم يقل استمعوا إليك؟

هذا سؤال جيد لكن قبل هذا هو قال *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ* يعني هو أمر أن يعلن هذا الأمر والأمر موجه للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقول ويعلن هذا الأمر ذلك لما فيه من تثبيت له ولأصحابه أن الجن آمنوا وتقريع لقومه أن الجن سمعوا القرآن فآمنوا به وعرفوا إعجازه مع أن قومه عرفوا محمداً وعرفوا أمانته وعرفوا صدقه وهم قومه ويعلمون من الكلام المعجز والبليغ ما لا يعلمهه غيرهم ولم يؤمنوا. إذن هو تقريع لقومه وتثبيت وتسلية له ولأصحابه. هذا أمر ثم نأت إلى *أنه* الهاء ضمير الشأن وضمير الشأن يفيد التفخيم والتعظيم. ضمير الشأن يكون خبره جملة ، الهاء في ضمير الشأن *أنّه* اسم إنّ و *استمع نفر من الجن* هذا خبره. ضمير الشأن يفيد التعظيم والتفخيم والمقصود هنا تعظيم القرآن. أصل التركيب بغض النظر عن ضمير الشأن هو *استمع نفر من الجن* هذا هو أصل التركيب حينما ندخل ضمير الشأن *أنه استمع نفر من

الجن* .

* كيف نعرف ضمير الشأن؟

ضمير الشأن لا يعود على أمر معين أحياناً يسمونه ضمير الشأن ويسمونه ضمير القصة ، ضمير الشأن، الشأن يعني الأمر أن المسألة ، أن القصة حتى لا يذكر القصة مرة ثانية . *فأنه* الشأن الأمر استمع نفر من الجن هذا يؤتى به في مقام التفخيم والتعظيم ولا شك أن التفخيم والتعظيم للقرآن *إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *١ * .

أنه أنّ حرف ناسخ والهاء ضمير الشأن والجملة بعدها خبر. وهذا التفخيم يتناسب مع وصفهم القرآن بـ *عجباً* هذا الوصف بالمصدر هذا يفيد المبالغة . هو أكثر من عجيب عندما تصف بالمصدر كأنما تحول الشيء إلى مصدر تقول هذا رجل صِدقٌ ورجلٌ عدلٌ، *وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ *١٨* يوسف* هذا أبلغ من كاذب، رجلٌ عدلٌ يعني كله عدل وأقوى من رجل عادل. في القرآن استخدم *إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ *٥* ص* هذا وصف، إذن *عجباً* أقوى من عجاب لأن الوصف بالمصدر أقوى من الوصف بالصفة ، عندما تقول هذا رجل سوءٌ أو رجل كذبٌ أو رجل صومٌ، هذا أبلغ من رجل صائم ومفطر وما إلى ذلك لأنه تقول رجل صائم إذا صام يوماً واحداً لكن لا تقول رجل صوم حتى يكون أكثر أيامه صوم وإذا قلنا رجل صوم يفهم أنه كثير الصيام. قرآناً عجباً ليس عجيباً وإنما فوق العجيب لذلك هذا ناسب ضمير الشأن.

* لماذا لم يقل استمع إليك مع أن القرآن يستخدم *وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ *٢٥* الأنعام* ؟

ليس المقصود شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - لكن المقصود هو القرآن. هنالك أمر في القرآن الكريم: حيث عدّى الاستماع حيث يقول *إليك* لا بد أن يجري ذكر الرسول في سياق الآية . إذا قال إليك فلا بد أن يذكر شيئاً يتعلق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - . مثال *وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ *٢٥* الأنعام* المخاطب هو الرسول - صلى الله عليه وسلم - . لما ذكر إليك *حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ* ، *وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ *١٦* محمد* متعلق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - *قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا* . *وَمِنهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ *٤٢* يونس* المخاطب هو الرسول - صلى الله عليه وسلم - . *نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا *٤٧* الاسراء* حيث يقول *يستمعون إليك* أو *يستمع إليك* يجري ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - في السياق وهنا في آية الجن لم يرد ذكر الرسول مطلقاً. هو القصد ذكر القرآن وليس ذكر القارئ القرآن هو القصد وليس الرسول - صلى الله عليه وسلم - . فلم يعدّي الإستماع إليه.

* إذن نفهم أن المراد هو ذكر القرآن قال *قُلْ

أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ *١ * ولم يصرح بالقرآن كأن يقول استمع نفر من الجن قرآناً كما قال في آية أخرى *وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ *٢٩* الأحقاف* ؟

هو قال *قرآناً عجباً* ولم يقل قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن للقرآن بينما في آية الأحقاف ذكر القرآن *وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ *٢٩* قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ *٣٠* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *٣١ * الكلام عن القرآن، ذكر وفصّل في القرآن ما لم يفصّل في سورة الجن.

في سورة الجن قال *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *١* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا *٢ * ، بينما في الأحقاف قال *وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا *٢٩ * حضروا قرآءة القرآن وأنصتوا لسماعه *فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ *٢٩* قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ *٣٠* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *٣١ * لاحظ التفصيل، في الأحقاف فصّل في ذكر القرآن ما دعا إلى ذكر القرآن بينما في سورة الجن كان الكلام عن القرآن موجزاً وإشارة إلى القرآن *إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *١ * .

في مقام التفصيل يفصّل وفي مقام الإيجاز يوجز مع أنه مفهوم.

* إذن القرآن الكريم يفصِّل فيما يوجب التفصيل ويوجز فيما يوجب الإيجاز ولا اختلاف بين الآيتين وإن كان كل آية منهما تدل على نفس الموقف أن الجن يستمع إلى القرآن؟

التفصيل يعني ما أدّى بعد الإنذار إلى ذلك لم يذكره.

آية *٢* :

*يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا *٢ *

* هنا قال *يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ *٢* الجن* لماذا قال الرُشد وليس الرَشَد مع أن الرَشَد مستخدمة في القرآن الكريم؟

هم يفرّقون بين الرُشد والرَشَد، الرُشد معناه الصلاح والاستقامة وهم قالوا الرُشد يكون في الأمور الدينية والدنيوية ، في أمور الدين وفي أمور الدنيا، في الأمور الدنيوية والأخروية والرَشد في أمور الآخرة ، يعني الرُشد يكون في أمور الدنيا والآخرة والرَشَد في أمور الآخرة . في القرآن ورد الرُشد *وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا *٦* النساء* أمر دنيوي، *قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا *٦٦* الكهف* أمر دنيوي موسى تتبع الرجل الصالح، *لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ *٢٥٦* البقرة * و *وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً *١٤٦* الأعراف* إذن الرُشد يستعمل في أمور الدنيا والدين. أما الرَشد

فالكثير أنه يستعمل في أمور الدين أكثر ما يكون في الدين *فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا *١٠* الكهف*وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا *٢٤* الكهف* أغلب ما تستعمل في أمور الدين، أما الرُشد فهي عامة . هذا ما قاله قسم من اللغويين وإن كان قسم قالوا أن هاتان لغتان لكن هما في القرآن هكذا، يستعمل الرُشد في أمور الدنيا والدين والرَشَد في أمور الدين. قسم قالوا هذه لغة ولكن قسم قالوا هذا من خصوصيات الاستعمال القرآني.

* قال تعالى *يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ *٢* الجن* وفي الأحقاف قال تعالى *يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ *٣٠ * فما الفرق بين الرُشد والحق؟ وكيف نفهم اللمسات البيانية في الآيتين؟

الحق ليس مناقضاً للرُشد ولا الرُشد مناقضاً للحق. الحق أعم من الرُشد، يعني يوصف بالحق أحياناً ما لا يوصف بالرشد ويُخبر عنه بما لا يخبر بالحق يعني *فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا *٦* النساء* هل يمكن أن يقال آنستم منهم حقاً؟ كلا. *إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ *٦٤* ص*وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقّ *٦١* البقرة *وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ *٢٨٢* البقرة *إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ *٦٢* آل عمران*وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ *٨٦* آل عمران*وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ *٢٧* المائدة * كلها لا يصح فيها الرُشد، الحق أعم من الرشد *إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ *٥٧* الأنعام* لا يصح أن يقال يقص الرُشد، *ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ

الْحَقِّ *٦٢* الأنعام*فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ
الْحَقُّ *٣٢* يونس* الحق أعمّ. وهذا أول فرق بين
الحق والرشد أن الحق أعم وأنه يُذكر في أمور لا
يصح فيها ذكر الرُشد. الأمر الآخر أن الرُشد لا
يقال إلا في العاقل العاقل يوصف بالرُشد أما الحق
عام، نقول القتل بالحق، هذا المال حق لك، إذن
الله هو الحق، الجنة حق والنار حق. هنالك أمران
حقيقة : أولاً الحق أعمّ من الرُشد يُخبر به عن
الانسان وغيره ومن ناحية أخرى الرُشد خاص
بالعاقل، إذن الرشد قسم من الحق وليس الحق
كله، كل رشد هو حق لكن ليس حق رشداً باعتبار
الحق أعمّ. يبقى سبب الاختلاف: ما ذكره في
سورة الأحقاف عن الجن أوسع وأشمل مما ذكره
في سورة الجن فعمم في الأحقاف *يهدي إلى
الحق* ثم ذكر أموراً في القرآن كثيرة فصّل فيها.

عندما قال في سورة الجن *يَهْدِي إِلَى
الرُّشْدِ* وقال في الأحقاف *يَهْدِي إِلَى
الْحَقِّ* وشرعنا في بيان الفرق في سبب الاختيار
ولم نستكمله. نذكر بما ذكرناه قلنا أن الحق أعم
من الرشد وأنه يُخبر به ويوصف به ما لا يوصف
بكلمة الرشد وذكرنا أمثلة *إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ
الْحَقُّ *٦٢* آل عمران*وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ
بِالْحَقِّ *٢٧* المائدة *ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ
الْحَقِّ *٦٢* الأنعام* هذا لا يمكن أن يوصف
بالرشد. وذكرنا أيضاً في حينها أن الحق عام
يستعمل مع العاقل وغيره لكن الرشد هو خاص
بالعاقل فيقال الوجه الحق والقتل بالحق وهذا
المال حق لك لا يقال هذا رشد إذن الحق أعمّ من
الرشد من ناحية أن الرشد خاص بأولي العلم
وبالمكلّفين خاصة إذن الرشد هو قسم من الحق

وليس الحق كله. كل رشد هو حق لكن ليس كل رشد حق.

يبقى سبب الاختلاف: نحن ذكرنا أن الحق أعم من الرشد والرشد معناه الصلاح في الدنيا وقد يكون في الآخرة . ما ذكره في الأحقاف *يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ* سياق الآية أعم مما في آية الجن وأوسع وأشمل فناسب ذكر الحق الذي هو أوسع وأشمل. في سورة الجن قال *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *١* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا *٢ * ثم أنصرف إلى أقسام الجن ومعتقداتهم وأنهم كانوا يقعدون مقاعد للسمع ليس لها علاقة بالقرآن أما في الأحقاف فاتسع الحديث عن القرآن والتأثير فيهم هم سمعوا القرآن وآمنوا به لم يكتفوا وإنما ذهبوا إلى قومهم منذرين ويدعوهم إلى الإيمان *وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ *٢٩* قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ *٣٠* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *٣١ * الكلام عن القرآن متسع في الأحقاف وهذا جزء من آية في سورة الجن، في الأحقاف الكلام متسع إذن تناسب كلمة الحق التي هي أوسع من الرشد لما كان الكلام متسع أتى بالكلمة التي هي مناسبة والتي هي الحق. هذا من ناحية ، من ناحية أخرى كلمة الحق نفسها وردت في سورة الأحقاف ست مرات ولم ترد في سورة الجن وكلمتا الرُشد والرَشد وردتا في سورة الجن أربع مرات ولم ترد في

سورة الأحقاف. إذن من هذه الناحية صارت مناسبة .

ثم نلاحظ أن هنالك أمر في آية الأحقاف هو لم يكتفي بذكر الهداية إلى الحق، هو في الجن قال *يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ* في الأحقاف قال *يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ *٣٠ * لم يتوقف في آية الأحقاف عند الحق وإنما اتسع الأمر *يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ *٣٠ * . لماذا إلى طريق مستقيم؟ الحق أعم من الطريق المستقيم ثم لو لاحظنا السياق الذي ورد فيه الطريق المستقيم قال قبلها *قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ *٩ * يعني هذه الدعوة ليست بدعة أنا ابتدعتها وإنما هي طريق سلكها الأنبياء والرسل والطريق هي السبيل الذي تطرقه الأرجل، السبيل الذي كثرت سابلته وميسر أما الطريق فهو الذي تطرقه الأرجل سواء كان ميسراً أو غير ميسر. يعني ساروا فيه قبله فلما قال *قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ* يعني طريق طرقته الأرجل. قال *وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ *٢١ * إذن هي طريق مسلوكة ، إذن هذه ليست طريقة مبتدعة وإنما سلكها الأنبياء والرسل من قبله.

ثم قال *فآمنا به* جاء بالفاء الدالة على سرعة الاستجابة ، تفيد الترتيب والتعقيب. يعني سمعنا فآمنا إذن جاء بالفاء الدالة على سرعة الاستجابة سمعوا فآمنوا.

ثم قال *وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا* تقرير يدل على

أنهم كانوا مشركين فأصبحوا موحّدين وأنهم عزموا على عدم العودة . الجن أمثالنا فيهم كفار ومؤمنون *يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ *١٣٠* الأنعام* وهم شهدوا أن عندهم مسلمون ودون ذلك وعندهم صالحون وطالحون.

لو لاحظنا تركيب الآية *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *١ * نجد فيها مبالغات عدة . أولاً هو بدأ *قل* يعني أمره بالقول يعني الأمر فيه أهمية حتى يبلّغ ثم جاء *أنه* ضمير الشأن الذي يفيد التفخيم والتعظيم. ثم قال *استمع* ولم يقل سمع *استمع* فيها التكلف والاستماع والمبالغة في الاستماع، إنصات شديد، *قرآناً عجباً* ولم يقل عجيباً وهذه مبالغة أخرى وقال *يهدي إلى الرشد* يعني في أمور الدنيا والآخرة وجاء بالفاء *فآمنا* للدلالة على سرعة الإيمان وقال *آمنا* بضمير الجمع دليل على أن كل الذين استمعوا آمنوا لم يتخلف واحد كلها مبالغات ثم قال *وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا* جاء بـ *لن* المؤكدة للنفي وهذه *لن* تفيد التوكيد والنفي في المستقبل.

* ماذا قال الجن تحديداً؟

هما لا يتناقضان يعني إذا هدى إلى الرشد فهو حق، هل هم جماعة واحدة ؟ هم نفر كثير منهم من قال كلاماً ومنهم من قال غيره. ثم هل هو الموقف نفسه ذكر عنه مرتين؟ هل الذين ذكر

عنهم في سورة الجن هم نفسهم الذين ذكر عنهم في سورة الأحقاف؟ إذن ليس هنالك تناقض.

آية *٣* :

*وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا *٣ *

فكرة عامة عن الآية : نأتي إلى الآية الكريمة *وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا *٣ * : جد ربنا يعني عظمته وسلطانه. الجدّ العظمة والسلطان والملك والجِد الاجتهاد يجد في الأمر يعجل فيه ويبذل جهده والجَد الحظ النصيب. نقول تعالى جَدُّك يعني تعالى سلطانك. الجِدّ هو ضد الهزل. الهاء في *وأنه* ضمير الشأن ويؤتى به للتعظيم. ضمير الشأن ذكرنا أكثر من مرة أنه لا يعود على شيء معين، عندنا ضمير شخص يعود على مذكور أما ضمير الشأن يفسر بجملة وهذه الجملة ما الأمر؟ ما الشأن؟ فتخبر عنه بالشأن وذكرنا أكثر من مرة أنه يسمى ضمير القصة . *أنه* ضمير الشأن والجِدّ للتعظيم دلالة على العظمة تعالى الله تعالت عظمته وسلطانه على أن يتخذ صاحبة أو ولداً.

* قال *مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا* ولم يقل *لم يتخذ* كما جاء في سورة الإسراء؟

ما في الغالب تقال للرد على قول في الأصل يقولون في الرد على دعوى، أنت قلت كذا؟ أقول ما قلت. أما *لم أقل* قد تكون من باب الإخبار فليست بالضرورة أن تكون رداً على قائل لذلك هم قالوا لم يفعل هي نفي لـ *فعل* بينما ما فعل هي نفي لـ *لقد فعل* . حضر لم يحضر، ما حضر نفي

لـ قد حضر *يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ *٧٤* التوبة *ما اتخذ* ضد قول اتخذ صاحبة ولا ولدا، لم يتخذ قد تكون من باب الإخبار والتعليم *تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا *١* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا *٢* الفرقان* هذا من باب التعليم وليس رداً على قائل وليس في السياق أن هناك من قال وردّ عليه وإنما تعليم *تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ* يخبرنا إخباراً *وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ* في الاسراء *وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا *١١١* بينما نلاحظ لما قال في محاجته للمشركين *ما اتخذ الله من ولد* هم يقولون اتخذ الله ولد *مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ *٩١* المؤمنون*.

لما رد على المشركين وقولهم قال *ما اتخذ* و *وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ *٧٨* آل عمران* يقولون هو من عند الله فيرد عليهم *وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّه *٧٨* آل عمران*. *وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ *٨* البقرة * معناه لما قال *ما اتخذ* يعني رد على أن هناك من يقول اتخذ فهو نفى قولهم ورد عليهم أما لم يتخذ فتأتي للإخبار والتعليم.

ثم قال *مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا *٣ * جاء

بـ *لا* لم يقل ما اتخذ صاحبة وولداً حتى ينفي الأمر على سبيل الجمع والإفراد ما قال ما اتخذ صاحبة وولداً لأنها تحتمل أنه لم يتخذهما بينما اتخذ أحدهما، تعبير احتمالي يحتمل أنه لم يتخذ لا صاحبة ولا ولد إنما اتخذ واحداً منهما، لما قال *مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا* ينفي كلاً على حدة ينفي على سبيل الجمع وعلى سبيل الإفراد، نفى الصاحبة ونفى الولد. عندما نقول ما جاء محمد وخالد معناها ربما يكون أحدهما قد جاء لكن مفهوم قطعاً أن الإثنان لم يأتا مع بعضهما. وقدّم الصاحبة على الولد لأن الولد إنما يأتي من الصاحبة .

* إذن من يتكلم في القرآن لا بد أن يكون ضليعاً بأساليب العربية وكيفية التعبير؟

اشترط أهل علوم القرآن أن يكون متبحراً ولا تكفي المعرفة اليسيرة في اللغة ، هذا كلامهم. أن يكون متبحراً في النحو وفي التصريف وفي علم اللغة وفي الاشتقاق وفي البلاغة حتى يفهم كلام الله سبحانه وتعالى. هناك معنى عام مفهوم لكن المعنى الدقيق يفهمه المتبحرون في اللغة .
سيبويه بدأ *هذا باب نفي الفعل: فعل نفيه لم يفعل، قد فعل نفيه لما يفعل، لقد فعل نفيه ما فعل، هو يفعل إذا كان في الحال ما يفعل وإذا في الاستقبال لا يفعل ويفعلنّ نفيه لا يفعل، سوف يفعل نفيه لن يفعل، ما كان ليفعل وهكذا بدأ بها سيبويه* .

ثم قدم الصاحبة على الولد لأن الولد إنما يكون من الصاحبة *أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ *١٠١* الأنعام*.

* لماذا اختار كلمة صاحبة في قوله تعالى *وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا
وَلَدًا *٣* الجن*؟ وهل كل امرأة تعد صاحبة ؟

د. حسام النعيمي

القاعدة العامة التي نجدها في القرآن الكريم أن القرآن الكريم عندما يذكر الصاحبة يذكر معها الولد. الآيات: *بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *١٠١* الأنعام*وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا *٣* الجن*يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ
بِبَنِيهِ *١١* وَصَاحِبَتِهِ
وَأَخِيهِ *١٢* المعارج*وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ *٣٦* عبس* لم يرد إلا في هذه المواطن الأربعة صاحبة . لما يقول صاحبة يذكر معها الولد فكأنما هذا الاستعمال يشير إلى أن الزوجة التي تسمى صاحبة ينبغي أن تكون قد صحبته مدة بحيث حصل منها ولد حتى تسمى صاحبة لأن مجرد الزواج الزوجة قد لا تكون صاحبة أصلاً يعني يعقد عليها ثم لا يدخل بها ولا يراها ويطلقها. لأنه بمجرد العقد هي زوجة . فالزوجة قد تكون صاحبة وقد لا تكون. مع ملاحظة أن القرآن الكريم لم يستعمل لفظ زوجة بالتاء بتاتاً وإنما استعمل كلمة زوج. والزوج هو أحد شيئين. نحن نقول دائماً نظرية ابن جنّي في الاشتقاق الكبير التي لا توجد في لغة أخرى مسألة التقليب ارتباط المعنى العام. فلما نقول الفقه حُسن الإدراك لأن عندنا فهق الإناء إذا امتلأ وفاض فالفقيه يمتليء بالعلم ويفيض على الآخرين. فهنا الزوج عندنا زوج وجوز: الجوزة تتكون عادة من فلقتين، هاتان

الفلقتان تشكلان جوز. الزوج والزوج كلاهما يشكلان زوجاً والعرب صارت تستعمل الزوج للواحد من الإثنين المتلازمين وتستعمل الزوج لهما. تقول عندي زوجا حمام وتريد ذكراً وأنثى وتقول عندي زوج حمام.

طبعاً القرآن استعمل الصورة الأولى استعمل كلمة زوج للمفرد الذي يكون معه نظيره *في سورة الأنعام ذكر ثمانية أزواج *ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ*وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ* يحسبها تكون ثمانية أفراد ملتصقة ببعضها: من الضأن اثنين ومن المعز اثنين. ومن البقر اثنين ومن الإبل اثنين* ذكر أربعة أجناس وقال ثمانية أزواج. هي زوجه وهو زوجها والقرآن استعمل بهذه الصيغة واستعمل كلمة زوج للمذكر والمؤنث *وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ* هنا المرأة و *فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ* رجل. فالمرأة زوج والرجل زوج. كلمة زوج وأزواج استعمل معها الذرية والأبناء والبنين والحفدة إذن كلمة زوج أشمل من كلمة صاحبة . الزوج قد تكون منجبة وقد لا تكون وقد تكون مصاحبة وقد لا تكون تطول صحبتها وتقصر بينما إذا أراد أن يذكر المرأة الزوج التي لها إنجاب بذكر الولد يقول صاحبة وولد يذكرها وهي في القرآن كله في أربع آيات في أماكن متفرقة ونقول هذا من دلائل النبوة وليس كلام بشر وإنما كلام الله سبحانه وتعالى.

آية *٤* :

*وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ

شَطَطًا *٤* الجن*

السفه هو خفة العقل والجهل والشطط هو مجاوزة الحد. خفة العقل يعني ليس عميق المعرفة .

* ما دلالة تركيب الآية ولماذا لم يقل وأن سفيهنا كان يقول على الله شططا؟

أولاً نسبة الصاحبة والولد إلى الله غاية الشطط والسفه يبقى السؤال عن تركيب الآية التعبير القرآني أدل على عظم القول مما ذكرته. الأولى أنه جاء ضمير الشأن في *وأنه* أقوى من *أن* ضمير الشأن يؤتى به في مواطن التفخيم والتعظيم، هذا أمر والأمر الآخر في الضمير المستتر في *كان* فيها ضمير الشأن *كان يقول سفيهنا* ضمير شأن مستتر، أين اسم كان؟ ضمير مستتر، هذا ضمير الشأن. قد يُعتقد أن سفيهنا اسم كان متأخر ويقول خبر كان متقدم باعتبار خبر كان يتقدم لكن هذا التخريج ممنوع في النحو. لو قلنا بهذا أن سفيهنا اسم كان ويقول خبرها نلاحظ الآية سفيهنا اسم كان معمول لكان ويقول خبرها يعني الآن صار خبرها واسمها *على الله شططا* معمول *يقول* ، سفيهنا وقعت في الوسط هذا بين العامل والمعمول لأن سفيهنا معمول *كان* ، إذن فصلت بين العامل والمعمول بأجنبي وهذا لا يجوز إما ممنوع أو ضعيف قطعاً. والتخريج يكون أن اسم كان ضمير الشأن مستتر تقديره هو لا يعود على سفيهنا وإنما يفسر بجملة ، ضمير الشأن لا يعود على شيء معين وإنما يفسر بجملة . إذن صار في الآية ضميري شأن يعني صار التفخيم مضاعفاً بينما لو قلنا إن سفيهنا كان يقول ليس فيها ضمير شأن.

* يمكن أن نقول وأنه كان سفيهنا يقول على الله شططا؟

سفيهنا اسم كان والآية يكون فيها ضمير شأن واحد والآية أقوى لأن فيها ضميري شأن.

* هل يمكن أن نقول: وأنه كان على الله يقول سفيهنا شططا؟

هذا التعبير فيه نظر, قدم الجار والمجرور وهذا يفيد التخصيص يعني يقول على الله لا يقول على غيره شططا، هو سفيه هل يقول على الله شططا فقط؟ السفيه يقول شططاً على الله وعلى غيره.

* إذن وضع الجار والمجرور في الآية الكريمة هكذا مكانه *وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا *٤ *

يقول على الله ويقول على غيره قطعاً لا يحصر الشطط على الله تعالى فقط. اجتمع في هذا التعبير من أوصاف السوء الكثير أولاً القائل سفيه ثم أضاف السفيه إلى ضمير المتكلمين أن هذا الشخص معروف بالسفه ومشهور به ثم ضمير الشأن المتصل بـ *إن* وضمير الشأن المستتر بـ *كان* ثم هذا السفيه كان يقول يفيد الاستمرار بالقول ولم يقله مرة واحدة ، في مجتمعهم كان هذا القول يكرر بينهم، إذا وقع فعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار خبر كان يسمونه استمرار أو اعتياد. ليس هذا فقط وإنما جاء بالمصدر *شططا* والشطط مصدر يعني جعل القول هو شطط بعينه وهذا أقوى إذن في هذه العبارة أكثر من ستة مبالغات: ضمير الشأن وسفيهنا وكان يقول للإستمرار وشططاً التعبير

بالمصدر.

* كم عام وأنت مع القرآن الكريم في لمساته البيانية ؟

لا أدري متى بدأت، في الخمسينات كنت أقرأ فيما كتبه السابقون بينما بداية النظر التأليف فبعد الانتهاء من الدراسة الجامعية وكنت أقرأ وأرى في كثير من الأقوال التكلف في التخريج في التفسير وأرى لو قيل الكلام بصورة أخرى يمكن أن يجدوا له تبريراً آخر فقررت أن أدرس دراسة فاحصة وبدأت القرآءة في الخمسينات. يجب أن يكون عندك معرفة أولية حتى تفهم ما يقوله المفسرون.

استطراد من المقدم: في كل حلقة يزداد إعجابي الشخصي بكم وبعلمكم ونبدأ في أن نلتفت إلى نحونا العربي ونفهمه جيداً لنكون قادرين على التعاطي والتعامل مع آي القرآن الكريم ومن هنا نبدأ بفهم تراكيب اللغة وجمل اللغة ودلالات مفردات اللغة وأحرف اللغة والموضوع ليس بالهين لكن على الجانب الآخر ليس مطلوباً من كل مسلم أن يعلم هذا العلم وإنما يستمع لنا.

آية *٥* :

*وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا *٥ *

* تقديم الإنس على الجن في هذه الآية ما فحواه؟

الآية الكريمة *وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا* قدّم الإنس لأن هذا طبعاً كلام

الجن لأنهم ذكروا سيئات الجن ومعاصيهم ما لم يذكروه في الإنس كما في قوله تعالى *وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا *٤ * وقوله *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *٦ * *وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا *١١ * *وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا *١٤ * فقدّم الإنس على الجن باعتبار يرونهم أبعد عن الكذب لأنهم ذكروا من معاصي الجن الكثير ولم يذكروا شيئاً عن معاصي الإنس فكأن هؤلاء أبعد عن الكذب وأنأى عن الكذب وربما أنهم كانوا يحسنون الظن بالإنس هذا احتمال لأن عالم الإنس غير عالم الجن يعلمون أن في جماعتهم الصالح والطالح ودون ذلك وكانوا يرون في الإنس مظنّة الصدق على الله كما أن الإنس أيضاً يرون في الجن مظنة الصدق الكهنة كانوا يحسنون القول فيما يلقيه لهم الجن ويصدقونهم فيما يقولون. عالم غير عالمهم هم يرون في عالمهم الشرور والكذب ويطنون الإنس أفضل منهم فقدّم الإنس على الجن.

* قال تعالى *وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا* نكّر كلمة كذباً مع أن القرآن الكريم استخدمها معرفة كما في سورة يونس *قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ *٦٩ * وآل عمران *فَمَنِ افْتَرَى َ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *٩٤ * ما دلالة تنكير الكذب أو تعريفه؟

نكّر الكذب ليشمل كل كذب عام لأن المعرفة ما دلّ على شيء معين. الكذب يقصد شيئاً معيناً بأمر معين *قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ

يُفْلِحُونَ *٦٩* يونس* هنالك أمر في السياق يقصده فذكر الكذب، فلما يقول الكذب فهو كذب عن أمر معين بالذات مذكور في السياق أما عندما يقول كذب فيشمل كل كذب مثل قوله تعالى *كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *٩٣* فَمَنِ افْتَرَى َ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *٩٤* آل عمران* الكلام عن الطعام، أمر معين، هو حرّم على نفسه وكذب على الله وقال حرّم كذا قال فاتوا بالتوراة في هذه المسألة مسألة الطعام فقال *فَمَنِ افْتَرَى َ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ* لأن الكذب في مسألة معينة محددة . *قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ *٦٨* قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ *٦٩* يونس* إذن هذا الكذب معرّف لأنه في مسألة معينة . *مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ *١٠٣* المائدة * يتعلق بهذه الذبائح، هذا التعريف.

التنكير: *وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ *٩٢* وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا *٩٣* الأنعام* ليس هنالك مسألة معينة ذكرها فهذه عامة ، كذب يشمل كل كذب وليس الكذب في مسألة معينة *قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ

وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ *١٦* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ *١٧* يونس* لم يذكر مسألة معينة حصل كذب فيها *فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ *١٧* يونس* الكذب عام. *أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *٢٤* الشورى * لم يقل ما هو الشيء. *إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ *٣٨* المؤمنون* إذن التنكير في اللغة يفيد العموم والشمول. في الآية *وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا* في أي شيء لا في مسألة معينة لا يكذبون على الله أبداً كما يظنون، كان ظنهم هكذا فإذن نكّر كذب ليشمل كل كذب وليس هنالك أمراً معيناً.

* ما دلالة الصيغة *وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا* إذا قلنا وأنا لم نظن فما الفرق بين ما ظننت أن يفعل وظننت ألا يفعل؟

هم ظنوا وهو أثبت الظن وأكد الظن. فرق بين أن تقول *ظننت أنه لا يفعل* هو حصل الظن أثبت الظن، *ما ظننت* نفيت الظن، *وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا* هم ظنوا ذلك. مثلاً *ما علمت أنه مسافر* لم تعلم، *علمت أنه غير مسافر* علمت، إذن واحدة نفي العلم وواحدة إثبات العلم والأقوى إثبات العلم. إذا قال وأنا لن نظن نفى عنهم الظن لكن هذه الصيغة آكد لأنها إثبات للظن. *ما علمت أنه قادم* ليس لدي علم، *عملت أنه غير قادم* لدي علم بأنه غير قادم، أيها الأقوى؟ علمت أنه غير قادم أقوى. *ما

سمعت أنه ناجح* و *سمعت أنه غير ناجح* هذا أثبت عدم النجاح. واحدة إثبات وواحدة نفي الظن وهؤلاء أثبتوا ظنهم بالإنس والجن. *وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا* أثبت لهم حسن الظن وإذا قال وأنا لن نظن فهي نفي *أنا ظننا* أقوى وهذه الآية *وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا* ذكر فيها أبعد حالات الكذب على الله أولاً قال *إنا ظننا* ولم نقل إنا لم نظن، والآخر نفى بـ *لن* المؤكدة *لن* تفيد توكيد نفي المستقبل وليس فقط نفي المستقبل، ثم قال *على الله* لأنه أبعد من أن يُكذب عليه يمكن أن يكذب أحدهم على شخص لكن لا يمكن أن يكذب على الله، إذا كذبت على شخص وقعت في معصية فكيف إذا كذبت على الله؟ *وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا *٦٨* العنكبوت*، ثم نكر كذب ليشمل كل أنواع الكذب ثم وصف بالمصدر *كذب* ولم يقل مكذوباً أو مكذوباً فيه والتعبير بالمصدر أقوى من حيث الدلالة والتعبير. فإذن ذكر كل حالات البعد عن الكذب عن الله سبحانه وتعالى.

آية *٦* :

*وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *٦ *

* في قوله تعالى *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *٦ * ما معنى الرهق؟

الرهق هو غشيان المحارم، إرتكاب المحرمات والمآثم وتأتي بمعنى الذِلّة وليس مجرد التعب. المعنى إذن أن الإنس استعاذتهم بالجن زادوهم

كِبراً وكفراً وضلالاً. والعرب يقولون كانوا إذا أمسى المساء في وادي قفر واضطروا إلى أن يبيتوا في القفر *القفر صحراء ليس فيها زرع* خاف على نفسه فكان يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يقصد الجنّ كانوا يرون أن الجن منتشرون في الأرض وهو يخاف أن يمسه من الجن شيء فكان يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يلجأ لسيد الجن حتى يمنعه من سفهاء الجن. *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ* يعوذون بمعنى يستعينون بهه ويلجأون إليهم فهم كانوا يحتمون بهم. كيف زادوهم رهقاً؟ أولاً من الذي زاد رهقاً؟ الجن أم الإنس زادوا رهقاً؟ كانوا يستعيذون في بعض مسائلهم إذا خشوا على أنفسهم من الجن والجن إذا سمعوا ذلك استكبروا وقالوا سُدنا الجن والإنس هذا من الرهق استكبروا وعتوا، إذن الجن هم الذين زادوا رهقاً .

واحتمال آخر أن الجن زادوا الإنس رهقاً بقوا يستعيذون بهم وهذا ضلال فبإغوائهم واستعاذتهم بهم زادوا إثماً وضلالاً إذن فيها احتمالين والإحتمالان قائمان ولذلك لم يذكر من الذي زاد، زاد فعل والواو فاعل والضمير *هم* يعود على الجن والإنس معاً لأن الإنس ازدادوا رهقاً بغشيانهم للمحارم واستعاذتهم بالجن وما إلى ذلك وغواية وضلالاً وأولئك زادوا كبراً وقالوا سُدنا الجن والإنس فكلاهما ولذلك لم يذكر يعود الضمير على من ليشمل كليهما الإنس والجن، الجن ازدادوا رهقاً وعتواً وتجبراً والإنس زادوا ضلالاً وغواية وهذا من قبيل التوسع في المعنى لأنه يريد المعنى إذن كلاهما وارد كون الإنس يستعيذون

بالجن هذا ضلال وأولئك يزدادون كِبراً وتجبراً ويرهقونهم أيضاً.

* الآية يستدل بها من كثير من المسليمن أن الإنس يحضر الجن والجن يطلب منه طلبات؟

يقال أن الجن يطلب طلبات والإنس يطلب طلبات. *وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا *١٢٨* الأنعام* كلها غواية ، الإنس يزداد غواية وضلال والجن يزداد غواية وضلال ولذلك لم يقل فأرهقوهم، هو قال فزادوهم رهقاً إذن الرهق موجود فكلما يستعيذ به يزداد والاستعاذة بحد ذاتها رهق فكلما استعاذ يزداد ضلالاً على ضلال لم يقل فأرهقوهم وإنما قال فزادوهم رهقاً.

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنّ أخّر الفعل يعوذون عن *كان* وفي آية قبلها *وأنه كان يقول سفيهنا* ؟ ألصق يقول بـ *كان* فلماذا؟

ذكرنا في الآية السابقة *وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا *٤ * قلنا فيها ضميران للشأن *أنه* واحد وفي *كان* هي ضمير الشأن *كان سفيهنا يقول* وضمير الشأن يفيد التفخيم والتعظيم هذا حكم عام. إذن هناك بينا سبب الصيغة والآن نأتي إلى الآية : إذن ضمير الشأن يفيد التفخيم والتعظيم وكلما كانت ضمائر الشأن أكثر كلما كانت المسألة أهم. عندنا الآن مسألتين المسألة الأولى *وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا* كان يقول اتخذ صاحبة وولداً *وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا *٣ *

فرد عليهم *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنّ* . أيها الأكبر الشِرك أم هذه المسألة ؟ الشِرك أكبر وقولهم اتخذ الله صاحبة وولداً أكبر من هذه المسألة إذن هما ليسا بمرتبة واحدة لو قال *وأنه كان يعوذ* سيصير مرتبة واحد ويصير فيها ضميران للشأن وهما ليسا بمنزلة واحدة قطعاً لأن ذاك شرك واتخذا صاحبة وولداً، الشرك أكبر من هذا ولذلك في الميزان البياني لم يساوي بينهما في المرتبة اللغوية من حيث الدلالة لأن المسألة مختلفة من حيث العقيدة .

إذن القرآن لا يوظّف الكلمة إلا في مكانها الصحيح، ميزان دقيق في البيان والدلالة ، ما يحتاج التأكيد يؤكد بمؤكد أو اثنين أو ثلاثة وما لا يحتاج لا يؤكده.

ثم قال *يعوذون* فجاء بالفعل المضارع الذي يفيد التجدد ولم يقل عاذوا أو استعاذوا أو كانوا قد عاذوا والمضارع فيه تجدد وخاصة لما يأتي بعد *كان* ، الفعل المضارع بعد *كان* يدل على الاستمرار، *كان يفعل* يدل على الاستمرار فمعنى أنه كان يعني تجدد ازداد الرهق لأنه لما كان الاستمرار في الاستعاذة صار الزيادة في الرهق، هذا يستمر والرهق يستمر.

آية *٧* :

*وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ٧ *

فكرة عامة عن الآية : هذا التعبير يحتمل أن يكون كلام الجن، كان قبلها الإنس والجن *وَأَنَّا

ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا *٥ *
فمحتمل أن يكون هذا كلام الجن يخاطبون
قومهم أن الإنس يظنون كما تظنون أنتم قسم
منهم ينكر اليوم الآخر واحتمال أن يكون هذا مما
أوحى الله به يقول لكفرة قريش أن الجن يظنون
كما تظنون أنتم، أنه مما قاله الجن أنهم الجن ظنوا
كما تظنون أنتم أيها الكفار أن لن يبعث الله أحداً
وهذا إنكار اليوم الآخر وقسم قال إنكار النبوات
والرسل لكن يبدو أن إنكار اليوم الآخر أرجح لأنه
قال *أن لن* و *لن* للمستقبل، كان قال لم يبعث
ولن يبعث هذا للستبقين أنكرها، ألن يبعث هذا
استقبال. ألن يبعث يعني بالمستقبل هذا هو
الراجح إنكار للبعث والنشور من أساسه. هم أنكروا
هذا اليوم وأنكروا إرسال الرسل. الجن قالوا سمعنا
كتاباً من بعد موسى ولذلك الراجح أنه إنكار
البعث. لكن الآية تحتمل أن كلاهما قال الإنس
والجن.

* هل ورد التنازع في القرآن الكريم؟

ورد التنازع في القرآن الكريم في أكثر من موضع
ومن ذلك قوله تعالى *هَاؤُمُ اقْرَؤُوا
كِتَابِيهْ *١٩* الحاقة * هاؤم هذا اسم فعل بمعنى
هاتوا، اقرأوا فعل أمر، كتابيه، هاؤم اقرأوا كتابيه،
تنازعوا الكتاب، هاؤم اقرأوا الكتاب هاتوا الكتاب
واقرأوه واسم الفعل يعمل عمل الفعل. *آتُونِي
أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا *٩٦* الكهف* قطراً مفعول به هل
هو للفعل آتوني أو الفعل أفرغ؟ النحاة يجيزون أي
واحد منهم لكن الاختلاف فقط في الترجيح فعند
الكوفيين الأول هو الأولى في الإعمال وعند
البصريين البصريين الثاني هو أولى بالإعمال وعند
الفرّاء كلاهما يعملان معاً. عند النحاة كلاهما جائز

لكن هناك مرجحات وكل واحد يحتج فالأول يقول الأول هو أولى باعتبار سابق والبصريين يقولون الثاني لأنه أقرب ولو كان الأول لكان هناك فاصل بين العامل والمعمول ولو كان كذلك لقال ربنا آتوني أفرغه عليه قطراً لأنه إذا أعملنا الأول يجب أن نضمر في الثاني وفيها كلام طويل لكنهما متفقان على أنه يجوز. في المعنى هو يعمل للاثنين لكن في الإعراب عند الكوفيين الأول هو الأولى وعند البصريين الثاني هو الأولى وعند الفراء يقول سيان. أكثر من عامل يشترك في معمول واحد وبدل أن يكرر جملة المعمولات *تسبحون ويحمدون وتكبرون الله ثلاثاً وثلاثين بدل أن يقول تسبحون الله وتحمجون الله وتكبرون الله فيجمعها كلها ويأتي بمعمول واحد لها يصلح لها جميعاً.، *وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا *٧* الجن* خارج القرآن يقال أنهم ظنوا أن لا يبعث الله أحداً كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً.

آية *٨* - *٩* :

*وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا *٨* وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا *٩ *

* ما معنى لمسنا السماء؟

إلتمس معناها طلب، ألتمس كذا ولمس أيضاً معناها طلب في اللغة . لمس هو الفعل الثلاثي والتمس هو مزيد زيادة في الطلب مثل جهد واجتهد. لمسنا السماء أي طلبنا واستماع كلام أهلها وليس المعنى الحسي للمس. لمسنا يعني طلبنا وأردنا ذاك المزيد وهذا المجرّد، لمسنا السماء

أي طلبنا الاستماع لما فيها، هم في واقع الأمر لم يصلوا إلى السماء هو قال *فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا *٩ * يعني هم كانوا يستمعون والآن مُنِعوا، إذن طلبنا السماء والاستماع إلى أهلها فوجدناها ملئت حرساً شديداً ملائكة مكلفين بحفظها ومملوءة بالحرس الشديد ومملوءة بالشهب، كانوا يستمعون *وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا *٩ * يجد له مخصصاً شهاباً رصداً لم يقل فمن يستمع الآن يجد شهاباً وإنما يجد له. رَصَد يعني معدّ له ليرجمه لأنه محتمل كلمة رصد تكون بمعنى اسم فاعل أي شهاب راصد يعني يرقبه ومحتمل بمعنى اسم المفعول. رصد يرصد رَصْداً، رَصَد بفتح الصاد *فَعَل* لها عدة دلالات بمعنى اسم المفعول مثل السلب بمعنى المسلوب أو الهَمَل بمعنى مهمل، همل من أوزان اسم المفعول، قنص ويقنص هذه من أوزان اسم المفعول. شهاباً رصداً أي معداً له أرصد له ليرجُمه ويحتمل أن يكون بمعنى اسم فاعل يعني راصداً له فيحرقه إذن المعنى من يروم استراق السمع يجد له شهاباً مرصداً له معداً له لا يتخطاه، يجد له يعني لن يفلت منه أحد.

* بعض آيات سورة الصافات تناولت نفس الموقف تحديداً لكنه قال فيها *إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ *١٠ * ما قال هذا الموقف في سورة الجن مع أن الموقفين متشابهين؟

لو نقرأ آيات الصافات تبين لنا *إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ *٦* وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ *٧* لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ *٨* دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ *٩* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ *١٠ * الفرق

هو ذكر في سورة الجن من الحراسة ما هو أشد، قال *مُلِئَتْ* ولم يقلها في الصافات ثم قال *مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا* وفي الصافات لم يذكر أن فيها حرساً وإنما قال *وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ *٧ * ليس فيها ذكر للحرس وفي الجن ذكر الحرس الشديد وذكر أنها ملئت بالشهب وفي الصافات قال *إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ *٦* وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ *٧ * لم يقل أنها ملئت بالشهب أو الحرس الشديد ثم ذكر أنه أُعِدّ لكل من أراد الاستماع تحديداً شهاباً ولم يقل ذلك في الصافات، يعني يتعذر في مثل هذا أن يصير خطفة وهناك لا يتعذر *إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ* وفي الجن لا يستطيع لأنه يجد له شهاباً. خطف يعني استمع خبراً فخطفه وهرب.

يجد له يجد له بالذات. يجد له هل توحي بأنه دُمِّر من قبل الشهاب؟

يتبعه يحرقه، في الجن منع أن يقترب لكن هناك خطف ونزل وأتبعه شهاب. في الصافات قال *وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ* هذا على العموم، في الجيش عندما يهاجم يقذف لكن ليس بالضرورة القذف يصيب كل جندي في المواجهة ، ترمى عليه السهام هكذا لكن ليس بالضرورة أن كل أفراد الجيش سيصابون. هنا المسألأة مختلفة ، هنا لا يكفي وإنما يجد له على سبيل الخصوص *فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا *٩ * .

* مداخلة مع د.أحمد الكبيسي :

في سورة الملك *وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ {٥} الملك* وفي سورة

الجن *وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا {٨} الجن* نص القرآن الكريم في سورة الملك على أنها السماء الدنيا التي ملئت حرساً شديداً يعني بالمعنى فإذاً لو كانوا رواد الفضاء قادرين على اجتياز السماء الدنيا فإنهم لن يتأثروا بوسوسة الشياطين لأن الشياطين أو الجن لن يجتازوا السماء الدنيا إلى السماء الثانية .

الإجابة : أحسنت، رب العالمين يقول *فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ {٣٣} الرحمن* الشياطين وسوسة وأوهام وإيحاءات باطلة هذا الذي طلع على القمر وطبعاً القمر ليس سماء القمر أرض لكن حتى لو وصل إلى السماء بالعلم هو
السلطان *فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ* أي سلطان العلم وليس سلطان الوساوس والشياطين وكلامك صحيح.

آية *١٠* :

*وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا *١٠ *

* بناء الفعل للمجهول مع *أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ* بأهل الأرض وبناؤه للمعلوم *أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا* لماذا اختلف البناء في الآية ؟

قال تعالى *وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا* هذا قول الجن عندما مُنِعوا من الاستماع *فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا *٩ * الآن هم يجهلون الأمر لا يعلمون أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً. أما بالنسبة إلى السؤال فنحن ذكرنا في أكثر من مناسبة أن هنالك في القرآن خط تعبيري واضح

أن ربنا سبحانه وتعالى لا يسند العيب لنفسه وإنما ينسب له الخير وذكرنا أمثلة كثيرة في القرآن فهنا لما ذكر الشر قال *أَشَرٌّ أُرِيدَ* ولما ذكر الخير والرشد نسبه وأسنده للرب سبحانه وتعالى *أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا* وذكرنا أمثلة في القرآن *وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا *٨٣* الإسراء* لم يقل مسسناه بالشر وإن كان الكل من عند الله سبحانه وتعالى لكن تأدباً *زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ *١٤* آل عمران* لم يقل زين لهم بينما يذكر *وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي
قُلُوبِكُمْ *٧* الحجرات*إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ *٦* الصافات* .

* لكن في حالة بناء الفعل للمجهول ماذا يكون الفاعل؟

الفعل المجهول له نائب فاعل وليس فاعلاً كتقدير للجملة *أشر أريد* نائب الفاعل الآن مستتر، الآن نائب الفاعل ضمير الشر *مستتر* أريد شراً بمن في الأرض، شر مبتدأ وأريد فعل مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود على الشر وعلى هذا الغرار قوله تعالى *الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ
يَهْدِينِ *٧٨* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ *٧٩* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ *٨٠* الشعراء* نسب المرض إلى نفسه وهذا كثير في القرآن الكريم كما في *آتيناهم الكتاب* و *أوتوا الكتاب* إذا قال *آتيناهم الكتاب* مدح وإذا قال *أوتوا الكتاب* ذمّ. وذكرنا أكثر من مرة قد يقول زينا لهم أعمالهم لكن لم يقل مطلقاً زينا لهم سوء أعمالهم وإنما يقول *زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ
أَعْمَالِهِمْ *٣٧* التوبة * .

* إذن لا بد أن يكون هناك تأدب مع الله سبحانه وتعالى ونحن نتحدث عن الله؟

نعم..

* الملاحظ في هذه الآية *أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا* قدّم إرادة الشر على إرادة الرشد فلماذا هذا النسق؟

جرى في السورة ذكر ما يفعله أهل الأرض من الشرور من الجن والإنس ذكر جملة من الشرور فاستحقوا التهديد وإنزال الشر بهم، تقدم الآية قوله تعالى *وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا *٤* وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا *٥ * لكن تبيّن أنهم يقولون الإنس والجن تقول على الله كذباً، *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *٦ * هذا من الشرور، *وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا *٧ * هذا إنكار للحشر فاستحقوا تقديم إرادة الشرّ.

* من خلال الآيات التي تفضلت بها الآن نلحظ لفظ الجلالة *الله* ولكن في هذه الآية *أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ
رَشَدًا* قال *ربهم* فما دلالة لفظ ربهم في الآية ؟

ذكرنا في أكثر من مناسبة أن الرب هو المربي والقيم على الأمر والرازق والهادي ورب الشخص عادة يريد له هدايته وصلاحه وخيره والشخص إذا أصابه سوء أو فزع فزع إلى مالك الأمر والقائم عليه إذن رب الجماعة يريد لهم الخير هذا من ناحية ناسب ذكر الربّ. لكن هنالك في الحقيقة أمر في القرآن الكريم لم يرد إسناد فعل إرادة

السوء أو الضر *أراد أو أريد* إلى الرب وإنما تسند
إلى الله، فعل الإرادة . مثلاً لم يرد *أراد ربهم أن
يهلكهم* مثلاً يقول *قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا
إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي
الأَرْضِ جَمِيعًا *١٧* المائدة * لم يقل ربهم، *وَإِذَا
أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ *١١* الرعد* لم يقل
الرب *قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ
بِكُمْ سُوءًا *١٧* الأحزاب*أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً* الله
تعالى ينسب إلى نفسه الرحمة والرشد وينسب إن
أراد السوء والضر إن أراد. لكن فعل الإرادة بالذات
لا يأتي إلا مع الله لا يأتي مع الرب وإذا أتى يأتي
في السوء والضر. *

قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا *١١* الفتح*قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ
رَحْمَتِهِ *٣٨* الزمر* إذا ذُكِر الرب لا يسند إليه إلا
إرادة الخير والرشد *فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا
وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ *٨٢* الكهف*أَمْ
أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا *١٠* الجن* يعني يسند
احتمال إرادة العقوبات والسوء إلى الله كما أسند
إليه إرادة الخير والرشد لكن ذكر الرب لا يسند
إليه إلا إرادة الخير أقصد في فعل الإرادة
خصوصاً أما في غير أفعال الإرادة قد يذكر الرب
في عموم المقامات مع التفضل والعقوبات *إِنَّ
بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ *١٢* البروج*وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ *٨٢* مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ *٨٣* هود*أَلَمْ تَرَ كَيْفَ
فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ *٦* الفجر* أقصد قعل الإرادة فقط
هذا الكلام على هذا وهذا من خصوصيات

الاستعمال القرآني، رب الإنسان يعاقبه لكن فعل الإرادة ماذا يريد؟ في القرآن لم يرد فعل الإرادة مع الرب إلا في الخير وهذا معناه أن الله تعالى لا يريد لنا إلا الخير. يأتي في العقوبات لكن فعل الإرادة بالذات يأتي بالخير أما مع *الله* يأتي كل شيء.

آية *١١* :

*وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا *١١ *

* ما معنى طرائق قددا؟

القدد يعني الجماعات المتفرقة وهو جمع *قِدّة * قدّ يَقُدّ يعني قطع، طرائق مختلفة متقطعة ومذاهب، يعني طرائق *جمع طريقة * في الاعتقاد، وأنا منا الصالحين وغير الصالحين، غير الصالحين ذكرنا في أوائل الكلام عن السورة أنها لا تقابل الشيء بمقابله وإنما بما يتضمنه، ذكر مع القاسطين المسلمين لم يذكر الذين يعدلون وهنا الصالحون ولم يذكر المفسدون وإنما قال ومنا دون ذلك أي ما يتضمنهم. *ومنا دون ذلك* دون يعني أقل، يعني منا دونهم في الصلاح إلى أن يصل إلى الكفر. الدلالة *ومنا دون ذلك* لا توحي بأنهم كفار وإنما هم في تدرج في الصلاح. كيف عرفنا الكفار؟ لما قال *كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا* أي متقطعة غير ملتقية هذا يمضي إلى الكفر.

* ألا تُفهم *وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ* بأنهم طرائق قددا؟

ليس بالضرورة ، الآن في مجتمعنا في المسلمين فيهم صالحين وفيهم طالحين، يشرب الخمر

ويقولو إن شاء الله أتوب يفعل الموبقات وهو على ذمة المسلمين يقول الشهادتين، هذا دون أولئك في الصلاح، كلاهما في طريقة واحدة طريقة الإسلام ليسوا قدداً، القدد تنتهي إلى طرائق غير ملتقية ليسوا قددا ما زالوا على ملة الإسلام لكنهم مختلفين في الصلاح. إذن *قددا* وضحت أنهم طرق مختلفة غير ملتقية متقطعة . الصلاح تدرج إلى الكفر الطرق المتقطعة غير الملتقية . قد يقال كنا طرائق متقطعة لكن التقطع قد يوحي بالتواصل ربما لكن *قدداً* بمعنى أنهم لن يتواصلوا أبداً، هم يتكلمون عن أنفسهم.

آية *١٢* :

*وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا *١٢ *

فكرة عامة عن الآية : يعني نحن أيقنا أننا لن نعجر الله على أية حال لا نفوته إذا طلبنا سواء كنا في الأرض أم هربنا إلى السماء. نعجز الله يعني لا نفوته لا يعجز عن الإتيان بنا إذا أراد، إذا هربنا أينما ذهبنا يأتي بنا الله تعالى . وجاء بـ *لن* الدالة على توكيد النفي في الاستقبال يعني ليدل على أنهم لن يعجزوه في المستقبل أيضاً لا الآن ولا في المستقبل في الدنيا مهما جدّت من وسائل للهرب يستعين بها من يستعين بها للهرب يخرج من الأرض إلى جو آخر.

* قال في الآية *وَأَنَّا ظَنَنَّا* معنى الظن هنا لا يرتقي إلى درجة اليقين؟

الظنّ في اللغة يتدرج، يتدرج من أدنى شك يعتري الإنسان هكذا من دون دليل *مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ

اتِّبَاعَ الظَّنِّ *١٥٧* النساء* يعتريه أظن هكذا أو أظن هكذا ثم يقوى الظن بأمارات أنا أظن هو الذي فعل كذا هنالك ظن هكذا يعتري الذهن اعتراء بدون دليل هذا فيه نسبة شك ثم يقوى هذا الظن عنده أمارات تدل على قوة الظن حتى يصل إلى العلم. أيقنا ترتقي إلى درجة العلم، نذكر مثلاً في القرآن الكريم *فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ *١٩* إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ *٢٠* الحاقة* هل كان شاكّاً؟ لا. *قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ *٢٤٩* البقرة* يظنون يعني موقنون بلقاء الله تعالى. الظنّ درجات هو هكذا يعتري من دون أي دليل يظن ثم يقوى بحسب الأدلة إلى أن يصل إلى اليقين لكن أهل اللغة يقولون إن الظن هو علم ما لم يُبصر ما يقول ظننت الحائط مبنياً الأشياء التي تُرى وتُبصر لا يقال ظنّ، الظن علم ما لم يُبصر أنت توقن لكن ليست الأشياء المبصرة لا تقول أظن أن الحائط مبنياً وهو أمامك لا يصح هذا التركيب لكن تقول أظن أن وراء الحائط فلان، هذا أمر آخر يجوز فيه الظن لكن شيء تبصره وتقول أظنه هذا لا يصح ولذلك هم قالوا الظن درجات حتى يصل إلى اليقين.

* على هذا المنوال مثلاً *حَتَّى َ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ *٢٤* يونس*؟

هكذا في زعمهم وفي تقديرهم *فقلت ظنوا بألفي مدجج* هذا استعمال لغوي قديم هو يرتقي الظن حتى يصل إلى اليقين وهنا *وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ *١٢* الجن* هذا إيقان أنه لا الآن

ولا المستقبل مهما جدّت من وسائل للهرب فلن نعجزه أيضاً.

* وبالتالي نفس الفعل ظنّ مضمر في قوله *وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا* فيها ظن أيضاً؟

نعم هي معطوفة على *لن* الأولى وكلها داخلة في *أن* المصدرية.

* ما الفرق بين الفرار والهروب في قوله تعالى *لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا *١٨* الكهف* و *وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا *١٢* الجنّ*؟

الهرب فيها نوع من الذعر حتى في المعجمات "أهرب جده في الذهاب من العورة" فيها ذعر. ويبدو أن هذا الكلام فيه صحة لأن مقلوبها الرهبة والرهبة من الخوف وقسم من النحاة وابن جني صاحب الاشتقاق الأكبر يجد خيطاً في تقليبات الكلمة والخليل في كتابه العين صنع نفس الأمر *وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ *٣٢* القصص*لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ *١٥٤* الأعراف* فمن تقليباتها الرهبة والخوف لذلك قسم من اللغويين ذهب أن الهرب قد يكون فيه ذعر. الفرار هو حركة وهذا أصل اللغة ومنه رفيف جناح الطائر فيه حركة. فيبدو أن الهرب فيه ذعر في أصله والفرار ليس بالضرورة *يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ *٣٤* عبس* ليس بالضرورة فيه ذعر والفرار فيه حركة وأصل الكلام والتعبير اللغوي أن الهرب فيه ذعر والفرار يحتمل لكن ليس بالضرورة والسياق يحدد. القرآن الكريم استخدم هرب. أبق تقال أبق العبد لسيده تحديداً *إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ

الْمَشْحُونِ *١٤٠* الصافات*.

آية *١٣* :

*وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا *١٣ *

* ما معنى البخس والرهق؟

البخس نقص الشيء على سبيل الظلم تبخس حقه تعطيه أقل من حقه تكون ظلمته مثلاً بضاعة تساوي ألف تقول له بمائة مستغلاً سلطانك أو نفوذك إذن البخس نقص الشيء على سبيل الظلم تقول بخسه حقه إذا نقصه.

* إذن اللغة عندها دقائق في التعبير ليس مجرد نقص الشيء فقط يعني البخس ليس مجرد نقص الشيء؟

لا وإنما على سبيل الظلم وفي القرآن *وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ *٢٠* يوسف* يعني ليست قيمته الحقيقية.

الرهق الظلم والذلة والقهر وذكرنا سابقاً أنه غشيان المحارم والذِلّة، أرهقه الأمر أي أذله، أُرهقه الأمر أي غشيه بقهر قهره وأتعبه. رهق مقلوب قهر إبن جني وقبله ذكروا أن أن حروف الكلمة في عموم تقليباتها هنالك خيط يجمعها في المعنى، هذا يسمى الاشتقاق الأكبر عند إبن جني. الفرق بين عمل الخليل ابن أحمد الفراهيدي وأبن جني أن الخليل ذكر التقليبات ولكن لم يذكر الخيط الرابط بين هذه التقليبات في المعنى بينما إبن جني ذكر هذا وقال التقليبات هذه في الغالب يجمعها خيط معنوي، الكلمة إذا قلبتها وذكر لنا قول ولوق ولقو

وذكر أمثلة قال تقريبات الكلمات يجمعها خيط في المعاني بينما الخليل لم يذكر هذا وإنما ذكر تقليبات الكلمة ومعانيها كإحصائية. إذن الرهق القهر والذلة والبخس نقص الأشياء على سبيل الظلم.

* لماذا جاء بالفاء في قوله *فَلَا يَخَافُ بَخْسًا* وهو ليس من مواطن وجوب الاقتران بالفاء؟

لو حذف الفاء سيقول *لا يخف* مثل *لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا *١٤* الحجرات* كان ممكناً أن يقول فلا يليتكم لو جاء بالفاء. هو الآن جاء بالفاء في موطن ليست من مواطن وجوب الفاء الفاء جائزة هنا وليست واجبة حتى الفعل المضارع العادي يمكن أن نأتي بالفاء ويمكن أن نحذف الفاء.

* حتى نوضح للمشاهدين أن هذه جملة شرطية وجواب الشرط يكون واجب الاقتران بالفاء.

في مواطن إما يمتنع من الاقتران بالفاء أو واجب أو جائز هذا من مواطن الجواز. جواب الشرط عندنا هنا *فَلَا يَخَافُ بَخْسًا* من مواطن الجواز. يبقى السؤال لماذا؟ هو طبعاً مجيء الفاء آكد لأن الجملة ستصبح اسمية لأنه لما نقول فلا يخاف هذا على تقدير مبتدأ محذوف تقديره *فهو*فهو لا يخاف* هذا الآن *فلا يخاف* هذه جملة اسمية الفاء داخلة على مبتدأ محذوف فهو لا يخاف فالجملة الاسمية أقوى وآكد من الفعلية فإذن هنالك توكيد أن المؤمن ناج لا محالة لا يخاف بخساً ولا رهقاً *فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا* هذه أقوى وآكد من لا يخاف لأن الجملة

ستكون اسمية في التقدير *فهو لا يخاف* فستكون أقوى فإذن كما يقول أهل اللغة والنحاة على تحقيق أن المؤمن ناجٍ لا محالة بأعلى الدرجات *فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا* فهي آكد من لا يخف فجاء بالفاء.

* إذن القرآن كان وما زال يكلم أناساً لا بد أن يفهموا اللغة العربية ؟

بلسان عربي مبين.

* لا ينبغي علينا أن نتدنى أو نتسفل في الحوار حينما نتحدث عن القرآن باعتبار أننا نبسط هذه الكلمات للناس ونتحدث عنه باللهجات العامية وكل يتحدث بلغته الخاصة ؟

هو حسب الغرض وحسب المستمعين، هناك أناس لا يفهمون الأشياء هذه أو لا يعلمونها فتريد أن تفهم الأمور الأساسية فتبسطها على ما يفهم لكن إذا أردت أن تبين البلاغة ووجوه الإعجاز لا بد أن يكون لديك علم.

* في سورة طه *وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا *١١٢ * ما أوجه الاختلاف بين هذه الآية وآية سورة الجن؟

نجن ذكرنا البخس أنه نقص الشيء على سبيل الظلم، الظلم أعمّ من البخس، البخس جزء من الظلم أنت تعاقب واحد من غير حق أو تغتصب كل مال واحد من غير حق أو العدوان عليه أن تعتدي عليه بالضرب أو غريه فالأمر ليس بخساً وإنما هذا ظلم، منع الحقوق ليس فيه بخس وإنما منعته الحق كله أساساً فالظلم أ'م من البخس. لو قتل أحدهم بغير حق لا نسميه بخساً هذا ظلم. لو

نصح أحدهم حاكماً بالحسنى فهدم الحاكم عليه داره وشرد أهله وهجرهم هذا لا يسمى بخساً وإنما ظلم، إذن الظلم عام. الهضم هو الظلم والغصب وقيل هو نقص الحسنات هذا من معانيه وهذا في الاصطلاح. الرهق ذكرناه أنه الذلة والقهر إذن الظلم أعم البخس هو جزء من الظلم. قال في طه *وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ* إذن ذكر في طه من هو أفضل، في طه ذكر أمرين *وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ* هناك لم يذكر العمل وإنما قال *فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ* لم يذكر العمل بينما في طه ذكر العمل هذا أفضل ثم قال *وَهُوَ مُؤْمِنٌ* هذه جملة اسمية بينما في الجن قال *فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ* جملة فعلية . الفرق بين الجملة الاسمية والفعلية في التعبير الدلالي أن الاسم يدل على الثبوت فرق بين أن تقول هو يتعلم وهو متعلم، هو متعلم أقوى ، هو يتفقه وهو فقيه، هو فقيه أقوى ، إذن الجملة الاسمية أقوى وآكد في التعبير وهذا من أوائل ما يُدرس لمتعلم اللغة العربية المتخصص أن الاسم يدل على التحقق والثبوت والفعل يدل على التجدد والحدوث.

* إذن *فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ* لا ترتقي إلى درجة الثبات أو الإيمان القاطع بالله سبحانه وتعالى على غرار *وَهُوَ مُؤْمِنٌ* .

إذن ذكر في طه من هو أفضل إذن يدفع عنه ما هو أعمّ فذكر الظلم.

الهضم: ذكرنا من جملة معاني الهضم نقص الحسنات، الذي يعمل الصالحات يبتغي الحسنات أما هناك فلم يذكر العمل فلماذا يذكر الهضم؟ إذا لم يذكر العمل لا داعي لذكر الهضم. ثم إن كل آية

مناسبة لما ورد قبلها ففي سورة طه قال قبلها
*وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا *١١١* طه* هذا يناسب الظلم. في سورة
الجن أيضاً قال *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ
يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *٦ * فهي
أيضاً مناسبة للسياق العام.

آية *١٤* - *١٥* :

*وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ
فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا *١٤*وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا
لِجَهَنَّمَ حَطَبًا *١٥ *

* ما معنى القاسطون؟

القاسط هو الجائر الظالم والقَسط بفتح القاف هو
الجور والظلم بعكس القِسط بكسر القاف هو
العدل. هناك قاسطون ومقسطون *إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ *٤٢* المائدة * أي العادلون والقاسطون
أي الجائرون. الهمزة هي همزة السلب، قَسَط
بمعنى جار وظلم وأقسط أزال القسط وأزال الظلم
مثل جار وأجار، جار ظلم وأجار رفع الظلم عنه،
صرخ وأصرخ صرخ يعني صنع فعل الصراخ
وأصرخ أزال الصراخ *مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ
بِمُصْرِخِيَّ *٢٢* إبراهيم* لا تستطيعون أن تعينوني
وتزيلون صراخي ولا أنا أزيل صراخكم. إذن
القاسطون الجائرون.

* ما دلالة اختيار القاسطون بمقابل المسلمون بدل
الكافرون مثلاً؟

هذا لأكثر من سبب أولاً فيها بيان عظم جرم
القاسط تحذير وتهديد للقاسط فجعلها بمقابل
المسلم كأن القاسط ليس مسلماً يعني فيها تحذير

كبير. إضافة إلى أنه كما ذكرنا في أكثر من مناسبة أنه في هذه السورة لا يقابل الشيء بمقابله وإنما بما يتضمنه، هنا جاء بالمقسطين بمقابل المسلمون ولم يقل الكافرون لأن الكافر يتضمن القاسط الذي هو الجائر والقاسط يتضمن الكافر لأن القاسط هو قسم كافر وقسم غير كافر فإذن القاسط هو يتضمن ما يقابل المسلم *يتضمن الكافر وزيادة * لأن هنالك قاسطين ليسوا كافرين. مثل قوله تعالى *قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا *٢١* الجن* الرشد ليس مقابل الضر لم يقل النفع مقابل الضر لأن الرشد أعم من النفع وذكرنا أمثلة كثيرة في السورة وهكذا في سورة الجن أنه لا يقابل الشيء بنقيضه وإنما بما يتضمنه.

* إذا كان القاسط مسلم ربما تنتفي عنه صفة الإسلام؟

بحسب درجة القسط لكن القاسطون كانوا لجهنم حطباً في كل الأحوال بحسب عظم هذه الصفة فيهم بحسب درجة الصفة فيهم لكن القاسط لا ينجو من العقاب.

وأيضاً إضافة إلى أن السورة وما ذُكِر فيها من معاصي وأوصاف هي أكثر ما تردد فيها من باب المظالم، قال مثلاً *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *٦ * هذا ظلم لأن المنتظر أن يكون جزاء الاستعاذة العون لا الزيادة في الرهق، أنت تستعين بواحد فالمفروض أ، يعينك لكن هؤلاء زادوهم رهقاً إذن هذا ظلم، *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا *١٩ * هذا ظلم للرسول اجتمعوا عليه بسبب عبادته لله حتى هو ما قال يدعوهم

أصلاً وإنما قال في السورة *يدعوه* ولم يقل يدعوهم، هو - صلى الله عليه وسلم - لم يتعرض لهم ولم يدعوهم إنما عبد الله يدعو الله فلماذا اجتمعوا عليه؟ لو قال يدعوهم لأمكن أن يتعرضوا له إذن هذا ظلم. *وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا *٤ * هذا اعتداء في القول أنت لو قلت على أحد شططاً يكون هذا ظلم فما بالك بمن يقول على الله شططاً؟ هذا مبالغة في الظلم. *وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا *٥ * لو كذبت على أحد هذا ظلم فماذا لو كذبت على الله؟! هذا ظلم أشد. حتى هذه الآية مناسبة لما قبلها قال *فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا *١٣ * فالبخس ظلم والرهق ظلم. إذن كلمة القاسطون هي أنسب كلمة مع الآية ومع ما قبلها ما تردد فيها من المعاصي يعني اختيار القاسطون أولاً بيّن عظم جرم القاسطون ثم السورة مبنية على أجزاء المقابلة ثم الأوصاف التي ذكرت في السورة السمة العامة في معاصيها تتناسب مع القاسطون، الآية التي قبلها *فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا *١٣ * إذن الآية تتناسب مع الآية التي قبلها ومع النسق العام للسورة يعني عموم السورة في اختيار الشيء وعدم اختيار ما يقابله تحديداً وإنما ما يتضمنه.

فإذن اختيار القاسطون هو المناسب من كل جهة وهو تحذير عظيم للقاسطين بأنهم سيكونوا حطب لجهنم، هذا مصيرهم. هو بنى العذاب والجزاء على صفة القسط لا على صفة الكفر، هو بنى الجزاء والعذاب على صفة القسط والجور وليس على صفة الكفر وهذا تحذير عظيم للظالِم.

* نقول ما تفضلت به الآن من حسن اختيار كلمة

القاسطون واللمسة البيانية التي فيها لو جاءت كلمة الكافرون ربما كنتم تلتمسون سبباً لمجيئها وتبرروها؟

نحن تعلمنا أن ننظر في السياق والسمت العام للسورة أو السمت العام للسياق. لو كانت جملة هكذا تصح أن نقابل المسلم بالكافر أما وضعها في سياقها يختلف. لما نذكر أن السورة مبنية على صفات المظالم لم يذكر إلا صفات المظالم فمن الأنسب اختيار صفة القاسطون أو صفة الظلم.

* إذن النظر إلى المُفردة أو اللفظة داخل آي القرآن الكريم مع التي قبلها والتي بعدها والآية مع الآيات التي قبلها والتي بعدها ومع النسق العام للسورة والمنظومة داخل القرآن كله؟

هذا التفت إليه القدامى وذكروا في السياق وقالوا هو من أهم القرائن وبحثوا فيها وأطالوا فيه وكلمة السياق ليست حديثة مبتدعة وإنما هي قديمة ذكروها في علوم القرآن. أعرابي ينتبه إلى السياق عندما قرأ القارئ *وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ *٣٨* المائدة * ختمها بقوله والله غفور رحيم فاعترض على السياق وقال لا تستقيم وسياق الآية وقال أراها *وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم ما قطع، هو اعترض على السياق. نحن لاحظنا في القدامى لما كان يتنافر الشعراء في الجاهلية يقول أحدهم أنت تقول الشعر وابن عمه وأنا أقول الشعر وأخاه، البيت وأخاه بمعنى يعني أنت تقول البيت وابن عمه يعني بعيداً عنه في المعنى وليس مناسباً له وأنا أقول البيت وأخاه أي أقرب إليه في المعنى ، هذا

السياق.

* إذن يكون ربما من الإعجاز في القرآن فكرة النظم المفردات مع بعضها البعض والآيات مع بعضها البعض؟

طبعاً ولذلك القرآن لم يجعل الإعجاز في آية وإنما جعله في سورة ، القرآن لما تحداهم لم يتحداهم بآية لأن الآية قد تكون بكلمة أو كلمتين مثل *مدهامتان*يس* وإنما تحداهم بسورة ، فقالوا بما يقابل السورة لو كان عندنا أي تعبير بمقدار أقصر سورة سيكون معجزاً لأنه أصبح فيه سياق وارتباط حتى *إنا أعطيناك الكوثر* فيها سياق *إنا وأعطيناك وليس آتيناك ولربك وليس لنا* .

* ما هي اللمسات البيانية في قوله تعالى *فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا* ؟

أولاً اختار صفة تحري الرشد بمعنى بحثوا وطلبوا وابتغوا واختيار الرشد مناسب لما تردد في السورة من ذكر الرشد وهي أكثر سورة تردد فيها الرشد *يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ *٢ * *قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا *٢١ * . إذن اختيار تحري الرشد هذا مناسب لما ورد في السورة لكن هنالك أمر هو ذكر عذاب القاسطين لكن لم يذكر جزاء المسلمين قال *وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا *١٥ * وقال عن المسلمين *فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا *١٤ * ولم يذكر الجزاء، تحري الرشد هذا طلب الرشد لكن ماذا سيجزيه ربه؟ في القاسطون ذكر العذاب الصريح أما مع المسلمين لم يذكر الجزاء، أولاً لأنه مناسب لما تردد في السورة من ذكر العذاب، ذكر العذاب أكثر من مرة ولم يذكر

جزاء المسلمين في كل السورة لكن ذكر العذاب في أكثر من مناسبة . قال *فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا *١٥ * *وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا *١٧ * *وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا *٢٣ * كلها عذاب ولم يذكر في كل السورة جزاء، جو السورة كلها ليس فيها ذكر جزاء وإنما ذكر عذاب العصاة . إذن عدم ذكر جزاء المسلمين هنا مناسب لجو السورة في عدم ذكر الجزاء في السورة كلها وذكر جزاء القاسطين مناسب لجو السورة في ذكر العذاب في أكثر من موضع. فإذن هذه مناسبة وتناظر لطيف في التعبير.

* لماذا تتفرد سورة الجن بهذه السمات؟

لا أعلم لماذا تتفرد ولكن هذه المسألة تحتاج إلى نظر لكننا الآن نصف ما هو موجود.

* ما بُحِثَ هذا السؤال قديماً لِمَ هذه السمات التعبيرية لكل سورة في القرآن الكريم؟ سورة الجن لها مقابلات من نوع خاص وتراكيب خاصة ومصطلحات خاصة ؟ لماذا هذا الجو العام في سورة الجن تحديداً؟

هذه تحتاج لدراسة ، والقدامى بحثوا تناسب الآيات كلها جميع الآيات في كل القرآن. من المؤلفات الموجودة في تناسب الآيات والسور كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور وكذلك مشهورة في كثير من كتب التفسير مثل البحر المحيط فيه ذكر لهذه المسألة وروح المعاني كذلك.

* ما الفرق بين الرُشد *لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ *٢٥٦* البقرة * والرَشَد *فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا *١٤* الجن* والرشاد *وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ *٢٩* غافر*؟

الرُشد يقال في الأمور الدنيوية والأُخروية أما الرَشَد ففي الأمور الآخروية فقط، هكذا قرر علماء اللغة . *فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا *٦* النساء* في الدنيا، *لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ *٢٥٦* البقرة *، *وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا *٢٤* الكهف* الرُشد في الأمور الدنيوية والأخروية أما الرَشد ففي الأمور الأخروية لا غير فالرُشد أعمّ ويشمل. الرشاد هو سبيل القصد والصلاح *وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ *٢٩* غافر* أي سبيل الصلاح عموماً، طريق الصواب. الرشاد مصدر. المادة اللغوية واحدة لهذه الكلمات وهي كلها الرُشد والرَشد والرشاد كلها مصادر. رشِد ورَشَد.

آية *١٦* :

*وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا *١٦* لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا *١٧ *

فكرة عامة عن الآية : معناها لو أنهم استقاموا على الهدى . هل هذا كلام الجن أو من كلام رب العالمين مما أوحاه إليه؟ قال *لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا *١٦* لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ* فهذا مما أوحي إليه *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ *١ * انتهى كلام الجن وهذا كلام ربنا مما قد أوحى إليه. يعني لو أنهم استقاموا على الهدى *هذه عامة للجميع* الطريقة هي الهدى ، لو استقاموا لوسع عليهم الرزق والماء الغدق يعني الكثير وهذا مناسب للسورة التي قبلها *فَقُلْتُ

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا *١٠* يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا *١١* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا *١٢* نوح* هذه مناسبة لما قبلها. *لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ* أي لنختبرهم، الفتنة هي الاختبار في الأصل، لنختبرهم كيف يصنعون مقابل هذا الغدق؟ يطيعون أو يعصون؟ هذا الرزق يطغيهم أو ماذا سيفعلون به؟ ليس كل رزق رضى من الله تعالى وقد يكون اختبار وفتنة . *لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ* أي لنختبرهم ماذا سيفعل هؤلاء الخلق بما أعطاهم ربهم من النعم هل يشكرونه أو يطغون؟ حتى لما قال ربنا *وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم *٦٦* المائدة * هذا نفس المعنى يعني لو أنهم استقاموا على الطريقة ونفذوا شرع الله لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، *وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ *٩٦* الأعراف* هي بنفس المعنى أيضاً، آمنوا واتقول يعني استقاموا على الطريقة فإذن المعنى ظاهر أنهم لو استقاموا على الهدى لوسّع عليهم ربنا وأعطاهم الكثير من الخيرات.

* ما الفرق بين الآيتين *وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ *٦٦* المائدة * و *وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا *١٦* الجن* لماذا لم يقل ولو أنهم استقاموا على الطريقة ؟ لماذا حذف ضمير الشأن؟

لم يقل ولو أنهم استقاموا أو وأنهم لو استقاموا وإنما قال *وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا* لو قال ولو أنهم استقاموا لربما أفهم أن ذلك مختص بهم دون غيرهم *لو أنهم* لكن الكلام عام ليس مختصاً بهم

لكن لكل من يستقيم على الطريقة ، لما قال *وألو استقاموا* هذا حكم عام ولو قال *ولو أنهم استقاموا* هذا مختص بهم المخاطبين الإخبار عنهم، أما في قوله *وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ *٦٦* المائدة * هذا مختص باليهود والنصارى ما علاقة الآخريم بالتوراة والإنجيل؟.

* ما الفرق بين *أن* في الآية *وألو استقاموا* وبين *ولو أنهم* بالضمير هم؟

أن هل ذكر ضمير؟ لا، هنا ضمير الشأن محذوف يعود على الشأن وليس على المخاطبين، *وألو استقاموا* هذا حكم عام لم يخصصه بهم بينما *وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ *٦٦* المائدة * هذا خاص بهؤلاء ثم هذا نسخ التوراة والإنجيل فالحكم كيف يأتي فيما بعد؟ إذن كل واحدة هي في مكانها.

* ما حكم التقديم والتأخير *وأنهم لو استقاموا أو لو أنهم استقاموا* ؟

الحكم سيكون واحداً لم يقل أنهم حتى لا يخصص فئة معينة ، هذا حكم عام لجميع الدنيا على مر الزمان من يستقم على الطريقة يسقى ماء غدقاً من قبل زمن نوح إلى قيام الساعة ، هذا حكم عام بينما الآية الثانية حكم خاص.

* ما دلالة كلمة الطريقة *وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا *١٦* الجنّ* ؟

د.حسام النعيمي

الطريقة هنا طريقة الهدى وملّة الإسلام قطعاً. وكأن السائلة تشير إلى بعض المتصوفة مثلاً

يسقون الناس شيئاً يسمونه الطريقة يقولون أنا أعطيك طريقة شاذلية ، طريقة رفاعية ، طريقة قادرية وليس هذا هو المقصود وإنما المقصود طريقة الإسلام أو مِلّة الإسلام.

آية *١٧* :

*وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا *١٧ *

*وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ *١٧* الجن* مرة يذكر الاعراض عن ذكر الله ومرة يذكر الاعراض عن الآيات *وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا *٥٧* الكهف* فهل هنالك فرق بين الإعراضين؟

الذكر في الغالب *وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ *١٧* الجن* يعني عن عبادته أو عن وحيه لكن الذِكر هو عام، *عَن ذِكْرِ رَبِّهِ* عن الوحي ولاحظنا أنه يذكر أحياناً *وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا *١٢٤* طه* وأحياناً يذكر الآيات لكن من الملاحظ أنه لما يذكر الإعراض عن الذكر تكون العقوبة أشد، *وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي* الذكر بمعنى الوحي، عن ذكري أي عن وحيي. الآيات ليست هي القرآن كله لو هنالك ثلاث آيات هي جمع لما يقول *وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا *٥٧* الكهف* لا يشمل كل القرآن فالذكر أعمّ من الآيات *ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ *١* ص* و *وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ *٤٤* الزخرف* الذكر أعم والآيات جزء من الذكر. الذكر له معاني لكن *وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي *١٢٤* طه* يعني إما عن العبادة أو عن الوحي الذي جاء به الرسول والآيات قد تكون قسم من الذِكر والذي لاحظناه أنه لما يتكلم

عن الإعراض عن الذِكر تكون العقوبة أشد يعني قال في الإعراض عن الآيات *وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا *٥٧* الكهف* ما عقوبة هؤلاء؟ لم يذكر العقوبة ، *وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ *٢٢* السجدة * ما نوع هذا الإنتقام؟ لم يذكر.

لكن قال *كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا *٩٩* مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا *١٠٠* خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا *١٠١* يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا *١٠٢* طه* هنا فصل في العذاب، *وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *١٢٤* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا *١٢٥* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى *١٢٦* طه* هذا تفصيل العذاب، *وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا *١٧* الجن* ولم يقل في الآيات مثل هذا التهديد. إذن لما يذكر الإعراض عن الذكر يذكر العقوبة أشد وهذا منطقي لأن الذكر أعم والآيات جزء من الذكر.

* إذا قرن العذاب بالجزء ينطبق على الكل لكن لما يقرن العذاب بالكل فهل ينسحب على الجزء؟

هو ذكر ما يتعلق بالإشارة *وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي* هذا جزء من الذكر، الآيات جزء من الذكر فعندما يذكر الإعراض عن الذكر هل يجعله من

المناسب أن يذكره كالإعراض عن آية واحدة ؟ هل الإعراض عن الشريعة كلها كالإعراض عن جزئية من الشريعة ؟ لا، هل العقوبة واحدة ؟ لا، هل يصح أن تذكر العقوبة واحدة مع الإعراض عن الكل والإعراض عن الجزء؟ لا. لو فعل هذا لسألنا كيف يكون الإعراض عن الجزء كالإعراض عن الكل؟

* ما معنى صعدا؟

الصَعَد مصدر صعِد والقصد يتصعده العذاب يعني يعلوه ويغلبه فلا يطيقه. ووصف بالمصدر حتى يدل على المبالغة في غشيان العذاب له، لم يقل عذاباً متصعداً وإنما قال صعدا وصفه لأنه يغلبه يعلوه فيغلبه، إذن المصدر أقوى.
وقال *يسلكه* القرآن الكريم لم يستعمل الفعل سلك في الآخرة إلا في النار ولم يستعمله في دخول الجنة . سلك بمعنى دخل وأدخل لكن القرآن لم يستعمل سلك أو يسلك في دخول الجنة مطلقاً وإنما استعملها فقط في النار. هذه من خصوصيات الاستعمال القرآني لأن سلك يعني دخل *مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ *٤٢* المدثر* لم يستعمل سلك في دخول الجنة لكن ربما - والله أعلم - السلوك هو أيسر "حُفّت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات" فكأن الدخول إليها أيسر فاستعمل سلك التي هي أيسر، سلك فيها سهولة ويُسر *فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً *٦٩* النحل* أي مذللة . *يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا *١٧* الجن* يعني يدخل العذاب بما كان يصنعه لأنها حفت بالشهوات فارتكبها فيسّر الدخول لها، هذا والله أعلم.

آية *١٨* :

*وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا *١٨ *

فكرة عامة عن الآية الكريمة : *وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا *١٨ * نلاحظ قبل هذه الآية قال *وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا *١٧ * المناسبة بينهما مناسبة واضحة ظاهرة قبلها قال *وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ* والمساجد هي دور للذكر والعبادة قال تعالى *فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ *٣٦* رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ *٣٧* النور*وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا *٤٠* الحج* والصلاة يشيع فيها الذكر *وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي *١٤* طه*إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ *٤٥* العنكبوت* إذن المساجد هي دور للذكر والعبادة إذن مناسبتها *وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا* وذكر المساجد مناسبة ظاهرة هي دور للذكر والعبادة فإذن مناسبة ظاهرة .

* ولماذا لم يقل فلا تدعوا فيها مع أنه ذكر المساجد ؟

قال سبحانه *وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا* لو قال فيها لو قال فلا تدعوا فيها مع الله أحداً سيكون النهي عن ذلك في المساجد، مخصص بالمساجد بينما هو لا تدعوا مع الله أحداً في كل مكان على العموم ليس خاصاً بالمسجد وإنما في المسجد وفي غيره. لا تشركوا مع الله أحداً ولا تدعوا مع الله أحداً سواء كان ذلك في المسجد أو خارجه. لا تدعوا مع الله أحداً هنا

يعني الشرك في العبادة أي لا تعبدوا مع الله أحداً أو لا تشركوا معه أحداً هذا ليس خاصاً بالمسجد فلو قال *فيها* لكان خصصها بالمسجد بينما ليس المطلوب تخصيصها بالمسجد. ذكر الله وعبادته وعدم الإشراك ليس مخصصاً بالمسجد وإنما في المسجد وغيره.

* قد يتصور عقل القارئ أن *وأن المساجد لله* ما بعدها سيكون خاتمة للمساجد لله، أمر متعلق بالمساجد

داخلة فيه المساجد وغيرها. في غير هذه المسألة *وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ *١٧٠* الأعراف* ما قال أجرهم حتى لا يخصصهم لأن المصلحين أعم فدخل فيه هؤلاء ودخل فيه عموم المصلحين وغيرهم من المصلحين لو قال لا نضيع أجرهم سيكون مختصاً بهؤلاء فقط بينما تلك دخل فيها هؤلاء وغيرهم فلماذا التخصيص؟ التعميم سيكون أولى وهنا التعميم أولى لأن العامّ يدخل فيه هؤلاء ويدخل فيه غيرهم.

* من الذي يحدد أولوية التعميم أو التخصيص؟

عموم المعنى. لو قلنا لأي واحد أيها الأولى تعبد الله فقط في المسجد أو في المسجد وغيره؟ يقول في المسجد وغيره.

استطراد من المقدم: إذن هو منطق عام يجمع كل التصورات البشرية .

آية *١٩* :

*وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ

لِبَدًا *١٩ *

* ما مناسبة ارتباط الآية بما قبلها؟

هو قال *فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا* في الآية السابقة و *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ* إذن هو استجاب لله قام يدعوه، يدعوه هنا بمعنى يعبده، إذن لما قال *فلا تدعوا مع الله أحداً* تدعوا يعني تعبدوه فقط وهو قام يدعوه إذن تدل على أن الرسول استجاب فقام يدعوه، قام يعبده.

* إختيار عبد الله، من هو *عبد الله* لماذا قال عبد الله ولماذا لم يقل النبي أو الرسول مع أن القرآن استخدم النبي والرسول في مواطن أخرى ؟

هو قال *كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا* عبد الله هذه الكلمة ليس مما ينكره الكفار لا ينكر أحداً أن محمد عبد الله، لا ينكرون ذلك. لو قال الرسول أكيد ينكرونه وكذلك لو قال النبي. إذن هو عبد الله يدعو الله إذن لماذا ازدحموا عليهم ولآذوه؟ ما المبرر؟ هل آذاكم؟ هل تعرض لكم؟ هل تنطرون عليه شيء مما فعل؟ عبد الله يدعو الله إذن لماذا ازدحمتم عليه آذيتموه وكنتم عليه لبدا؟. هو يعجِّب من فعلهم لماذا ازدحمتم عليه، لم يقل الرسول هو عبد الله يعبد الله هل ينكره أحد؟ هل تنكرونه أنتم؟ إذن لماذا ازدحمتم عليه؟. ثم قال يدعوه ولم يقل يدعوهم إذن لم يتعرض لهم، لم يقل رسول لم يقل نبي لم يقل يدعوهم إذن لماذا تؤذونه؟. لبداً يعني مجتمعين مزدحمين تلبد بعضهم على بعض.

* لكن الآية القرآنية قالت *كادوا* قارب فعل الشيء ولم يفعله.

هم ازدحموا عليه لكن لم يتلبدوا عليه فعلاً هكذا وإنما اجتمعوا عليه.

* هنا نلمح مثلاً استخدام القرآن الكريم تخصيص الدلالة ببعض المفردات مثل تدعوا ويدعوه خصصها بمعنى العبادة فهل من معناني الدعاء في اللغة العربية العبادة ؟

الدعاء يأتي بمعنى العبادة لأن الآية *وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ *١٨٦* البقرة *وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ *٦٠* غافر* يأتي يدعوه بمعنى يعبده، دعا ربه يعني عبده. تأتي في اللغة العربية . سياق الآية ظاهر لكن هي في اللغة أيضاً يدعوه بمعنى يعبده.

ثم من ناحية أخرى لما قال ربنا تعالى *عبد الله* الإنسان لما يقول عن نفسه أنا عبد الله هذا تواضع والله تعالى لما يقولها عن عبد يكون تكريماً *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً *١* الاسراء*فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى *١٠* النجم*وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ *١٧* ص* هذا من الله تكريم ولذلك لاحظ يقولون لما قال *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً* لما ذكر كلمة عبد عرج به إلى السماوات العلى وإلى سدرة المنتهى ولما ذكر موسى باسمه قال *وَخَرَّ موسَى صَعِقًا *١٤٣* الأعراف* إذن وكأن مقام العبودية عند الله سبحانه وتعالى مقام عظيم.

* هذا كلام من *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا

يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا *١٩ * هل هو كلام الجن؟

هذا مما أوحي إليه.

* ما الفرق بين لِبداً ولُبداً ؟ *د.أحمد الكبيسي*

نتكلم عن قوله تعالى لُبدا ولِبدا *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ
لِبَدًا {١٩} الجن* بكسر اللام والثانية *لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ {٤} أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ {٥} يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا {٦} البلد* بضم اللام في الحقيقة هناك فرق بالفتحة والكسرة المعنى يختلف. تكديس الأموال بعضها على بعض من لبد يلبد فهو لبدا بضم اللام إذا كدست أموالك وأنفقت أموال كثيرة يقال أهلكت مالاً لبدا كان ملبداً وكثيراً والخ عندما يكون اجتماع الناس من لبد يلبِد نحن بلغتنا نقول إلبد يعني إجلس مع صاحبك. لِبداً اجتماع كثيرين من البشر من المخلوقات الحية ملائكة شياطين إنسان
المخلوقات الحية إذا اجتمعوا اجتماعاً كما في الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف وقد فعلوا به ما فعلوا وهو جريحٌ ومدمي والخ وصلى في وادي قبل مكة حينئذٍ الجن تكدسوا عليه بشكل غير معقول، لما صلى الصبح في وادي نخلة ووادي نخلة قبل مكة والنبي صلى الله عليه وسلم خاف أن يدخلها فقريش أقسموا أن يقتلوه حتى أجاره المطعِم وأولاده فصلى الصبح فتقاطر عليه الجن من كل مكان كما قال تعالى *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا* أي أنهم كانوا من الكثرة والزحام بحيث أوشكوا أن يقعوا عليه. هذا الفرق بين لُبدا ولِبدا بالكسرة .

آية *٢٠* :

*قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا *٢٠ *

فكرة عامة عن الآية الآية قبلها كانت استجابة . الآية الأولى قال *فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا *١٨ * فاستجاب عبد من عباده فقام يدعوه *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ *١٩ *

* ألا يوحي عبد الله هنا بأنه أي عبد؟ هل هناك تخصيص يخصص أنه نبي؟

هما أمران. العبودية في القرآن يستعملها على نوعين: العبودية العامة لمطلق العباد *وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ *٢٩* ق* العباد عامة والعبودية القهرية سواء شاء أم أبى هو عبد لله *إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا *٩٣* مريم*، والعبودية الاختيارية العبد يختار أن يعبد ربه، التكليف ويرضى ويستجيب للعبودية . إذن هنالك عبودية قسرية أو قهرية كلنا عباد الله سواء شئنا أو أبينا رضينا أو لم نرضى آمنا أو كفرنا هذه ليس فيها أجر وليس فيها فضل ولا منة كلنا عباد الله. والعبودية الاختيارية العبد يختار أن يكون عبداً لله يعبده برضاه وإقراره فبمقدار عبوديته لله تكون منزلته أعلى، بقمدار ما يطيع وبمقدار ما يعبد تكون منزلته. فبهذا المعنى سيكون تكريماً للعبد.

*قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا *٢٠ * هذا تبليغ يعلن عن نفسه، الأمر من الله تعالى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - . لاحظ التدرج المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً، هذا أمر، استجاب عبد من عباده قام يدعو، أصبحت مناسبة ظاهرة

وتدرج واضح. الآية السابقة تطبيق واستجابة وهذا تبليغ ودعوة ، إعلان بالقول.

آية *٢١* :

*قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا *٢١ *

* نلمح في الآية مقابلة الضر بالرشد وليس بالنفع والمتصور أن يكون الضر مقابل النفع؟

في أكثر من مناسبة قلنا في هذه السورة الشيء يقابل ما يتضمنه أو يتضمن جزءاً منه. الرَشَد هو جزء من النفع فهذا ذكرناه مثل القاسطين والمسلمين وما إلى ذلك. إذن *لا أملك* هذا سياق السورة هكذا وإن كان قسم من المفسرين يذهبون إلى أن الرشد هنا بمعنى النفع أو الضر بمعنى الغيّ قسم يذهبون هكذا، يطوع هذه مع تلك فيقول الرشد معناه النفع حتى يقابل الضر أو يقابل الرشد بالغي قسم هكذا يذهب وقسم يأخذها من باب الاحتباك في البلاغة يعني هو الآن ذكر الضر والرشد فالمقصود أنه لا أملك ضراً ولا نفعاً ولا رشداً ولا غياً فذكر من كل قسم من المتقابلين جانب، مقابل النفع الضر ذكر الضر يعني لا ضر ولا نفع، ذكر الرشد يعني لا رشد ولا غيّ، قسم يذهب إلى هذا فذكر من كل متقابلين واحداً ليدل المذكور على ما يقابله. الضر مقابله النفع والرشد مقابله الغيّ فيأتي بالأربع صفات هذا يسمى الاحتباك، يذكر جانب ويقصد فيه ما يقابله. أنا أميل إلى أن السورة لها طابع خاص في المقابلات. إضافة أن هنالك أمر، لو نظرنا في السورة نجد أن الضر والرشد هو السمة وليس النفع أو الغي.
لاحظ الضر: *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *٦ * هذا ضر، ذكر

البخس والرهق *فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا *١٣ * هذا ضر، ذكر القاسطين الظالمين هذا يضرون غيرهم، يجر الضر على غيره، *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا *١٩ * اجتمعوا عليه، *قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَد *٢٢ * يعني إذا خالفته، معناه إذا أراد أن يوقع بي عقاباً لا يبيرني من الله أحداً، *حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ *٢٤ * هذا تهديد، هذا يوقع ضر. والرشد أكثر سورة مذكور فيها الرشد.

فإذن الضر موجود في السورة كثيراً ومنتشراً بمظاهر كثيرة وكذلك الرَشد مذكور فاختيار الرشد والضر هو المناسب وليس النفع وليس الغيّ. الرَشد هو المتردد في السورة الرشد والرشد وجوانب الضر هي المذكورة فإذن اختيار الضر والرشد هو المناسب من ناحيتين سواء ذكر الشيء بما يقابله أو يتضمن جزءاً منه من ناحية ومن ناحية أن طابع السورة هكذا الضر والرشد وليس النفع والغيّ.

* لماذا قدم الضر على الرشد؟

أيها الأيسر تحقيقه بالنسبة للإنسان الضر الرشد أو الغي؟ الضر أيسر، هو لا يملك الأيسر وبالتالي لا يملك الأبعد، هذا أيسر بالنسبة له.

استطراد من المقدم: إذا تصوروا أن النبي سوف يضر بهم هو لا يملك ذلك وبالقطع أن النفع وإياهم بعيد فقدم القريب أنا لا أستطيع ضركم، كله عند ربي هو الذي يستطيع أما أنا فلا أملك لكم لا الأيسر ولا غيره.

* هل هنالك فرق بين الضَر والضُر؟

الضَر بالفتح مقابل النفع والضُر هو السوء من مرض أو شيء *أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ *٨٣* الأنبياء* مرض. الضَر عام مقابل النفع.

آية *٢٢* - *٢٣* :

*قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا *٢٢* إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا *٢٣ *

فكرة عامة عن الآية : أولاً نلاحظ أنه ذكر أمرين أول مرة . الكلام ما زال للنبي - صلى الله عليه وسلم - من الله تعالى للنبي بالتبليغ *قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً* ملتحداً يعني ملجأ. الواحد إذا هرب من واحد يحتاج إلى أمرين، عبد أبق من سيده إما أن يستجير بأحد يمنعه، يحميه فإذا لم يجد إما أن يهرب إلى مكان يلتجئ إليه ولا يوجد حل آخر إما أن يجيره أحد أو يلتجيء إلى مكان أو أحد وهنا نفى الأمرين. لن يجيرني أي لن يحميه أحد وهذا إقرار بالعقيدة ثم *وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا* ليس لي مكان، ملتحداً بمعنى ملجأ. يعني هو أحد أمرين إما أن يحفظه أحد فإن لم يجد يبحث عن مكان، هو هنا لا مكان ولا أحد. *وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا* أي من دون الله، إذن ليس هنالك أحد يحميه ولا مكان يلتجئ إليه وهذا لعموم العباد. فإذن لم يبق له إلا الله سبحانه وتعالى وهذا أبعد شيء كل أسباب الحماية والحفظ انتفت لا مكان ولا شخص.

* ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟ لماذا يبلغ النبي **?** هذه الإشارات إلى قموه؟ ماذا يريد أن يثبت لهم؟

يثبت لهم عبوديته وأنه يبلغ وأنه إذا خالف ربه سبحانه وتعالى لن يحميه أحد ولن يحفظه أحد وليس هنالك مكان يلتجئ إليه سواه ولذلك لو لاحظنا تكملة الآية *إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ* .

* لماذا الاستثناء *إلا بلاغاً* ؟

فيها احتمالان: الأول استثناء من قوله تعالى ، قبلها قال *لا أملك لكم ضراً ولا رشدا إلا بلاغاً من الله* هذا الاحتمال الأول، إذن لا أملك إلا البلاغ استثناء مما قبله، البلاغ هذا منقطع *يسمى استثناء منقطع* فهو لا يملك إلا هذا فقط، لا يملك لا ضر ولا رشد ما الذي يملكه؟ التبليغ.
و *بلاغاً* منصوبة لأنه مستثنى أو بدل من *ضراً ولا رشدا* والأكثر استثناء لأن البدل في الاستثناء المنقطع يصير ضعيفاً إذن هذا استثناء. لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغاً يعني لا أملك إلا البلاغ ولا أملك إلا الرسالات التي أبلغها عن
ربي. *ورسالاته* معطوفة على بلاغاً والاثنان منصوبان على الاستثناء. *لا أملك لكم ضراً ولا رشدا إلا بلاغاً من الله* يعني لا أملك إلا البلاغ ولا أملك إلا الرسالة أبلِّغ والرسالة ،هذا الاحتمال الأول. الاحتمال الثاني هو أن يكون *بلاغاً من الله* هو بدل من *ملتحداً* يعني ولن أجد ملتحداً إلا بلاغاً من الله. هو يقر أنه لن يعصمه من الله أحد لن أجد ملجأ إلا البلاغ هو الذي يعصمني، البلاغ هو الذي يجيره وهو الذي يحفظه وهو الذي يحميه من الله. إذن نصب *بلاغاً* على البدلية . أيضاً الراجح فيه البدلية . إذن سيكون *ولن أجد من دونه ملتحداً إلا بلاغاً* لن أجد ملجأ إلا البلاغ.

إلا بلاغاً بلاغاً من الله أو عن الله؟ هو يبلغ عن أو يبلغ من؟

بلاغ نزل إليه من الله. بلغ عنه يعني يسمع منه ويبلّغ. بلاغ من الله أي ما نزل منه إذن هذه فيها احتمالين الأول أن يكون لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا البلاغ والتبليغ أي الرسالة والثاني *ولن أجد من دونه ملتحداً إلا بلاغاً* أنه لا يعصمني شيء ولا ينجيني شيء إلا البلاغ هو يجيرني ويحميني ويعصمني.

* لماذا لا توجد قرينة سياقية تحدد معنى محدداً؟

لو قلنا القرينة السياقية لو أراد المعنى الأول لقال *قل إن لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغاً من الله* لكن التعبير القرآني يحتمل معنيين مطلوبين كليهما هذا توسع في المعنى . المعنيان مطلوبان لو قال ذلك سيكون المعنى واحداً يعني لو قال *لا أملك لكم إلا بلاغاً* انتهت بدلالة واحدة . الآن المعنيين مرادين يعني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا البلاغ ولم أجد من دونه ملتحداً إلا البلاغ المعنيين مطلوبين فلما أراد إلحاق هذه بهذين المعنيين أطلق ولم يأت بقيرنة سياقية . المعنيان في القرآن موجودان المعنى الأولى *فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ *٤٨* الشورى * والمعنى الآخر *يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ *٦٧* المائدة * المعنيان موجودان في القرآن فجمعهما ولو جاء بالقرينة لحدد وهو أراد الإطلاق.

* قال تعالى في سورة الجن *وَمَن يَعْصِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا *٢٣ * في سورة النساء قال *وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ *١٤ * فما الفرق بين خالدين وخالداً؟

الآية الكريمة في سورة الجن *وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا* وفي النساء *وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ* قال خالدين في سورة الجن بالجمع وخالداً بالإفراد في النساء. الوعيد بالعذاب في آية النساء أشد *يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ* أشد لأنه عذاب بالنار وبالوحدة ، في الجن قال خالدين بالجمع وهنا قال خالداً يعني منفرداً لأن الوحدة عذاب حتى لو كان في الجنة ، يكون وحده ليس معه أحد ولا يتكلم مع أحد هذا شيء ثقيل جداً. إذن مبدئياً العذاب في آية النساء أشد، الوعيد. لماذا هو أشد؟ قال في سورة الجن *وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ* وقال في سورة النساء *وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ* هذا زيادة . العصيان يعني عدم الطاعة وتعدي الحدود عدم الطاعة ولكن فيها إضافة قد تكون هنالك حدود في أمور معينة *تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا *١٨٧* البقرة *تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا *٢٢٩* البقرة * هذه إضافة إلى العصيان لأن أحياناً مجرد العصيان ليس بالضرورة كفر مجرد المعصية لأن الإنسان قد يعصي ربه في شرب خمر أو سرقة أو زنا. *وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ* هذه زيادة . الجريرة هنا جريرتان عصيان وتعدٍ الحدود، في الجن ذكر العصيان فقط وفي النساء ذكر العصيان وتعدي

الحدود ولذلك قال *وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ* إضافة إلى النار له عذاب مهين فإذن هنالك سبب دعا إلى هذا الاختلاف ولذلك لا تجد في أصحاب الجنة خالداً مطلقاً وإنما دائماً خالدين لأنه ليس هناك وحدة بينما في النار فنجد خالدين وخالداً.

* ربما تكون *من* هنا للجمع أو للمفرد، هل *وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ* تعني مفرد أو جمع؟

من تحتمل لأن كلمة خالدين خلّصتها للجمع. وأيضاً هنالك أمر آخر بياني حسّن استخدام الجمع في آية الجن وهو ذكر اجتماع الكفرة على رسوله *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا *١٩* الجن* هذا اجتماع، هؤلاء خالدين بزمرتهم. مما حسّن الإفراد في آية سورة النساء أنهم أقل من المذكورين لأنه عصيان وتعدي الحدود فيه قلة ومن ناحية أخرى حسّن القلّة نسبياً. إذن من كل وجه صار الإفراد في آية النساء أنسب في السياق وخالدين في آية الجن أنسب في السياق.

* هل لنا أن نفهم في آية النساء *وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ* يتعدى حدود من؟ الله أو الرسول؟ هل العطف يعود على الأقرب؟

العطف ليس بالضرورة يعود على الأقرب لأن ما حدّه الرسول هو ما حدّه الله، يعني يتعدى حدوده أي حدود الله.

* قال تعالى في آية النساء *يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ* هل لنا أن نسقم العذاب بحسب

الجريرة ، يعني ناراً خالداً فيها بسبب العصيان وله عذاب مهين بسبب تعدي الحدود؟

الله أعلم، ليست هنالك قرينة سياقية تحدد صورة معينة للعذاب مع خطيئة محددة . ذكر مهين أنهم تعدوا الحدود، استخفوا بحدود الله فأهانهم أي أذلّهم، لأن العذاب ليس بالضرورة مهين قد يكون فيه عذاب أليم أن تضربه مثلاً. ليس العذاب مهيناً بالضرورة ولهذا هنالك في القرآن عذاب عظيم، وشديد ومهين وأليم، عذاب مُذِل يعني أمام الناس تفضحه وتجعله يفعل أشياء.

* في الجن قال *خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا* وفي النساء *خَالِدًا فِيهَا* هل تضيف
كلمة *أبداً* لخالدين من حيث الدلالة الزمنية على الأقل؟

لما يكون تفصيل غالباً تضيف *أبداً* لكن هنا قال *وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ* . *أبداً* يعني غير منقطع مستمر. الخلود هو البقاء الطويل أيضاً هو في القرآن خالداً لكن *أبداً* تأكيد للمسألة .

* هل هنالك خلود في النار؟ أم من يقضي سيئاته سيخرج ويذهب إلى الجنة ؟ ماذا يحتمل سياق الآية من الناحية اللغوية ؟

أنا أعرف أن الخلود هو البقاء غير المنقطع والدوام و *أبداً* يؤكد هذا المعنى ، هذا الذي أفهمه من اللغة .

* ليتنا نأتي على كل الآيات نقوم بعمل دراسة في القرآن الكريم على من يذهب والعياذ بالله أعاذنا منها إلى النار ونبحث مدة البقاء فيها، هنالك من يجلس في النار وهنالك من *خالدين فيها

أبداً*خالداً فيها*وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ *١٦٧* البقرة * وهناك البعض يقول يقضي ما عليه من السيئات ثم يخرج منها.

إذا كان مسلماً يقضي من السيئات ما يقضي ثم يخرج بعدها *وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ *٨٥* آل عمران*وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ *٤٠* الأعراف* معاصي مختلفة ، هذا الباب الدخول فيه والكلام فيه يحتاج لحذر شديد وربنا تعالى ذكر أن من يقتل نفساً بغير نفس خالداً فيها لكن كثير من الناس قال هذه تغليظ عقوبة القتل.

* هل هناك دليل في القرآن على هذا؟

هم يقولون بالنسبة للمسلم يستندون للأحاديث "من قال لا إله إلا" .

* لماذا اقترن لفظ *أبداً* في خلود الكافرين في النار وأحياناً لاترد؟

* أبداً* ترد أحياناً مه أهل النار وأحياناً مع أخل الجنة وأحياناً يذكر الخلود من دون *ابداً* . والقاعدة هو أنه إذا كان المقام مقام تفصيل وبسط للموضوع يذكر *أبداً* أو إذا كان المقام مقام تهديد كثير أو وعيد كثير أو وعد كثير كما جاء في الوعد الكثير للمؤمنين في سورة البينة وتفصيل جزائهم *جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ {٨} * وكذلك في سورة الجنّ الآيات فيها تهديد ووعيد شديد للكافرين فجاءت *أبداً*إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ

وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً {٢٣} * وكذلك في سورة الأحزاب في مقام التفصيل والتوعّد الشديد ذكر أبداً *إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً {٦٤} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً {٦٥} * . وإذا لم يكن كذلك أي كان مقام إيجاز لا يذكر *أبداً* مثل قوله تعالى في سورة البيّنة *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ {٦} * .

آية *٢٤* :

*حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا *٢٤ *

* في قوله تعالى *حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا *٢٤ * ما معنى *ما يوعدون* ؟

ما يوعدون يحتمل أمرين كما يقول المفسرون: إظهار النصر عليهم ربنا تعالى ينصر نبيه ومن تبعه عليهم في بدر مثلاً كما يحتمل يوم القيامة ، يحتمل أنهم يرون ما يوعدون في غلبة المسلمين عليهم وهذا حصل *حتى إذا رأوا ما يوعدون أي الكفار* فإذن يحتمل ما يوعدون من إظهار النصر عليهم ويحتمل أن يراد به يوم القيامة . هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا *١٩ * يعني هم استضعفوه، رأوا قلة أتباعه فربنا توعدهم وقال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا *٢٤ * بالنصر عليهم، هذا تهديد. ومرتبطة أيضاً بقوله تعالى *وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا *٢٣ * فإذن هذه الآية وعيد لهم

في الدنيا والاخرة والله أعلم، ما يوعدون في الدنيا من نصر عليهم وما يلقونه من العذاب يوم القيامة .

* هل هناك مشكلة في اللغة العربية لدرجة أن هنالك بعض السخرية في الدراما المصرية يقولون "معه دكتوراه في *حتى* والبعض قال" أموت وفي نفسي شيء من *حتى* ؟

حتى ليس فيها إشكال، نسمع هذه المقولة لكن *حتى* محدودة ومعروفة في كتب النحو تكون حرف جر وتكون حرف عطف وتكون حرف ابتداء وتكون ناصبة لكن هل هي ناصبة أو حرف جر هذه اختلف فيها بين البصريين والكوفيين.

* في سورة مريم قال تعالى *حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا *٧٥ * ما الفرق بينها وبين آية الجن؟

هناك فرق في ناحيتين أو أكثر هنا في سورة الجن قال *حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ* لم يفصل ما يوعدون أما في مريم جاء بأداة تفضيل *حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ* ، هناك أجمل *حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ* وهنا فصّل *إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ* . واختلف مسألة العلم ماذا سيعلمون في الجن قال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا* وفي مريم قال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا* إذن صار اختلاف في التفصيل ثم سبب الاختلاف في هذا المعلوم ماذا يعلم هؤلاء وماذا يعلم هؤلاء؟.

حتى السؤال لماذا هذا الاختلاف؟ ذكرنا الاختلاف

لكن ما ذكرنا الداعي لهذا الاختلاف بين السياقين: التفصيل في مريم والإجمال في الجن كلٌ له سببه، التفصيل في مريم هو تقدّم الآية ذكر العذاب وذكر الساعة بطلام طويل قبل هذه الآية *وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا *٦٦* أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا *٦٧* فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا *٦٨* ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا *٦٩* ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا *٧٠* وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا *٧١* ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا *٧٢ * هذه فيها عذاب والساعة وهناك ليس فيها إلا هذه الآية . بعدها قال *كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا *٧٩* وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا *٨٠ * . في سورة الجن ما قال *وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا *٢٣ * جزء من آية بينما هناك تفصيل في ذكر العذاب والساعة فناسب التفصيل التفصيل والإجمال الإجمال.

يبقى هنالك *إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ *٧٥* مريم* هذا ما يوعدون به، العذاب محتمل العذاب الدنيوي بغلبة المؤمنين كما ذكرنا في آية الجن فيكون هذا مناسباً لما تقدم الآية أيضاً *وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا *٧٤ * هذه في الدنيا ومناسب لما ختمت به السورة *وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا *٩٨* مريم* . إذن إذا كان عذاب الدنيا فله أيضاً في السياق ما يؤيده وإذا كان الساعة الستعة مذكورة فله في السياق أيضاً

ما يؤيده. إذن التعبير في هذا التفصيل له ما يدعو إليه ويناسبه في السياق ولم يكن مثلما ذكر في سورة الجن الذي هو جزء من آية . هذا من حيث التفصيل يبقى من حيث الاختلاف في العلم.

في سورة الجن قال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا *٢٤ * وفي مريم قال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا *٧٥ * اختلف المعلوم. لا نعلم إن كانوا هم نفس الفئة لكن يبدو أن السياق ليسوا هؤلاء لأنه اختلف ما يعلمونه. سورة الجن مناسبة واضحة *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا *٢٤ * لأنه كان فرداً وأنصاره قليل واجتمعوا عليه *كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا *١٩ * كان ضعيفاً استضعفوه فقال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا *٢٤ * *وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ *٢٦* الأنفال* إذن هو مستضعف فقال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا* استضعف وليس له أنصار هو فرد فهددهم ربنا بهذا *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا* ، هم يرون الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليس له أنصار فاستضعفوه هم يرون الرسول أضعف ناصراً وأقل عدداً من وجهة نظرهم وهذا أسلوب سخرية فقال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا* هم استضعفوه واجتمعوا عليه فيسعلمون من هو أضعف ناصراً وأقل عدداً، هذا تهديد.

في مريم قال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا *٧٥ * *مكاناً منصوب على التمييز* وهي مناسبة لما تقدم قال قبل هذه الآية

: *وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا *٧٣ * يعتزون بمكانتهم أي الفريقين من نزل عليه الوحي وهم؟ يدلون عليهم ويتبجحون أيّ الفريقين نحن أم أنتم خير مقاماً؟ *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا *٧٥ * وكأنه رد من الله سبحانه وتعالى عليهم لأنهم تبجحوا وقالوا *أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا* قال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا* ليس فقط المقام وإنما المكان والمكان أوسع من المقام، المقام مكان القيام في الأصل وهو محدود والمكان عام. جاء بصفة عكس التي قالوها ووسع المكان *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا* لأنهم هم قالوا *أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا* الندي هو المكان الذي يجتمعون فيه وفيه الأعوان والأنصار الجنود ومن ينصرونهم، الندي من النادي المجلس الجامع لوجوه القوم قومهم وجندهم وأعوانهم وأنصارهم *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا* ردّ عليهم بأسلوب يلائمهم هم لأنهم لما تبجحوا كثيراً كان الرد فيه قسوة عليهم.

وهنالك فرق آخر: قال في سورة الجن *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا* وفي مريم قال *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا* جاء بـ *هو* . يعني الآن هو سيصير أوسع. *مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا*من* تحتمل أمرين إما أن تكون اسم استفهام أو اسم موصول بمعنى الذي وليس هنالك قرينة سياقية تحدد معنى معيناً والأمران مرادان. إذا كانت *من* اسم موصول بمعنى الذي أضعف ناصراً فستصير

أضعف خبر لمبتدأ محذوف يعني من هو
أضعف. *أضعف* إذا كانت *من* اسم
استفهام *من* مبتدأ و *أضعف* خبر وإذا
كانت *من* اسم موصول *من* مفعول به
لفعل *فسيعلمون* و *أضعف* خبر لمبتدأ محذوف
و *هو أضعف* جملة صلة . إذن هنالك خبر لمبتدأ
محذوف وفي سورة مريم المبتدأ
مذكور *فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ
جُندًا* والذكر أقوى وآكد من الحذف. فهنالك
أمرين يحسن ذكر *هو* الأول تفصيل الذي في
مريم من العذاب وما إلى ذلك وهنا ذكر وتفصيل
وهناك إيجاز أوجب الحذف، هذا أمر. والأمر الآخر
أنهم تبجحوا بمكانهم *أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا* لم يقولوا هذا الشيء في آية الجن،
هم تبجحوا في مقامهم وفي مكانتهم فربنا أكّد
ضعف هذا المجلس فجاء بـ *هو*فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ
هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا* للتأكيد على ضعفه.
ثم قال *وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا
وَرِئْيًا *٧٤ * فإذن هم تبجحوا بمقامهم وربنا رد
عليهم *وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا
وَرِئْيًا *٧٤ * أحسن من هؤلاء فأكّد أن *فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا* تبجحوا بالمكان فصاروا شر
مكاناً فصار تأكيد من ناحيتين من ناحية التفصيل
ومن ناحية أنهم شر مكاناً.

آية *٢٥* :

*قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي
أَمَدًا *٢٥ *

* الملاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه
وتعالى لم يقابل القريب بالبعيد فما اللمسة البيانية

في هذا؟

مرّ بنا في أكثر من مناسبة أنه الخط الجاري في السورة أنه لا يقابل الشيء بنقيضه أو بما يقابله. هذا مرّ في مواطن كثيرة وهذا نمط ظاهر في السورة فقابل القريب بالأمد والأمد هو الغاية قد يكون قريباً وقد يكون بعيداً *تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا *٣٠* آل عمران* جاري هذا النمط في السورة .

* قال تعالى في سورة الجن *قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا *٢٥ * وقال في سورة الأنبياء *وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ *١٠٩ * ما الفرق بين الآيتين؟

في سورة الأنبياء قابل القريب بالبعيد. في سورة الأنبياء من الوعد ما هو ظاهر القصد وهو بعيد فعلاً في سياق آية الأنبياء. مثلاً ذكر أموراً تتعلق بالآخرة هي ليست قريبة ، أمور تتعلق بالآخرة يعني ذكر يأجوج ومأجوج عند اقتراب الوعد الحق *حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ *٩٦* وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ *٩٧ * ذكر جملة وعود تتعلق بأحوال الآخرة *لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ *١٠٣* يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ *١٠٤ * هذه أمور ظاهرة البعد ليست مثل ما ذكر في سورة الجن *حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا *٢٤ * وجاء بعدها *قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ

يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا *٢٥ * قسم قال *ما توعدون* يعني ما يرونه في بدر، تحتمل الآخرة وقالوا هو ما يرونه في نصر المسلمين في بدر هذا ليس بعيداً كما ذكر في الأنبياء. في سورة الجن ليست هناك قرينة سياقية تحدد معنى معيناً ولذلك قسم قال ما يوعدون من نصر ويحتمل أن يراد يوم القيامة أما في سورة الأنبياء فظاهر البُعد والمقصود يوم القيامة *ذكر يأجوج ومأجوج، يوم نطوي السماء، لا يحزنهم الفزع الأكبر، هذا يومكم، فتنة لكم ومتاع إلى حين* أمور قسم منها ظاهر في يوم القيامة فناسب ذكر البُعد في آية الأنبياء.

آية *٢٦* :

*عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا *٢٦ *

فكرة عامة عن الآية *قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ* لما نفى الدراية *إن* هنا نافية بمعنى ما أدري، *قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ* يعني ما أدري، إذن من الذي يدري؟ عالم الغيب. لما نفى الدراية والعلم عن نفسه، إذن من يعلم ذلك؟ عالم الغيب. و أيضاً ذكرنا في مواطن مختلفة أنه حيث أفرد الغيب يجيء باسم الفاعل مفرداً *عالم*عالم الغيب أو عالم الغيب والشهادة * بالإفراد أما الغيوب فيأتي معها بالجمع *علّام الغيوب* في كل القرآن لأن علام صيغة مبالغة والمبالغة تدل على التكثير إذن يناسبها الجمع لا الإفراد *علام الغيوب* و *عالم* اسم فاعل يناسبها الإفراد، هذا في جميع القرآن. أما *عليم* مطلقة يستعملها القرآن مطلقة ولا يستعملها في أمر معين. أما علام خصصها بالغيوب وعالم بالغيب والشهادة بالإفراد.

*عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا *٢٦ * ما دلالة تكرار الغيب في الآية ؟

والله أعلم الغيب الثاني غير الأول. الغيب مختلف وليس بدرجة واحدة ، قسم استأثر به لا يُطلع عليه أحد مثل علم الساعة وأشياء أخرى إستأثر بها. هنالك من الغيوب ما استأثر الله بعلمه، وقسم من الغيوب أعلم بها الأنبياء بالوحي وقسم من الغيوب عامة مثل ما يراه الإنسان في المنام قبل أن يقع *هذه الرؤيا الصادقة * كثير من الناس يرون رؤى تقع بعد يوم أو يومين بدقتها، هذا مما لا يعلمه أحد. قسم من الغيوب يطلعها ربنا بإلهام لكن هنالك غيوب استأثر بها ربنا سبحانه وتعالى وقسم للمرتضين من رسله، لمن ارتضى من رسله، يعطي الغيب لمن يريد من الرسل مثلاً في عيسى قال *وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ *٤٩* آل عمران* لم يذكر هذا في إبراهيم ولم يذكر هذا في نوح. إذن الغيوب هي ليست غيباً واحداً إذن هنالك غيب ربنا سبحانه وتعالى لا يطلعه على أحد أو يطلع المرتضين من رسله ما شاء من ذلك. إذن هو عالم الغيب والشهادة على الإطلاق، يعني الحلم الذي رآه يوسف وهو صغير تأويله جاء بعد سنوات ورؤيا الملك هذا غيب من يعلم بها؟ قد تكون الرؤيا صادقة كلوحة تماماً مثل تصوير الفيديو فتكون واضحة بدقتها. إذن الغيب ليس واحداً لكن ربنا يطلع من يشاء *إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ *٢٧ * هذا غيب خاص. *عَالِمُ الْغَيْبِ* هذه عامة *فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* له غيوب خاصة لا يطلع أحداً عليها إلا من ارتضى من رسول يطلعه عليه. ولو قال فلا يطلع عليه يعني كل الغيب. قال غيبه بالإضافة هذه خاصة

والغيب الأولى عامة .

* ما الفرق بين *وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ *١٧٩* آل عمران* - *عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا *٢٦* الجن* ؟ *د.أحمد الكبيسي*

لماذا يطلع ويظهر، لماذا مرة يقول أطلع فلان على غيبه ومرة أظهر فلان على غيبه؟ هي آيتان *وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ *١٧٩* آل عمران*أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا *٧٨* مريم* وفي آية أخرى *عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا *٢٦* الجن* . الله تعالى إما يطلعك على غيبه أو يظهرك على غيبه، يطلعك على غيبه هذه مرة ، سيدنا عمر وهو في المدينة قال يا سارية الجبل رب العالمين أراه الغيب رأى ساري أنه يقاتل خطأ وفعلاً سارية سمع الصوت واتبع النصيحة ، أطلعه مرة . هناك من أحباب الله ممن اصطفاهم الله تعالى من الرسل من يفوضه سأظهرك على غيبي، الإظهار هو القهر والغلبة كما قال تعالى *إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ *٢٠* الكهف*وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ *٤* التحريم* يقول *عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا *٢٦* الجن* النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أمته بما هو كائن إلى يوم القيامة كل الذي جرى من تلك الساعة التي صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فيهم العصر وهو يخبرهم بما هو كائن إلى يوم القيامة أخبرهم بكل الأحداث بغزو المغول والتتار والانجليز واحتلال العراق وإسلام فارس وكل الذي يجري الآن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرنا به، من أين عرفه؟ عرفه مما أظهره الله تعالى عليه من غيبه. هذا ما يسمونه تنبؤات أو يسمونه عند الصالحين الكشف، هذا من

الله تعالى وكل واحد منا انقدح في ذهنه شيء من هذا، أحدهم دخل على عثمان فقال له إني أرى في وجهك الزنا فقيل له أوحيٌ بعد رسول الله؟ قال لا وإنما هو التوسم *إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ *٧٥* الحجر* لكن الإظهار أمر آخر، الإظهار للرسول يعطيه صلاحية .

فرق بين أن يقول الملك لوزيره أفعل هذا مرة هذا فوضه مرة واحدة وآخر يقول له تصرف في صلاحياتي كما تشاء هذا إظهار. لو تتبعنا الأحاديث النبوية عما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - من غيبيات تقول فعلاً إن الله تعالى أظهر محمداً - صلى الله عليه وسلم - على غيبه *عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا *٢٦* الجن* هذا هو الفرق بين اطلع الغيب مرة وبين أظهره *عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا *٢٦* الجن* كلهم رسل. النبي - صلى الله عليه وسلم - كان له النصيب الأوفى ممن أظهرهم الله تعالى على غيبه.

آية *٢٧* :

*إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا *٢٧ *

يستثني، الرصد هو الحافظ، يحفظه من الشياطين أو الجن.

* ما دلالة *من* في الآية ؟

من يسموها إبتداء الغاية . لو حذف *من* يقول يسلك بين يديه. ما الفرق بينهما؟ بين يديه يعني أمامه قد يكون الرصد قريباً أو بعيداً والخلف قد يكون بعيداً أو قريباً، خلفك يمتد إلى ما لا نهاية .

بينما *من* إبتداء الغاية ملاصق لا يسمح لأحد بأن يدخل مثلاً *وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا *١٠* فصلت* من فوقها الرواسي ملاصقة للأرض لو قال فوقها تحتمل *أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ *٦* ق*وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّور *٦٣* البقرة * ليس ملاصقاً لهم وإنما فوق رؤسهم، *أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ *١٩* الملك*، *وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ *٧٥* الزمر* ليس هنالك فراغ بين العرش والملائكة . *لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ *١٦* الزمر* مباشرة عليهم لو قال فوقهم تحتمل بُعد المسافة . *يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ *١٩* الحج* مباشرة على رؤوسهم، *وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا *٩* يس* ملتصق حتى لا يتحرك ولو قال بين أيديهم يحتمل أن يكون قريباً أو بعيداً، *وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ *٥* فصلت* كل المسافة بيننا مملوءة ولو قال بيننا قد يكون أي حاجز أما من بيننا يعني المسافة أكبر، من بيننا يعني كل المسافة . إذن *من* لابتداء الغاية وبهذا نفهم *جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ* من تحتها درجة أعلى من تحتها *وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ *١٠٠* التوبة *.

كل *من تحتها* معهم الرسل أما تحتها ليس معهم الرسل *وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ* هؤلاء ليس معهم الرسل.

* هل هنالك معاني للحروف في اللغة العربية ؟

هناك كتب كثيرة مؤلفة في معاني الحروف مثل المغني اللبيب وغيره.

آية *٢٨* :

*لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا *٢٨ *

* ما دلالة *ليعلم* مع أن الله تعالى هو العليم الخبير؟

لا شك هو ربنا عالم بالشيء قبل وقوعه وهو الذي كتب كل شيء لكنه هو يقصد العلم الذي يتعلق به الجزاء. ربنا يجازي الشخص على عمله لا على علمه فقط، يعلم ويعمل ويجازيه. هذا العلم الذي يتعلق به الجزاء وهو في القرآن كثير *وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ *٢٥* الحديد* ربنا يعلم لكن ايريد من ينصره ورسله في واقع الحياة ، لمقصود علمه بعد عمل المرء. *إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ *١٤٣* البقرة * هو يعلم قبل ذلك لكن علم يتعلق به الجزاء، تطبيق على ما في علم الله *وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ *٣١* محمد* لذلك لما قال *وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ* يعني يعلم الأمر، هذه الواو واو الحال. هو أحاط بما لديهم إذن هو يعلم وقد أحاط بما لديهم لكن العلم الذي يتعلق به الجزاء. *وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا* يعني كل شيء على العموم أحصاه عدداً وعدّه وحفظه. لأن الإحصاء هو العدّ والحفظ وليس العدّ فقط. الإحصاء هو العد والحفظ أما العد فقط تذكر العدد أما الإحصاء فهو عد مع الحفظ، *وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا *٢٩* النبأ* عددناه وحفظناه. فعل عدّ يفيد ضم الأعداد

بعضها إلى بعض.

* تناسب فواتح سورة الجن مع خواتيمها*

أكثرها في شأن الجن الذين إستمعوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *١ * النفر ليس له عدد معين ويعني مجموعة ، وقد يقال على الواحد نفر وهذه كلمة عربية فصيحة ووردت في القرآن *أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا *٣٤* الكهف* و *نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ* مجموعة وجمعها أنفار. مما ذكر فيها *وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا *٩ * وفي آخرها *إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا *٢٧ * ، *لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا *٢٨ * *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ* الرسالات بالوحي.

* تناسب خواتيم الجن مع فواتح المزمل*

في الجن قال *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا *١٩ * عبدُ الله أي الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، لِبداً أي تلبدوا عليه واجتمعوا، وفي المزمل قال *إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا *٥ * الرسالة ليست سهلة هذه من مظاهر اللبد التي قاموا بها، من مظاهر القول الثقيل ما فيه ما تلقى من قومك من أذى وما في طبيعته من أحكام. أليس فيه العذاب والفتنة من الثقل عليه؟! , قال في الجن *وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا *١٨ * وفي المزمل *رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا *٩ * هي نفسها. قال في الجن *وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا *٢٣ * وفي المزمل *وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا *١١* إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا *١٢ * هي نفسها، كأنما هي استكمال للآية وصف لما سوف يناله في الآخرة .

سورة المزّمل

* تناسب خواتيم الجن مع فواتح المزمل*

في الجن قال تعالى *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا *١٩ * عبدُ الله أي الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، لِبداً أي تلبدوا عليه واجتمعوا، وفي المزمل قال *إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا *٥ * الرسالة ليست سهلة هذه من مظاهر اللبد التي قاموا بها، من مظاهر القول الثقيل ما فيه ما تلقى من قومك من أذى وما في طبيعته من أحكام. أليس فيه العذاب والفتنة من الثقل عليه؟! , قال في الجن *وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا *١٨ * وفي المزمل *رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا *٩ * هي نفسها. قال في الجن *وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا *٢٣ * وفي المزمل *وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا *١١* إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا *١٢ * هي نفسها، كأنما هي استكمال للآية وصف لما سوف يناله في الآخرة .

* هدف السورة *

هذه السورة هي زاد الداعية . فالداعية محتاج للزاد الذي هو قيام الليل حتى يعينه على الدعوة ويقويه *قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا* آية ٢، ثم تنتقل إلى موسى - عليه السلام - وهو يواجه فرعون الذي تكبّر *إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا

أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا* آية ١٥ فقيام الليل هو الذي يعين على صعوبات الحياة وعلى دعوة الناس بالنهار *زادك قيام الليل* . وفي الآية الأخيرة في السورة *إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* آية ٢٠ كان قيام الليل في أول الدعوة مفروضاً على الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة حتى يتقووا على الدعوة ثم خففت بعد السنة الأولى لأن فيها تمهيد للذين سيقاتلون في السمتقبل *فتح مكة * .

* من اللمسات البيانية فى سورة المزمل*

آية *٣* :

* هل البَدَل يفيد التوكيد؟

د. فاضل السامرائي

للبدل عدة أغراض منها:

أن يكون للإيضاح والتبيين كما في **١٨٤* البقرة * طعام مسكين إيضاح للفدية .

قد يكون للمدح أو الذمّ كما في **١٦* العلق* و **٣* التين*.

? قد يكون للتخصيص كما في **٦* الصافات* الكواكب *بدل من زينة * مخصصة والزينة عامة . وكذلك في قوله تعالى *وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ *١٥* قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا *١٦* الإنسان*.

التفصيل كما في **٧٥* مريم*.

قد يكون للتفخيم كما في قوله تعالى *وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ *٦٦* الحجر* ما هو ذلك الأمر؟ أن دابر هؤلاء مقطوع.

قد يكون للإحاطة والشمول كما في **١١٤* المائدة *.

وقد يكون للتوكيد أيضاً.

قوله تعالى *يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ *البقرة * قتال هي بدل اشتمال، وفي قوله تعالى *قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا *٢* نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا *٣* المزمل* نصفه هذا بدل *بعض من كُلّ* . وللبدل أنواع لا مجال لذكرها في هذا المقام. ولكل نوع من أنواع البدل دلالة وسياق.

آية *٥* :

* ما اللمسة البيانية في *إليك* و *عليك* ؟

د. فاضل السامرائي

على ذكرنا أنها للأمور الثقيلة وما هو أشق وهي للاستعلاء *كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ *٢١٦* البقرة *كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الصِّيَامُ *١٨٣* البقرة * للأمور الثقيلة الشاقة تستعمل *على*إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا *١٠٣* النساء*.ومثلها *إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا *٥* المزمل*.

آية *١١* :

* ما الفرق بين النَعمة والنِعمة *وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ *٢٧* الدخان*وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا *١١* المزمل*؟

د. فاضل السامرائي

النِعمة تفضل الله تعالى على عباده وهي متعددة العافية والقوة والإيمان هذه كلها نِعم *وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا *٣٤* إبراهيم* أما النَعمة فهي الرفاهية والتنعم ولين العيش والرخاء من النعيم والنعيم أحد النِعم. الله تعالى ذكر السمع والبصر والدين نعمة *وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ *١١* الضحى * هذه كلها نِعم والنَعمة الرخاء والرفاهية ولم ترد في القرآن إلا في الذمّ *وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا *١١* المزمل*وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ *٢٧* الدخان* لم ترد كلمة النَعمة في الخير أما النِعمة فكلها خير.

* تناسب فواتح المزمل مع خواتيمها*

*يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ *١* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا *٢* نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا *٣* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا *٤ * وفي آخرها *إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ* كأنه استجاب، أمره في البداية *قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا* فاستجاب *إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ

أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ* . وأمره *وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا *٤ * وفي الآخر قال *فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ* أول مرة أمر الرسول ثم اتجه إلى المؤمنين *فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ* كان الأمر للرسول - صلى الله عليه وسلم - على العموم والشمول أما للمؤمنين *فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ* . هنالك بعض الخصوصيات للرسول - صلى الله عليه وسلم - قيام الليل كان على الرسول - صلى الله عليه وسلم - واجب وهو مندوب بالنسبة المؤمنين.

* تناسب خواتيم المزمل مع فواتح المدثر*

كلتا السورتين خطاب للرسول - صلى الله عليه وسلم - . في ختام المزمل قال *إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ *٢٠ * ثم خاطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في المدثر *يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *١* قُمْ فَأَنْذِرْ *٢ * . وتقدم في سورة المزمل الكلام على الكافرين *إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا *١٢ * ثم ذكر في المدثر *سَأُصْلِيهِ سَقَرَ *٢٦* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ *٢٧* لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ *٢٨* لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ *٢٩* عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ *٣٠ * كلاهما مشهد من مشاهد العذاب للكافرين في المزمل والمدثر.

سورة المدّثّر

* تناسب خواتيم المزمل مع فواتح المدثر*

كلتا السورتين خطاب للرسول - صلى الله عليه وسلم - . في ختام المزمل قال *إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ *٢٠ * ثم خاطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في المدثر *يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *١* قُمْ فَأَنْذِرْ *٢ * . وتقدم في سورة المزمل الكلام على الكافرين *إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا *١٢ * ثم ذكر في المدثر *سَأُصْلِيهِ سَقَرَ *٢٦* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ *٢٧* لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ *٢٨* لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ *٢٩* عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ *٣٠ * كلاهما مشهد من مشاهد العذاب للكافرين في المزمل والمدثر.

* هدف السورة *

سورة الدعوة للقيام بالدعوة . عرضت الآيات النماذج والصفات والزاد فأصبح الداعية جاهزاً للدعوة وهذه السورة تدعو هذا الداعية للدعوة . وتدعو الآيات لتكبير قدر الله تعالى في الأرض وجعل الله تعالى الأكبر بين الخلق. وبالمقارنة بين سورتي المزمل والمدثر نلاحظ سياق الآيات يسير ببطء في سورة المزمل مقارنة بالسياق السريع في سورة المدثر وهذه السرعة أو البطء مناسب لهدف السورتين. وختمت سورة المدثر بالتشبيه بفرار الحمار الوحشي من الأسد *كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ* آية ٥٠ و ٥١ وهذا كله

يفيد الحركة والسرعة .

* من اللمسات البيانية فى سورة المدثر*

آية *٩* :

* ما دلالة استخدام صيغة *عَسِر* في آية سورة القمر و *عسير* فى المدثر؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة القمر *مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨ * .

من أوزان الصفة المشبّهة فعِل وفعيل فتأتي هاتين الصفتين للمبالغة أو صفة مشبّهة ، يُقال فرِح وطويل.

وعَسِر غير عسير والكم في موضوع الصيغة المشبهة ودلالاتها ومعانيها طويل لكن نتحدث عنه بشكل موجز هنا. نقول مثلاً صيغة أفعل مثل أحمر تستعمل للنعوت والحُلى الظاهرة .

عسِر تستعمل للأشياء الداخلية ، بينما أعسر تستعمل للصفات الظاهرة والجسمية .

مثل شريف وأشرف: أشرف تعمي المرتفِع الكتفين، وكذلك رئيس وأرأس بمعنى رأسه كبير. مليح بمعنى جميل وأملح بمعنى أبيض اللون. أسِف *فرجع موسى غضبان أسِفا* من الاندفاع وجاء في قول عائشة عن أبيها *إن أبا بكر رجل أسيف* هذه ليست حالة عارضة وإنما وصف له. وكذلك كبمة بطِن *بمعنى لا يهمه إلا بطنه* وبطين *بمعنى كبير البطن واسعه* ، نشِط *مندفع وهي حالة اندفاعية * أما نشيط

فهي صفة عامة .

فكلمة عَسِر غير عسير فيقال عسِر عليه الأمر فهو عسيِر فالأمر خاص به قد يكون عسِراً عليه لكنه ليس كذلك على غيره فقد يعسر أمر ما على طفل ولا يعسر على من هو أكبر منه.

أما عسُر الأمر: الوصف فيه عسير ويدل على الثبوت خِلقة أو اكتساباً *طويل، خطيب* ويُقال فقُه الرجل فهو فقيه *حالة ثبات* ويقال فقِه الرجل المسألة *تحديداً وليس على الاطلاق* فهو لها فاقِه أو فقِه.

فكلمة عسير تقال عندما يكون الأمر عسير في ذاته صعب أما عسِر فهو نسبي. وقد وصف تعالى قول الكافرين الذين يقولون *هذا يوم عسِر* لأنه نسبي لهم والله تعالى ييسره على من يشاء. هو لا شك يوم عسير كما وصفه تعالى في سورة المدّثر *فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ *٩* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ *١٠ * فهو على الكافرين عسير لكن قد لا يكون كذلك على غيرهم. ولو لم يحدد الله تعالى أنه عسير على الكافرين لكان عسيراً على الكل.

فكلمة عسِر وعسير اشتقاقهما من مادة واحدة *ع س ر* لكن المعنى اختلف باختلاف الصيغة . عسِر وعسير وأعسر كلها صفات مشبهة لكن لكل منها معنى مختلفاً عن الأخرى.

آية *١٦* :

* لماذا جاءت لآياتنا باللام ولم تأت بآياتنا بالباء في سورة المدثر *كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآَيَاتِنَا عَنِيدًا *١٦ *

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة المدثر *كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآَيَاتِنَا عَنِيدًا *١٦ * هذا أمر نحوي لأن الفعل هو عاند وهو فعل يتعدّى بنفسه *عاندته وعاندت قوله* والمتعدي بنفسه هذا عندنا أمرين يمكن أن يوصل المفعول باللام وتسمى لام المقوية في حالتين: يُدخل اللام على المفعول به يعني فيما هو لو حذفناها يرجع مفعول به نأتي باللام إن شئنا *لام المقوية * : الحالة الأولى أن يتقدم المفعول به على فعله كما في قوله تعالى *وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ *١٥٤* الأعراف* والمقصود يرهبون ربهم *لربّهم مفعول به مقدّم* ، والثاني إذا كان العامل فرعاً على الفعل كأن يكون اسم فاعل أو صيغة مبالغة كما في قوله تعالى *وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ *٣١* فاطر* فعل صدّق يتعدى بنفسه والأصل هو مصدقاً ما معه ويصح قوله لكن جاء باللام المقوية لأن العامل فرع على الفعل كقوله تعالى *خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ *١٠٧* هود* جاء باللام المقوية لأن العامل هو صيغة مبالغة . ونعود إلى الآية موضع السؤال ونقول إن فيها تقديم وصيغة مبالغة : قدّم المفعول به على الفعل *لآياتنا* والعامل فرع وعلى صيغة مبالغة *عنيد* من عاند وهذا كما قلنا أمر نحوي ويصح أن يُؤتى باللام المقوية فلا يقتضي الإتيان بالباء *بآياتنا* .

والغرض منها عند النحاة أن الفعل إذا تقدّم يكون في أقوى حالاته في العمل فإذا تأخر كان أضعف

في العمل فقد يؤتى باللام للتقوية وعندما يكون فرعاً يكون أضعف فيؤتى باللام للتقوية وأنا شخصياً أقول أنها تستعمل لتقوية الحدث فيؤتى باللام الزائدة المؤكِدة زيادة في التوكيد. التوكيد الذي يُدرس في النحو هو توكيد صناعي والتوكيد باب كبير في اللغة وليس هناك باب لا يدخل فيه التوكيد مثلاً التوكيد بالجار والمجرور كما في قوله تعالى *ولا طائر يطير بجناحيه* المعلوم أن الطائر يطير بجناحيه ومع هذا جاءت كلمة بجناحيه للتوكيد, والظرف المؤكّد كما في قوله تعالى *سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً* الإسراء يكون ليلاً وقوله تعالى *فخرَّ عليهم السقف من فوقهم* والسقف سيخّر بالتأكيد من فوقهم، كلها فيها توكيد.

آية *٢٠* :

* ما فائدة التكرار فى قوله تعالى *إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {١٨} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {٢٠} المدّثر* ؟

د. فاضل السامرائي

إذا أُعيدت الجملة *إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {١٨} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {٢٠} المدّثر* التكرار فيه توكيد ولا مانع أن يُفصل بحرف عطف. وقد يأتي التكرار بدون حرف عطف كما في قوله تعالى *فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً {٥} إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً {٦} الشرح* ، يمكن أن تكون توكيداً مع العطف كأن نقول *والله ثم والله* . وفي بداية سورة التكاثر قال تعالى أيضاً *كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ {٣} ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ {٤} * هنا العلم علمان علم عند المشاهدة والإحتضار والعلم الثاني

عند الحساب يوم القيامة ، فإذا كان العلم الأول هو نفس العلم الثاني تكون *ثم* للتوكيد وإذا كان العلم الثاني غير العلم الأول تكون *ثم* للتراخي في الزمن لأن فيها تأسيس لمعنى جديد.

آية *٣٣* - *٣٤* :

* ما الفرق بين استعمال إذ وإذا في سورة المدثر *كَلَّا وَالْقَمَرِ *٣٢* وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ *٣٣* وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ *٣٤ *

د. فاضل السامرائي

إذ للماضي لأن إذ ظرف زمان للماضي غالباً وإذا للمستقبل، الليل إذ أدبر وانتهى وإذا أسفر فهو سيأتي، *إذا* للمستقبل.

* هل هناك لمسات بيانية في سورة المدثر *وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ *٣٤ * *وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ *٥١* الروم*قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ *٦٩* البقرة *إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ *٣٢* كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ *٣٣* المرسلات*؟

د. فاضل السامرائي

أسفر يعني ظهر عند الصبح يكون هناك اصفرار أيضاً فهل المعنى الظهور أو الإصفرار أو المعنيين؟.أسفر ليس فيها صفرة

آية *٣٥* :

*إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ *٣٥* المدثر* ما معنى الكُبر؟

د. فاضل السامرائي

هذه في سورة المدثر *إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ* هذه فيها رأيان أو تفسيران قسم يقول البلايا التي تصيب أهل النار كثيرة وسقر واحدة منها، هذه التي ذكرها وذكر ما فيها في سورة المدثر *سَأُصْلِيهِ سَقَرَ *٢٦* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ *٢٧* لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ *٢٨* لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ *٢٩* عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ *٣٠* وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ *٣١* كَلَّا وَالْقَمَرِ *٣٢* وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ *٣٣* وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ *٣٤* إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ *٣٥ * هذه إحدى الكبر وهنالك من الأشياء الكبيرة جداً. الكُبر جمع كُبرى فُعلى وهذة ليس فقط اسم تفضيل وإنما هي أعلى درجات التفضيل لأن الكُبرى هي تأنيث الأكبر بالألف واللام بالتعريف، الأكبر أقوى من أكبر، تقول هذا أكبر من هذا وهذا الأكبر لا كبير فوقه. الكُبرى للمؤنث *الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى *١٢* الأعلى * جمع الكُبرى كُبر الفُعلى الفُعل، الصُغرى الصُغر، العظمى العُظم، فالكبرى هي مؤنث الأكبر وهي أعلى درجات التفضيل إذن لما يتكلم عن سقر يقول إحدى الكُبر يعني هنالك من الأمور والبلايا هذه إحداها ليست هذه أكبر الأشياء الموجودة وإنما واحدة منها. وقسم يقول هي دركات النار هي سبعة يذكرها جهنم ولظى وسعير الحطمة وسقر والجحيم والهاوية ، سقر إحداها.

إحدى الكُبر إما أن تكون سقر دركة من دركات النار أو أن تكون إحدى البلايا والنوازل في النار والآية تحتمل المعنيان ما يرونه هذا واحد مما يرونه من عظائم *وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ *٤٧* الزمر*.

آية *٥١* :

* موضوع كلمة قسورة عند العرب *فرت من قسورة * وكلمة كُباراً وسمعنا أن أبو لهب وأبو جهل أنكروا على الرسول **?** هذه الكلمات في القرآن أنهم لم يسمعوا بها من قبل وهم أهل اللغة ووردت قصة أن رجلاً كبيراً من المشركين أمره الرسول **?** بالجلوس ثم أمره بالنهوض ثم بالجلوس فقال الرجل الكبير: *أتسخر مني يا قسورة العرب وأنا رجل كباراً* هل هذه القصة صحيحة ؟ فهل كلمة قسورة *فرت من قسورة * وكباراً *ومكروا مكراً كباراً* كلمات عربية ؟

د. فاضل السامرائي

كلتاهما عربية وكبار من الصفات العربية وقسم من اللغويين يجعلونها تدرج فعيل فُعال فُعّال، كبير كُبار كُبّار طويل طوال طُوّال، حسن حُسان حُسّان يجعلها قياس تدرج، فعيل فإذا بلغ الزيادة في الوصف تتحول إلى فُعال وهي أبلغ من فعيل عجيب وعُجاب وإذا بلغ الزيادة اقتضى التكثير والتضعيف *فُعّال* مثل رجل قُرّاء. إذن كُبّار هي عند بعض اللغويين قياس لا سماع وقسم يقول هي سماع.

* ربما نقرأ في بعض القصص *أتستهزئ بي يا ابن قسورة العرب وأنا رجل كباراً في قومي إن هذا

لشيء عجاب* فهل هذه الكلمات عربية ؟

د. فاضل السامرائي

قالوا هذه حبشية كبار هذه في القياس عندنا رجل قُرّاي أي رجل كثير القراءة مثل فُعّال في الجمع، مكر كباراً مكراً كبيراً محبوكاً تماماً. وحتى في العامية نقول رجل كباراً. وقسورة
من *فعوَل* قسر الفريسة قسراً ونقول قسره إذن قسورة فعول موجودة في اللغة .

هل في القرآن كلمات غير عربية ؟ هذا سؤال قديم هنالك كلمات دخلت العربية قبل الاسلام فلما دخلت في اللسان العربي أصبحت عربية بالاستعمال. لكن ربما يكون الأصل الذي انحدرت منه غير عربي وهذا في كل اللغات ما يسمى بتقارب اللغة وهناك بحوث كثيرة في القديم والحديث في هذا المجال. هذا لا يتعارض مع قوله *بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ *١٩٥* الشعراء* بلسان عربي أي يتكلمون به لأن العرب كانت تستعمل هذه الألفاظ مثل أرائك وسندس في حياتها ولم تكن هذه الألفاظ جديدة عليها

* تناسب فواتح سورة المدثر مع خواتيمها*

تبدأ *يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *١* قُمْ فَأَنْذِرْ *٢ * هي أصلاً سورة الإنذار. المزمل والمدثر حالات لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساعة نزول الوحي عليه. لما قال *قُمْ فَأَنْذِرْ* ذكر الموقف من هذا الإنذار ماذا حصل فقال *ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ
وَحِيدًا *١١* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا *١٢* وَبَنِينَ شُهُودًا *١٣* وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا *١٤ * موقفه من الإنذار وذكر في آخر السورة موقف هؤلاء من

الإنذار *فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ *٤٩* كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ *٥٠* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ *٥١ * وقال في آخر السورة *وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ *٥٦ * فهي في عمومها في الإنذار والموقف من الإنذار وموقف المستمعين من الكفار من هذا الإنذار *كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ* حمر وحشية شديدة النفر لا تألف هي التي نفرت وليست مستنفَرة .

* تناسب خواتيم المدثر مع فواتح القيامة *

في أواخر المدثر تحدث عن اصحاب النار *مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ *٤٢ * وهي في القيامة أصلاً وقال في القيامة *لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ *١ * مشهد من مشاهد يوم القيامة . سورة المدثر مشاهد من مشاهد القيامة وسورة القيامة تبدأ بالقيامة .

سورة القيامة

* تناسب خواتيم المدثر مع فواتح القيامة *

في أواخر المدثر تحدث عن اصحاب النار *مَا

سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ *٤٢ * وهي في القيامة أصلاً
وقال في القيامة *لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ *١ *
مشهد من مشاهد يوم القيامة . سورة المدثر
مشاهد من مشاهد القيامة وسورة القيامة تبدأ
بالقيامة .

* هدف السورة *

اعلموا أن نهاية الدعوة موت فالحياة كلها مآلها إلى الموت والنهاية . وهذه السورة سورة رقيقة تذكر بالموت ولقاء الله تعالى. وفي السورة تذكير للناس أن يستمروا بالدعوة حتى لو لم يستجيب الناس لدعوتهم ويكون الفاصل يوم القيامة حين يوفّي الله تعالى كل إنسان عمله *إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ* آية ١٢ و *يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ* آية ١٣.

* من اللمسات البيانية فى سورة القيامة للدكتور فاضل السامرائي*

* لمسات بيانية من سورة القيامة **منقول من موقع موسوعة الإعجاز **

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ {١} وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ
اللَّوَّامَةِ {٢} أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ
عِظَامَهُ {٣} بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ
بَنَانَهُ {٤} بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ {٥} يَسْأَلُ
أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ {٦} فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ {٧} وَخَسَفَ
الْقَمَرُ {٨} وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ {٩} يَقُولُ الْإِنسَانُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ {١٠} كَلَّا لَا وَزَرَ {١١} إِلَى رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ {١٢} يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ
وَأَخَّرَ {١٣} بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ {١٤} وَلَوْ

أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ {١٥} لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ
بِهِ {١٦} إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ {١٧} فَإِذَا قَرَأْنَاهُ
فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ {١٨} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ {١٩} كَلَّا بَلْ
تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ {٢٠} وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ {٢١} وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ {٢٣} وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ {٢٤} تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا
فَاقِرَةٌ {٢٥} كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ {٢٦} وَقِيلَ مَنْ
رَاقٍ {٢٧} وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ {٢٨} وَالْتَفَّتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ {٢٩} إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ {٣٠} فَلَا
صَدَّقَ وَلَا صَلَّى {٣١ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ٣٢} ثُمَّ
ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى {٣٣} أَوْلَى لَكَ
فَأَوْلَى {٣٤} ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى {٣٥} أَيَحْسَبُ
الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى {٣٦} أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ
يُمْنَى {٣٧} ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى {٣٨} فَجَعَلَ
مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى {٣٩} أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ
عَلَى أَن

يُحْيِيَ الْمَوْتَى {٤٠}

سألني ولدي ذات يوم: ما مناسبة قوله تعالى: *لا تحرك به لسانك لتعجل له* لما قبله وهو قوله تعالى: *بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره* ؟

فقلت له: دعني أنظر في أول السورة ، لعلي أجد مفتاح الجواب فقرأت: *بسم الله الرحمن الرحيم: لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة * .

فقلت له: المناسبة ظاهرة ، وهي أن الله تعالى أقسم بيوم القيامة ، وأقسم بالنفس اللوامة ، ومن أبرز سمات النفس اللوامة أن تعجل في الأمر، ثم يندم عليه، فتبدأ بلوم نفسها على ما فعلت وهو في الآيات التي ذكرتها ذكر النفس، فقال *بل

الإنسان على نفسه بصيرة * وذكر العجلة فقال: *لتعجل به* فالمناسبة ظاهرة .

ثم بدأت اقرأ السورة متأملاً فيها فوجدت من دقائق الفن والتناسب والتناسق ما يدعو إلى العجب فآثرت أن أدون شيئاً من هذه اللمسات الفنية .

آية *١ - ٢* :

لقد ذكر المفسرون مناسبة هذه السورة لما قبلها أعني سورة *المدثر* وارتباطها بها. فقد قالوا: إنه سبحانه قال في آخر سورة المدثر: *كلا بل يخافون الآخرة كلا إنه تذكرة * وفيها كثير من أحوال القيامة "فذكر هنا يوم القيامة وجملاً من أحوالها" فكان بينهما مناسبة ظاهرة .

إن هذه السورة قطعة فنية مترابطة متناسقة محكمة النسج، وليس صواباً ما جاء في *الإتقان* أن "من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها، من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة : *لا تحرك به لسانك لتعجل به* فإن وجه مناسبتها لأول السورة وآخرها عسر جداً"

إن ترابط آيات هذه السورة ترابط محكم وتناسبها فيما بينها لا يخفى على المتأمل.

لقد أقسم الله سبحانه بيوم القيامة ، وأقسم بالنفس اللوامة على رأي الأكثرين، أو أقسم بيوم القيامة ، ولم يقسم بالنفس اللوامة على رأي آخرين وسر هذا الاختلاف، أن ثمة قراءة بإثبات القسم بيوم القيامة أي *لأقسم* إلا أنهم اتفقوا على إثبات حرف النفي مع النفس اللوامة فكلهم قرأ *ولا أقسم بالنفس اللوامة * .

ولا نريد أن نطيل الكلام على اقتران فعل القسم بـ *لا* ودواعيه فقد تكلم فيه المفسرون والنجاة بما فيه الكفاية والذي نريد أن نقوله ههنا: إن كل أفعال القسم المسندة إلى الله في القرآن الكريم مسبوقة بـ *لا* إذ ليس في القرآن
الكريم *أقسم* بل كلها *لا أقسم* ، وذلك نحو قوله تعالى: *فلا أقسم بمواقع النجوم* [الواقعة] وقوله: *فلا أقسم بالشفق* [الإنشقاق] ،
وقوله: *لا أقسم بهذا البلد* [البلد] وما إلى ذلك فليس القسم ههنا بدعاً من التعبير. وباختصار كبير نرجح أن هذا التعبير إنما هو "لون من ألوان الأساليب في العربية تخبر صاحبك عن أمكر يجهله أو ينكره، وقد يحتاج إلى قسم لتوكيده، لكنك تقول له: لا داعي أن أحلف لك على هذا، أو لا أريد أن أحلف لم أن ألأمر على هذه الحال، ونحوه مستعمل في الدراجة عندنا نقول: ما أحلف لك أن ألأمر كيت وكيت. أو ما أحلف لك بالله لأن الحلف بالله عظيم، إن الأمر على غير ما تظن فأنت تخبره بالأمر، وتقول له: لا داعي للحلف بالمعظمات على هذا الأمر"

أو كما ذهبت إليه الدكتورة بنت الشاطئ، وهو أن القصد من ذلك هو التأكيد "والتأكيد عن طريق النفي، ليس بغريب عن مألوف استعمالنا، فأنت تقول لصاحبك: لا أوصيك بفلان تأكيداً للوصية ومبالغة في الاهتمام بها، كما تقول: لن ألح عليك في زيارتنا فتبلغ بالنفي ما لا تبلغه بالطلب المباشر الصريح"

ومهما كان الرأي في دخول *لا* على فعل القسم، فإن هذا لا يغير شيئاً من أصل المسألة ، وهي أنه ابتدأ السورة بالقسم بيوم القيامة والنفس اللوامة

نفياً أو إثباتاً. وقد حاول المفسرون أن يجدوا المناسبة لاجتماعهما في القسم فقالوا: "المقصود من إقامة القيامة ، إظهار أحوال النفوس اللوامة ، أعني سعادتها وشقاوتها، فقد حصل بين القيامة والنفوس اللوامة هذه المناسبة الشديدة" .

وجاء في *التبيان في أقسام القرآن* : "وجمع سبحانه في القسم بين محل الجزاء وهو يوم القيامة ومحل الكسب وهو النفس اللوامة ولما كان معادها هو محل ظهور هذا اللوم وترتب أثره عليه، قرن بينهما في الذكر"

إن السورة مبنية على ما ابتدأت به من القسم، فهي مبنية على أحوال يوم القيامة ، وعلى النفس، ولا تكاد تخرج عن ذلك.

هذا أمر والأمر الآخر أنه تعالى لم يقسم بالنفس على صفة الإطلاق، بل أقسم بنفس مخصوصة ، وهي النفس اللوامة ، وهذا له طابعه الواضح في السورة كما سنبين.

إن الإنسان يلوم نفسه لأحد سببين:

إما أن يتعجل فيفعل ما لا ينبغي له فعله، فيندم على ذلك فيبدأ يلوم نفسه، لم فعلت ذاك؟ لم لم أتروِ؟

وإما أن يتراخى عن فعل كان الأولى له أن يفعله، وأن يغتنم الفرصة التي سنحت له، ولكنه قعد عن ذلك مسوفاً، ففاته نفع كبير، وقد لا تسنح له فرصة ، كالتي فاتت، فيبدأ يلوم نفسه. لم تباطأت، لم لم أفعل؟ لم لم أغتنم الفرصة ؟ ونحو ذلك.

والسورة مطبوعة أيضاً بهذين الطابعين من صفات

النفس اللوامة ، طابع العجلة التي تدعو إلى الندم واللوم، وطابع التباطؤ وتفويت الفرص الذي يؤدي إلى الندم واللوم أيضاً.

فالسورة مبنية إذن على ما ابتدأت به.

يوم القيامة ، والنفس اللوامة في حيالها: العجلة والتباطؤ.

أما يوم القيامة ، فقد تكررت أحواله في السورة في تناسق لطيف، إلى أي ختمت بقوله: *أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى* فتناسب بدء السورة مع خاتمتها.

آية *٣* :

ثم قال بعد القسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة :

أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه فعاد إلى القيامة .

والملاحظ في هذا التعبير أنه جمع بين نفس الإنسان ويوم القيامة أيضاً كما ابتدأت السورة فقال: *أيحسب الإنسان* أي: أيظن ذلك في نفسه؟ لحسبان أمر نفسي داخلي، ولم يقل مثلاً: *لنجمعنك إلى يوم القيامة * أو لتبعثن* ونحو ذلك فجمع بينهما في تناسق لطيف مع بداية السورة ، وهو احتيار فني رفيع.

ومن الملاحظ أننا لا نجد جواباً للقسم الذي ابتدأت به السورة ، وإنما نجد ما يدل عليه وهو هذه الآية . فجواب القسم محذوف ويقدره النحاة *لتبعثن* .

وهذا الحذف يتناسب هو والعجلة التي دلت عليه

النفس اللوامة وجوها ـ أعني جو العجلة ـ الذي طبعت به السورة .

ومن الملاحظات الأخرى في هذه الآية ، أنها مرتبطة بما ورد في آخر السورة وهو قوله: *أيحسب الإنسان أن يترك سدي* أجمل ارتباط حتى كأنهما آيتان متتابعتان تأخذ إحداهما بحجز الأخرى.

آية *٤* :

ثم قال بعدها:

بلى قادرين على أن نسوى بنانه.

إن هذه الآية تتناسب هي ما ورد في آخر السورة من قوله تعالى: *فخلق فسوى* إلا أن هذه تسوية مخصوصة بالبنان وتلك تسوية عامة . وكل آية موضوعة في مكانها المناسب فآية *نسوى بنانه* مرتبطة بقوله: *نجمع عظامه* فإن البنان عظام، فناسب ذلك بأن يكون بجنب *نجمع عظامه* أما الآية الأخر وهي *فخلق فسوى* فهي مرتبطة بالخلق العام للإنسان، فناسب ذلك الإطلاق والعموم فناسب كل آية موضعها.

وملاحظة أخرى في هذا التعبير، وهي أنه حذف منه عامل الحال، فقال: *بلى قادرين* ولم يذكر عامله، ولم يذكر عامله، ويقدره النحاة بقولهم: *بلى نجمعها قادرين وهذا الحذف يتناسب أيضاً والعجلة التي دلت عليها النفس اللوامة .

آية *٥* :

ثم قال بعد ذلك: *بل يريد الإنسان ليفجر أمامه* .

ومعنى الآية أن الإنسان يريد المداومة على شهواته ومعاصيه، ويقدم الذنب ويؤخر التوبة .

جاء في *الكشاف* في تفسير قوله تعالى: *ليفجر أمامه*"ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات، وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه. وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ يقدم الذنب ويؤخر التوبة ، يقول: سوف أتوب، سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله"

وجاء في *البحر المحيط* : "إن الانسان إنما يريد شهواته ومعاصيه، ويمضي فيها أبداً قدماً راكباً رأسه مطيعاً أمله ومسوفاً بتوبته" .

وارتباط الآية بالنفس اللوامة واضح، فإن الإنسان ههنا يسوف التوبة ، يتباطأ عنها ويغره الأمل حتى يموت، فيدركه الندم ويقع تحت مطرقة اللوم.

وانظر بعد ذلك كيف جاء باللام الزائدة المؤكدة في مفعول الإرادة ، فقال: *بل يريد الإنسان ليفجر* والأصل أن يقال: *بل يريد الإنسان أن يفجر* لأن فعل الإرادة متعد بنفسه لا باللام كما قال: *يريد الله أن يخفف عنكم* [النساء] غير أنه جاء باللام للدلالة على قوة إرادة الفجور والشهوات عند الإنسان وشدة الرغبة فيها. وهذه مدعاة إلى الندم البالغ، وكثرة لوم الإنسان لنفسه، فارتبط ذلك أحسن ارتباط بالنفس اللوامة .

ثم انظر كيف أنه لما بالغ في إرادة للفجور والرغبة فيه، بالغ في اللوم فجاء بصيغة المبالغة ، فقال: *اللوامة * ولم يقل *اللائمة * للدلالة على كثرة اللوم، فانظر المناسبة بين المبالغة في الفجور والمبالغة في اللوم، وكيف أنه لما بالغ في

أحدهما بالغ في الآخر.

آية *٦* :

ثم قال بعد ذلك:

*يسأل أيان يوم القيامة *

وهذا "سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة" وقد جاء بأداة الاستفهام *أيان* التي تدل على شدة الاستبعاد وهذا المتعنت المستبعد لقيام الساعة هو الذي يقدم الفجور والمعصية ويؤخر التوبة ، وهو المذكور في الآية السابقة .

آية *٧ - ١٠* :

وقال بعد ذلك: *فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر* .

وهذه الآيات كأنها جواب السائل عن موعد القيامة المستبعد لوقوعها. وقد بدأ التعبير بـ *إذا* الدالة على الزمان لأن السائل إنما سأل عن زمنها وموعدها، فكان الجواب بالزمان كما كان السؤال عن الزمان.

ومعنى: *برق البصر* دهش فلم يبصر، وقيل: تحير فلم يطرف، وبرق بصره، أي: ضعف.

وذكر البصر مع ذكر الشمس والقمر له سببه ومناسبته، فإن البصر يعمل مع وجود الشمس والقمر، أي: مع النور، فإذا لم يكن ثمة نور فلا يعمل شيئاً كما قال تعالى: *ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون* [البقرة] .

وفي هذا اليوم قد تعطل البصر كما تعطل الشمس

والقمر، فالبصر برق، والقمر خسف، وجمع الشمس والقمر.

ثم انظر كيف قال: *برق البصر* ولم يقل *عمي* أو نحو ذلك، فإن المراد تعطيله مع وجوده، كما فعل بالشمس والقمر، فإنه لم يزلهما ويذهبهما، وإنما عطلهما فهو تناسب لطيف.

ثم انظر كيف قال: *وجمع الشمس والقمر* إشارة إلى تعطيل الحياة الرتيبة إن استمرار الشمس والقمر على حالهما دليل على استمرار الحياة والدنيا إنما هي أيام وليال، وآية النهار الشمس وآية الليل القمر، فجمعهما معاً دليل على تعطيل الحياة التي كان يردوها مسوفو التوبة ، والمغترون بالأمل والذين يقدمون الفجور ممن تقدم ذكرهم بقوله: *بل يريد الإنسان ليفجر أمامه* ثم انظر بعد علاقة ذلك بالنفس اللوامة التي كانت تقدم الفجور، وتغتر بالدنيا ففاجأها ما يستدعي كثرة اللوم.

ثم انظر مناسبة ذلك للقسم بـ *يوم القيامة * ، و *اليوم* يستعمل في أحد مدلوليه لمجموع الليل والنهار فناسب ذلك ذكر الشمس والقمر، إذ هما دليلاً اليوم وآيتاه في الدنيا، أما يوم القيامة هذا فهو يوم لا يتعاقب فيه الشمس بالقمر، بل يجمعان فيه فلا يكون بعد ليل ونهار بل هو يوم متصل طويل.

وفي هذا اليوم يطلب الإنسان الفرار، ولكن إلى أين؟

آية *١١ - ١٢* :

ويبقى السؤال بلا جواب ثم يجيب رب العزة

بقوله: *كلا لا وزر* والوزر الملجأ، فلا ملجأ يفر إليه الإنسان ويحتمي به وإنما *إلى ربك يومئذ المستقر* والفار يطلب ملجأ يأوي إليه ويعتصم به ويطلب الاستقرار ولكن لا استقرار إلا إلى الله، فإليه وحده المستقر.

وتقديم الجار والمجرور يفيد القصر والاختصاص، فليس ثمة مستقر إلى سواه. وهذا التقديم يقتضيه الكلام من جهتين:

من جهة المعنى وهو الاختصاص والقصر، وتقتضيه فاصلة الآية أيضاً.

وتقديم *يومئذ* كذلك يقتضيه الكلام من هاتين الجهتين أيضاً. فالمستقر في ذلك اليوم خاصة إلى الله سبحانه، أما في الدنيا فالإنسان قد يجد مستقراً يأوي إليه ويستقر فيه، أما في ذلك اليوم، فلا مستقر لا إلى الله.

وتقديم *إلى ربك* على *يومئذ* له سببه أيضاً ذلك أن الإنسان في تلك الحالة ، يبحث عن مكان يفر إليه ويستقر منه، فقدم له ما يبحث عنه، وقال له: *إلى ربك يومئذ المستقر* لأنه هو الأهم، وهو المقصود.

واختيار كلمة *رب* ههنا اختيار مقصود، فالرب هو المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم. ورب كل شيء مالكه ومستحقه.

والفار إلى من يلتجئ؟ هل يلتجئ إلا إلى سيده ومالكه وصاحب نعمته ومدبر أمره والقيم عليه؟

فهو وزره وإليه مستقره، فهل ترى أنسب من كلمة *رب* ههنا؟

ثم إن اختيار كلمة *مستقر* اختيار دقيق محكم أيضاً، ذلك أن هذه الكلمة تدل على المصدر بمعنى الاستقرار، وتدل على اسم المكان بمعنى مكان الاستقرار، وتدل على اسم الزمان، بمعنى زمان الاستقرار.

وهي هنا تفيد هذه المعاني كلها، فهي
تفيد *الاستقرار* ، أي: إلى فك الاستقرار، وتفيد موضع الاستقرار وهو الجنة والنار أي إلى ذلك إلى هيئته تعالى .

جاء في *الكشاف* في قوله تعالى : *إلى ربك يومئذ المستقر* : "إلى ربك
خاصة *يومئذ* مستقر العباد، أي: استقرارهم، يعني أنهم لا يقدرون أن يستقروا إلى غيره وينصبوا إليه. أو على حكمة ترجع أمور العباد لا يحكم عليه غير كقوله: *لمن الملك اليوم* أو إلى ربك مستقرهم، أي: موضع فرارهم من جنة أو نار" .

وجاء في *البحر المحيط* : "المستقر، أي: الاستقرار أو موضع استقرار من جنة أو نار إلى مشيئته تعالى ، يدخل من شاء الجنة ، ويدخل من شاء النار بما قدم وأخر" .

وتفيد زمان الاستقرار أيضاً، أي أن وقت الفصل بين الخلائق، وسوقهم على مستقرهم عائد إلى مشيئته تعالى. فهم يمكثون في ذلك اليوم ما يشاء الله أن يمكثوا، ثم هو يحكم بوقت ذهابهم إلى مواطن استقرارهم، فكلمة *مستقر* أفادت ثلاث معان مجتمعة علاوة على ما تقتضيه الفاصلة في نهاية الآيات. ولا تغنى كلمة أخرى عنها، فلو أبدلت بها *الاستقرار* ما أدت تلك

المعاني، فهي أنسب كلمة في هذا الموضع.

آية *١٣* :

ثم قال بعد ذلك: *ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر* .

والمعنى أن الإنسان ينبأ بما قدم من عمل خير أو شر، وبما أخر من عمل كان عليه أن يعمله، فلم يعمله.

وهذه الآية متناسبة مع ذكر النفس اللوامة ، في أول السورة في حالتيها اللتين تدعوان إلى اللوم.

أن تفعل فعلاً ما كان ينبغي لها أن تفعله، فتلوم نفسها عليه، وهذا يدخل فيما قدم.

أو تقعد عن عمل كان ينبغي لها أن تعمله، فلم تعمله وهو يدخل فيما أخر.

آية *١٤ - ١٥* :

ثم قال بعدها: *بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره* .

بعد أن أخبر عن أحوال يوم القيامة فيما تقدم، عاد إلى النفس مرة أخرى. وهو اقتران يذكرنا بالاقتران بين يوم القيامة والنفس اللوامة في مفتتح السورة .

والمعنى: أن الإنسان يعرف حقيقة نفسه، ولو جاء بالحجج والأعذار.

آية *١٦* :

وقال بعدها: *لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقراءنه فإذا قرأنه فاتبع قراءنه ثم إن

علينا بيانه* .

وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها، أن الحجج والمعاذير إنما تلقى باللسان فارتبطت بقوله: *لا تحرك به لسانك لتعجل به* .

والضمير في *به* يعود على القرآن، ولم يجر له ذكر، وهو مفهوم من المعنى "وكان رسول الله eإذا لقن الوحي، نازع جبريل القراءة ، ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت إليه ملقياً إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضي إليه وحيه ... *لتعجل به* لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك" .

وأما قوله: *لتعجل به* فهو تعليل لتحريك اللسان، فالعجلة علة له هذا e.

إن العجلة المذكورة هنا تتناسب مع جو العجلة في السورة ، ثم إن ذكر سير القرآن من دون أن يجري له ذكر اختصار وإيجاز في الكلام مناسب لجو مجلة هذه، فقد تعاون كل من التعبير والتعليل لبيان هذا الغرض.

آية *١٧* :

وقال بعدها: *إن علينا جمعه وقرآنه*

الملاحظ في هذا التعبير أنه قدم الجار والمجرور على الاسم، وذلك لاختصاص والقصر والمعنى أننا نحن المتكلفون بجمعه في صدرك تلاوته للناس صحيحاً كاملاً وهذا مواطن من مواطن القصر، لأنه لا يمكن لأحد غير الله أن يفعل ذلك، فإن تثبيت النصوص في النفس وحفظها لمجرد سماعها وعدم نسيانها، وإلقاءها كما هي على مر

الزمن، إنما هو من فعل الله وحده فهو الذي يثبت في النفوس أو يمحو منها ما يشاء. إذن فإن ذلك عليه وحده وهذا التقديم اقتضاه المعنى كما اقتضته الفاصلة .

ولو أخر الجار والمجرور لأخل بالمعنى، ذلك أنه يقتضي عدم القصر ومعنى ذلك أنه يخبر بأنه متكفل بجمع القرآن في صدره، وليس المتكفل الوحيد وذلك كما تقول: *يشرح خالد لك هذا الأمر* فإنك ذكرت أن خالداً يشرح له الأمر ولم تفد أن خالداً يخصه بالشرح ولا يشرح لأحد غيره ولو قال: *لك يشرح خالد هذا الأمر* لأفاد أنه يخصه بالشرح ولا يشرح لأحد آخر. فتقديم الجار والمجرور على عامله يفيد القصر غالباً.

وهذا موطن قصر، إذ لا يمكن أن يفعل ذلك غير الله تعالى، أعني التكفل بتثبيت القرآن في النفس بمجرد سماعه.

وإدخال *إن* يقتضيه المعنى أيضاً في أكثر من جهة :

من ذلك أنها تفيد التعليل كما في قوله تعالى: *وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم* [التوبة] فهنا أفادت التعليل وبينت سبب النهي عن تحريك اللسان فقد قال: لا تحرك به لسانك، لأن جمعه في صدرك نحن نتكفل به. ولو لم يدخل *إن* لم يرتبط الكلام ولا نتفى معنى التعليل إذ لو قال: *لا تحرك به لسانك لتعجل به علينا جمعه وقرآنه* لم تجد له هذا الحسن الذي تجد، ولا نفصل الكلام بعضه عن بعض
فـ *إن* ربطت الكلام بعضه ببعض وأفادت التعليل.

ومن ذلك أنها تفيد التوكيد، وهذا الموطن يقتضي التوكيد إذ إن حفظ الإنسان لكل ما يلقى إليه بمجرد سماعه أمر غريب والتكفل به يحتاج إلى توكيد ولذا جاء بـ *إن* المؤكدة .

آية *١٨ - ١٩* :

وقال بعد ذلك: *فإذا قرأنه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه*

ومعنى: *فاتبع قرآنه* أي: اتبعه بذهنك وفكرك، أي: فاستمع له.

والإسناد إلى ضمير الجمع هنا له دلالة إضافة إلى التعظيم الذي يفيده من الجمع ذلك أن القارئ هو جبريل، وليس الله.

جاء في *التفسير الكبير* في قوله تعالى: *فإذا قرآنه فاتبع قرآنه* "جعل قراءة جبريل عليه السلام قراءته ... ونظيره في حق محمد عليه الصلاة والسلام *من يطع الرسول فقد أطاع الله* . وجاء في *البحر المحيط* : فإذا قرأناه، أي: الملك المبلغ عنا" .

وكذلك المبين في قوله تعالى: *ثم إن علينا بيانه* فالذي يبين للرسول يوضح هو الملك، فهو يقرأ بأمر الله ويبين بأمر الله فالأمر مشترك. الله هو الملك يبلغ، ولذا عبر بأسلوب الجمع، والله أعلم، وأظن أن الفرق موضح بين قوله: *فإذا قرآنه فاتبع قرآنه* والقول: *فإذا قرأته فاتبع قرآنه* .

والقول في التقديم في *ثم إن علينا* هو في الآية قبلها. فإن تقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص

أيضاً ذلك أن تبين ما أشكل منه مختص تعالى.

آية *٢٠ - ٢١* :

وقال بعد ذلك: *كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة *

والعاجلة يؤثرها بنو آدم على وجه العموم، ويقدمونها على الآخرة وارتباطها بما قبلها وهو قوله تعالى : *لا تحرك به لسانك لتعجل به* ظاهر فكلتاهما في العجلة وإيثارها، فالرسول **e**كان ينازع جبريل القراءة ولا يصبر حتى يتمها ليأخذه على عجل، والناس على وجه العموم يؤثرون العاجلة على الآخرة ، فهو طبع عام في البشر خلقوا عليه كما قال تعالى : *خلق الإنسان من عجل* [الأنبياء] فالموضوع إذن موضوع واحد هو العجلة .

وكلاهما يتعجل ما هو أثير لديه ومفضل عنده.

جاء في *الكشاف* في قوله تعالى : *كلا بل تحبون العاجلة * ، كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة : *وتذرون الآخرة* ... فإن قلت: كيف اتصل قوله: *لا تحرك به لسانك* إلى آخره بذكر القيامة ؟ قلت: اتصاله به من جهة التخلص منه إلى هذا التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة .

وجاء في *روح المعاني* في هذه الآية : "كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة * تعميم الخطاب للكل كأنه قيل: بل أنتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذا تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ويتضمن

استعجالك، لأن عادة بني آدم الاستعجال ومحبة العاجلة ... ومنه يعلم أن هذا متصل بقوله سبحانه: *بل يريد الإنسان ليفجر أمامه* فإن ملوح إلى معنى : بل تحبون الخ" .

إن هذه الآية كما هو واضح مناسبة لجو العجلة التي بنيت عليها السورة ، وهي متصلة ـ كما مر بنا ـ بقوله تعالى : *بل يريد الإنسان ليفجر أمامه* فإن الإنسان يسوف بتوبته ويغره أمله ويؤثر ما بين يديه ويغمس نفسه في شهواته، ويستحب عاجل حياته ولا ينظر فيما وراء ذلك من أمور الآخرة ، فهي متصلة بما قبلها وبقوله: *بل يريد الإنسان ليفجر أمامه* أتم اتصال.

كما أنها متصلة بالنفس اللوامة التي بنيت عليها السورة اتصالاً ظاهراً بالنفس اللوامة كما ذكرنا تلوم نفسها لأحد سببين:

إما أن تعجل فتعمل عملاً تندم عليه، فتلوم نفسها علة ذلك، وهذا ما أكده قوله: *كلا بل تحبون العاجلة * وإما أن تؤخر عملاً كان ينبغي لها عمله وقرتها خيره، فتندم عليه، فتلوم نفسها على ذلك وهذا ما يفيده قوله: *كلا بل تحبون العاجلة و تذرون الآخرة * فهو هنا عجل أمراً وترك آخر فندم من الجهتين ولام نفسه الحالتين، لام نفسه في العجلة ولام نفسه في الترك.

وما أحرى أن تسمى هذه النفس بالنفس اللوامة ، لأن دواعي اللوم لكاثرة عليها.

ثم انظر كيف اختار الفعل: *وتذرون* على *تتركون* ذلك أم في

تذورن* حذفاً واصله *توذرون* من *وذر* ليدل ذلك على طابع العجلة الذي يريد أن ينتهي من الشيء في أقرب وقت. فاختيار هذا الفعل المحذوف الواو، مناسب لجو العجلة .

و قد تقول: ولم لم يقل: *تدعون* وهو فيه حذف كما في *وتذرون*

والجواب ـ والله أعلم ـ أن
اختيار *تذرون* على *تدعون* له سببه ذلك أن الفعل *وذر* في عموم معانيه يفيد الذم، ومنه قولهم: امرأة وذرة أي: رائحتها رائحة الوذر، وهو اللحم، وقولهم *يا ابن شامة الوذر* وهو سب يكنى به عن القذف. وفي الحديث: *شر النساء الوذرة المذرة * بخلاف *ودع* فإن من معانيه الراحة والدعة وخفض العيش. وقد يفيد المدح ومنه قولهم، رجل وديع، أي: هادئ ساكن. في حين أن الموقف ذم فإنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة ، فاختار الفعل الذي يقال في عموم للذم ولم يختر الفعل الذي يقال في كثير من معانيه و أكثر معانيه للمدح. وهو اختيار فني رفيع.

آية *٢٢ - ٢٥* :

ثم قال بعد ذلك: *وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة *

هذا الصنفان هما ما يؤول إلى أحدهما الناس يوم القيامة . الذي يؤثر الآخرة ويعمل لها، والذي يحب العاجلة ويذر الآخرة . وهذه الآيات مرتبطة بأول السورة وهو القسم بيوم القيامة أتم ارتباط. فإنه في يوم القيامة ينقسم الناس إلى هذين

الصنفين.

ثم إن لاختيار كلمة *رب* وتقديم الجار والمجرور سببه أيضاً.

أما اختيار كلمة *رب* فهو أنسب شيء ههنا، فإن وجوه أهل السعادة تنظر إلى ولي نعمتها في الدنيا والآخرة ومربيها وسيدها الذي غذاها بالنعم وهداها إلى طريق السعادة ، وأوصلها إليه ولم تكن قد رأته من قبل. ولم يرد في السورة من أسماء الله تعالى غير لفظ *الرب* .

وأما تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى : *إلى ربها ناظرة * فللاختصاص، فإن هذه الوجوه لا تنظر إلا إليه، فإن النظر إليه يذهلها عن كل ما عداه وينسي أهلها ما عداه من النعيم، فإن أهل الجنة ما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه كما في الحديث الصحيح. فهذا من أوجب مواطن الاختصاص فالتقديم اقتضاه المعنى كما اقتضته موسيقى الفاصلة وهذا الجمع بين النضرة وسعادة النظر إلى وجهه الكريم، يشبه الجمع بين النضرة والسرور في قوله تعالى : *ولقاهم نضرة وسروراً* [الإنسان] .

ثم قال بعدها في الصنف الشقي: *ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة *

وهذه بمقابل الوجوه الناضرة ، وهي وجوه من آثر العاجلة ، وترك الآخرة ، وجوه من يريد ليفجر أمامه، الوجوه التي ينبغي لأصحابها أن كثروا اللوم لأنفسهم ويبالغوا في اللوم.

وتقديم *يومئذ* في الآيتين يفيد الاختصاص وهو ما يقتضيه المعنى الفاصلة ، فإن نضرة أصحاب

النعيم خاصة بذلك اليوم، أما في الدنيا ربما لم تعرف وجوههم النضرة . وكذلك أصحاب الوجوه الباسرة ، فإن البسور مختص بذلك اليوم، وربما كانت وجوههم من أنضر الوجوه في الدنيا.

*تظن أن يفعل بها فاقرة *.

والفاقرة : الداهية العظيمة التي تقصم فقار الظهر وأصلها من الفقرة والفقارة كأن الفاقرة تكسر فقار الظهر.

واختيار فعل الظن مناسب أحسن مناسبة لجو السورة والسياق مع أن الموطن موطن علم ويقين، وقد فسره أكثر المفسرين بالعلم واليقين، وذلك أن الإتيان بفعل الظن متناسب مع تأخير التوبة وإيثار العاجلة وتقديم الفجور، فإنه في الحياة الدنيا بنى حياته على الظن، فهو يظن أن سيمتد به العمر ويطول به الأجل، فيسوف بتوبته ويقم شهوته. وهذا الظن يرافقه إلى اليوم الآخر، فهو إلى الآن يظن وقوع الداهية ظناً، وهو إلى الآن في حال ظن وأمل لا في حال علم وبصيرة ، فهو لا يرى إلا اللحظة التي هو فيها، وما بعدها فهو عنده ظن لا يقين كما كان شأنه في الدنيا يقدم شهوته ويؤثر عاجلته ويقول: أيان يوم القيامة ؟

فانظر هذا الاختيار الرفيع لفعل الظن في هذا الموقف، وانظر تناسب ذلك مع النفس اللوامة التي لا ترى إلا ما هي عليه حتى تفوتها الفرصة ، ويفوتها معها الخير، ويدركها سوء العاقبة ، فتلوم نفسها على ما فرطت في جنب الله.

وذكر لاختيار فعل الظن سبب آخر هو أن الظان لا يعلم نوع العقوبة ، ولا مقدارها فيبقى رجلاً أشد

الوجل، خائفاً أعظم الخوف من هذا الأمر الذي لا يعلم ما هو ولا مداه ولا كيف يتقيه ألا ترى أن الذي يعلم ما سيحل به يكون موطناً نفسه على ذلك الأمر بخلاف الذي لا يعلم ماذا يتقي، وما مداه وما نوع تلك الفاقرة .

جاء في *روح المعاني* : "وجيء بفعل الظن ههنا، دلالة على أن ما هم فيه، وإن كان غاية الشر يتوقع بعده أشد منه وهكذا أبداً ... وإذا كان ظاناً كان أشد عليه مما إذا كان عالماً موطناً نفسه على الأمر" .

ولاختيار الفاقرة دون غيرها سبب سنذكره في مكانه.

واختيار تعبير *أن يفعل بها* بالبناء للمجهول دون أن يقول مثلاً: *أن تصيبها فاقرة* أو *تحل بها* أو نحو ذلك له سبب لطيف. ذلك أن قوله: *أن يفعل بها* معناه أن هناك فاعلاً مريداً يفعل بفقار الظهر ما يريد من تحطيم وقصم. أما القول: *أن تصيبها* أو *تحل بها* فكأن ذلك متروك للمصادفات والظروف، فقد تكون الفاقرة عظيمة أو هينة والفواقر بعضها أدهى من بعض. فقوله: *أن يفعل بها* أنسب اختيار في هذا السياق إذ لا تترك ذلك للمصادفات والموافقات، بل كان ذلك بقدر.

ثم إنه لم يقل: *أن نفعل بها* بإسناد الفعل إلى ذاته العلية، لأنه لم يرد أن ينسب إيقاع هذه الكارثة والشر المستطير إلى نفسه كما هو شأن كثير من التعبيرات التي لا ينسب الله فيها السوء إلى ذاته العلية نحو قوله: *وأنا لا ندري أشر اريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا*[الجن] وقوله *وإذا أنعمنا على الإنسان

أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤسا* [الإسراء] فلم ينسب الشر إلى ذاته.

آية *٢٦ - ٢٧* :

ثم قال بعدها: *كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق*

"والضمير في *بلغت* للنفس وإن لم يجر لها ذكر" . وعدم ذكر الفاعل ولا ما يدل عليه مناسب لجو العجلة الذي بنيت عليه السورة. ونحوه ما مر في حذف جواب القسم في أول السورة، وحذف عامل الحال *قادرين* وعدم ذكر ما جرى عليه الضمير في قوله: *لا تحرك به لسانك لتعجل به* وغيره مما سنشير إليه.

وقيل من راق وحذف الفاعل وإبهامه في *قيل* مناسب لإضماره وعدم ذكره في *بلغت التراقي* كلاهما لم يجر له ذكر، وكذلك الإبهام في *راق* مناسب لسياق الإبهام هذا، فإن كلمة *راق* مشتركة في كونها اسم فاعل للفعل *رقي يرقي* وهو الذي يقرأ الرقية على المريض ليشفى، وفي كونها اسم فاعل للفعل *رقي يرقى* بمعنى *صعد* ومنه قوله تعالى: *أو ترقى في السماء* [الإسراء] .

واختلف في تفسير هذه الآية على هذين الوجهين:

من يرقيه فيشفيه وينجيه من الموت؟

أو من يرقى بروحه إلى السماء أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟.

فالقائل مجهول، أهم أهله ومن يتمنى له الشفاء أم

هم الملائكة الذين حضروه أثناء الموت؟

فانظر جو الحذف والإبهام وكيف ناسب ما قبله.

آية *٢٨* :

وقال بعدها: *وظن أنه الفراق*

واختيار فعل الظن اختيار مناسب غاية المناسبة لما قبلها ولجو السورة كما ذكرنا، فهو إلى اللحظة الأخيرة في حال ظن وأمل ولا يزال فراق الحياة عنده ظناً من الظنون لا يقيناً، ومناسب لقوله: *تظن أن يفعل بها فاقرة* فهو في الموطنين، يفترض أن يكون في موقف علم ويقين ولكن مع ذلك لا يزال في موقف ظن.

جاء في *روح المعاني* : "والظن هنا عند أبي حيان على بابه وأكثر المفسرين على تفسيره باليقين. قال الإمام: ولعله إنما سمي اليقين ههنا بالظن لأن الإنسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها، فلا يحصل له يقين الموت، بل الظن الغالب مع رجاء الحياة" .

آية *٢٩* :

قوله: *والتفت الساق بالساق*

قيل: معناه لفهما في الكفن، وقيل: انتهاء أمرهما بالموت، وكل ما دل في تفسير الآية يراد به حالة من حالات الموت الذي حصل يقيناً لا ظناً.

آية *٣٠* :

إلى ربك يومئذ المساق

إن تركيب هذه الآية نظير آية *إلى ربك يومئذ

المستقر* فإن تقديم *إلى ربك* يفيد القصر والاختصاص، فإن الناس يساقون إلى ربهم وليس إلى مكان أو ذات أخرى، فسوقهم مختص بأنه إلى الله وحده لا إلى غيره.

وكذلك تقديم *يومئذ* فالمساق إليه سبحانه يكون في ذلك اليوم مخصوصاً، وهو يوم مفارقة الدنيا.

وقدم *إلى ربك* على *يومئذ* لأنه هو المهم لأنها جهة المساق ومنتهاه ومستقره. وقد قال في آية سابقة : *إلى ربك يومئذ المستقر* وقال هنا: *إلى ربك يومئذ المساق* فاختير لفظ *المساق* ههنا لأن الآية في مفارقة لروح الجسد عند الموت، فيذهب الميت بعد ذلم ويساق إلى ربه، ثم يوضع في القبر، والقبر ليس مستقراً ولا موطن إقامة ، وإنما هو موطن زيارة كما قال تعالى: *ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر* [التكاثر] فسماها زيارة ولم يسمها مكثاً أو إقامة .

أما الآية الأولى فهي في يوم القيامة ، يوم قيام الناس من قبورهم والذهاب بهم إلى مستقرهم في الجنة أو النار، وقد سمى الله الجنة مستقراً وكذلك النار قال تعالى: *أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً* [الفرقان] فالمساق ينتهي إلى المستقر كما قال تعالى: *وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً* [الزمر] فهذه غاية المساق ومنتهاه، وكل

ذلك إلى الله رب العباد.

آية *٣١ - ٣٥* :

ثم قال بعدها: *فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى*

هذه الآيات فيها حشد من الفن عظيم عسى أن أوفق إلى بيان شيء من مظاهره. فمن ذلك:

١ ـ إن هذه الآيات وقعت بعد قوله: *والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق* وهذا النفي والإخبار فيها، إنما هو في الآخرة وهي من أحوال الآخرة وأخبارها، فارتبطت بقوله: *لا أقسم بيوم القيامة * .

٢ ـ كما ارتبطت بالنفس اللوامة من جهتيها الداعيتين إلى اللوم، فقد ذكرنا أن النفس اللوامة إنما تلوم نفسها لسببين:

إما أن تقوم بعمل لا ينبغي أن تقوم به فتندم فتلوم نفسها على ذلك، أو تترك عملاً ما كان ينبغي لها أن تتركه، فيفوتها خيره فتندم فتلوم نفسها على ذلك. والنفس هنا قدمت التكذيب والتولي: *ولكن كذب وتولى * وأخرت التصديق والصلاة *فلا صدق ولا صلى * فندمت في الحالتين فاقتضى ذلك أن تلوم نفسها من الجهتين، وأن تكثر ذلك وتبالغ في الملامة .

٣ ـ كما ارتبطت بقوله: *بل يريد الإنسان ليفجر أمامه* ذلك أنه كذب وتولى ، فقدم شهواته ومعاصيه.

٤ ـ وارتبط قوله: *فلا صدق ولا صلى

* بقوله: *يسأل أيان يوم القيامة * فهو مستبعد له مكذب به فهو لم يصدق ولم يصل.

٥ ـ كما ارتبط ذلك بقوله تعالى : *ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وآخر* فإنه قدم التكذيب والتولي وأخر التصديق والصلاة .

٦ ـ وارتبط قوله: *فلا صدق* بقوله: *بل الإنسان على نفسه بصيرة * ذلك أن التصديق أمر إيماني، وهو من دخائل النفوس التي لا يطلع عليها إلا الله. والإنسان أعلم من غيره بما في نفسه فهو على نفسه بصيرة ، ثم إن الإيمان كما يقال: تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان، فهو لم يصدق بالجنان *فلا صدق* وكذب باللسان، كما قال تعالى : *ولكن كذب* فأظهر التكذيب *وتولى * ولم يعمل بالأركان فانتفت عنه حقيقة الإيمان.

٧ ـ وارتبط عدم الصلاة والتولي بإلقاء المعاذير، فإنه سيسأل عن ذلك، فيحاول أن يدفع عن نفسه بالمعاذير.

٨ ـ وارتبط قوله: *فلا صدق* وقوله: *ولكن كذل* بقوله: *أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه* فإنه لم يؤمن، والإيمان باليوم الآخر من أهم أركان الإيمان.

٩ ـ وارتبطت هاتان الآيتان أعني قوله: *فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى * بقوله: *كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة * فهو قد أحب العاجلة ، فكذب وتولى وترك الآخرة .

١٠ ـ وارتبطتا بقوله: *وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة * فإنه لو صدق وصلى لكان من أصحاب

الوجوه الناضرة ، ولكن كذب وتولى فأصبح من أصحاب الوجوه الباسرة .

قوله: *ثم ذهب إلى أهله يتمطى *

يتمطى ، يتبختر وأصله من المطا، وهو الظهر، أي: يلوي مطاه تبختراً، وقيل أصله يتمطط، أي: يتمدد في مشيته ومد منكبيه قلبت الطاء فيه حرف على كراهة اجتماع الأمثال مثل تظنى من تظن.

وهذه الآية مرتبطة بقوله تعالى : *تظن أن يفعل بها فاقرة *

والفاقرة هي الداهية التي تقصم فقار الظهر. فهذا الذي يتبختر في مشيته ويلوي ظهره، سيقصم فقار ظهره، فلا يستطيع حراكاً. وهو جزاء من جنس العمل، أفلم يكن يلوي ظهره ويتبختر، فسيحطم هذا الظهر الذي طالما لواه وتبختر به.

وهذا أنسب عقاب له، ولو قال بدل ذلك مثلاً: ستصيبه داهية أو تحل به كارثة أو قارعة لم تجده يحسن هذا الحسن، ولا يرتبط به مثل هذا الارتباط، فإن ذلك لا يجانس تمطيه.

وهي مرتبطة أيضاً بقوله تعالى : *إلى ربك يومئذ المساق* فهو كان يذهب إلى أهله وينقلب إليهم متى شاء، أما الآن فإنه يساق سوقاً إلى ربه وسيده على الرغم من أنفه.

ثم انظر كيف قدم الجار والمجرور في السوق فقال: *إلى ربك يومئذ المساق* لأنه ليس له اختيار، وإنما هو مذهوب به إلى جهة واحدة . أما في الدنيا فهو ينقلب إلى أهله وإلى عمله، وإلى اصدقائه وإلى من شاء ليس ثمة حصر، ولذا لم

يقدم الجار والمجرور في الدنيا، فقد كانت له عليها الحرية ، أما الآن فهو مسوق سوق العبد إلى مولاه وربه وسيده.

ثم انظر كيف أنه لم يذكر *يومئذ* في الدنيا بخلاف يوم موته وسوقه فإنه كان في الدنيا يذهب كل يوم وليس في يوم معين، أما سوقه إلى ربه فذلك في يوم معين وهو يوم الفراق فلم يحتج إلى ذكر اليوم في الدنيا بخلاف يوم المساق.

فانظر كيف تقابل التعبيران والمشهدان

قوله: *أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى *

أولى لك* عبارة تقال على جهة الزجر والتوعد والتهديد تقول لمن تتوعده وتتهدده، *أولى لك يا فلان* أي: ويل لك، واشتقاقها من *الولي* وهو القرب، فهو اسم تفضيل يفيد قرب وقوع الهلاك.

جاء في *الكشاف* : *فأولى لهم* "وعيد بمعنى : فويل لهم، وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه: الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه" .

وجاء في *روح المعاني* : *أولى لك فأولى * "من الولي بمعنى القرب، فهو للتفضيل في الأصل غلب في قرب الهلاك ودعاء السوء، كأنه قيل: هلاكاً أولى لك بمعنى : أهلكك الله تعالى هلاكاً أقرب لك من كل شر وهلاك ... وفي الصحاح عن الأصمعي، قاربه ما يهلكه: أي نزل به ... وقيل: اسم فعل مبني ومعناه: وليك شر بعد شر" .

واختيار هذا الدعاء أنسب شيء ههنا، فهو دعاء عليهم وتهديد لهم بالويل القريب والشر الوشيك

العاجل، فهو مناسب لإيثارهم العاجلة وتقديمهم الفجور والشهوات وتأخيرهم الطاعات، فكما عجلوا في فجورهم وشهواتهم ومعاصيهم عجل لهم الويل والثبور. وهو مناسب لجو العجلة في السورة الذي ذكرنا قسماً من مظاهره.

لقد ورد هذا الدعاء في سورة محمد فقال: *فأولى لهم* غير أننا نلاحظ الفروق التعبيرية الآتية بينهما:

١ ـ إنه كرر الدعاء في سورة القيامة في الآية الواحدة فقال: *أولى لك فأولى * ولم يكرره في سورة محمد بل قال: *فأولى لهم* .

٢ ـ ثم إنه عاد فكرر الآية : *أولى لك فأولى * كلها في سورة القيامة ، فكان تكراران: تكرار جزئي في الآية ، وتكرار كلي للآية .

٣ ـ في آية *أولى لك فأولى * كرر لفظ *أولى * فقط ولم يكرر *لك* .

٤ ـ فصل بين الدعائين في الآية الواحدة بالفاء.

٥ ـ فصل بين الآيتين بـ *ثم* .

وبالتأمل في السياقين نجد السبب واضحاً.

قال تعالى في سورة محمد: *ويقول الذين أمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم* .

وقال في سورة القيامة : *فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلي أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى * .

وكل سياق يقتضي ما ذكر فيه من جهات متعددة منها.

إن المذكور في آية القيامة أشد كفراً وضلالاً من المذكورين في آية محمد، ذلك أنه قال في آية محمد: *رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت* وهؤلاء من ضعفة الدين.

جاء في *الكشاف* : "*الذين في قلوبهم مرض* هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام" .

وجاء في *روح المعاني* : "*رأيت الذين في قلوبهم مرض* أي: نفاق. وقيل: ضعف في الدين" .

في حين قال في سورة القيامة : *فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى * وربما أظهر الأول التصديق والصلاة في حين أن الثاني أظهر التكذيب والتولي، ثم ذهب إلى أهله متبختراً بذاك فهو إذن أولى بالوعيد الشديد.

٢ ـ إن المذكورين في سورة محمد أخبر عنهم وهم أحياء، والأحياء ترجى لهم التوبة ، وباب التوبة مفتوح، أما المذكور في سورة القيامة فأخبر عنه بعد الموت وقد مات على التكذيب والتولي وتحقق عليه الوعيد الشديد.

٣ ـ ذكر في آية سورة محمد صفة واحدة ، وهي الجبن عن القتال، فهددهم مرة واحدة في حين ذكر أكثر من صفة من صفات الكفر في سورة القيامة فكرر تهديده.

٤ ـ ذكر صفتين للمذكور في سورة القيامة وهما:

عدم التصديق وعدم الصلاة : *فلا صدق ولا صلى * ولكل منهما ذكر تهديداً:

فلا صدق ... ... أولى لك

ولا صلى ... ... فأولى

ثم كرر هاتين الصفتين وأكدهما بمعناهما، فقال: *ولكن كذب* وهي بمعنى *فلا صدق* ثم قال: *وتولى * وهي إثبات لعدم الصلاة وغيرها من الطاعات. فالآية الثانية تكرير وتوكيد لما نفاه عنه في الآية الأولى . ولذا كرر التهديد وأعاده، لأنه أعاد الصفتين كلتيهما بمعناها فقال: *ثم أولى لك فأولى * .

وعلى هذا فهو ذكر عدم التصديق وأكده بالتكذيب، وذكر عدم الصلاة وأكده بالتولي، ولكن تهديد ووعيد فكرره أربع مرات كل وعيد مقابل صفة .

٥ ـ لقد ذكر صفتين كما أسلفنا في سورة القيامة ، وهاتان الصفتان ليستا بدرجة واحدة من الضلال بل إحداهما أشد من الأخرى .

فالأولى : هي التكذيب أو عدم التصديق.

والأخرى : التولي ومنه عدم الصلاة .

وعدم التصديق أو التكذيب هو إنكار لإيمان من أساسه، فهو لم يصدق بالرسالة ولا ببقية أركان الإيمان.

والثانية : عدم الصلاة . جاء في *فتح القدير* : "*فلا صدق ولا صلى * أي: لم يصدق بالرسالة ولا بالقرآن ولا صلى لربه ... وقيل: فلا

آمن بقلبه ولا عمل ببدنه" .

ولا شك أن عدم التصديق، هو أكبر جرماً وضلالاً لأن صاحبه لم يؤمن أصلاً. أما عدم الصلاة فهو أخف. ذلك أن المؤمن إذا قصر في الطاعات تكاسلاً فقد يغفر الله له أو يتجاوز عنه، لأنه لا يزال في دائرة الإسلام. وقد قال أكثر الفقهاء أن المسلم إذا ترك الصلاة تهاوناً وتكاسلاً غير جاحد لفرضيتها لا يخرجه ذلك عن الإسلام.

أما إذا لم يؤمن ولم يصدق فلا ينفعه شيء، وإن فعل ما فعل من مظاهر الطاعة . ولذا كانت قوة التهديد بمقابل قوة الوصف. فقال مقابل *فلا صدق*أولى لك* فذكر *لك* ومقابل *ولا صلى *فأولى * بحذف *لك* إشارة إلى عظم الإيمان وأهميته، وإشارة إلى أن الصفتين المذكورتين ليستا بدرجة واحدة في الضلال.

فهذا الحذف ليس للفاصلة فقط، وإن كانت الفاصلة تقتضيه أيضاً، وإنما هو للمعنى وللفاصلة .

٦ ـ إن الصفتين لم يكررهما بلفظهما بل بمعناهما ومقتضاهما، وهما في لفظ الإعادة والتوكيد أشد سوءاً ونكراً مما ذكرهما أولاً.

فإنه قال أولاً: *فلا صدق* وقال في التأكيد والإعادة : *ولكن كذب* والتكذيب إنما يكون بالإعلان والإشهار أما عدم التصديق فلا يستلزم الإعلان، وقد تقول: *هو لا يصدق غير أنه لا يعلن تكذيبه* فربما لا يصدق إنسان بأمر غير أنه لا يكذب به.

فالتكذيب إذن أشد سوراً أو ضلالاً من عدم

التصديق.

وكذا قوله: *ولا صلى * فقد كرره وأكده بقوله: *وتولى * والتولي أعم من عدم الصلاة وأشد.

وعلى هذا فآية التوكيد أشد من الآية المؤكدة .

وقد فرق بين الآيتين بـ *ثم* وذلك لجملة أسباب:

منها أن *ثم* قد تفيد عموم البعد والتباين وليس المقصود بها التراخي في الزمن فقط، ومن ذلك قولهم: *أعجبني ما صنعته اليوم، ثم ما صنعته أمس أعجب* .

ونحو ذلك قوله تعالى : *فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذات متربة ثم كان من الذين أمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * [البلد] .

دخلت *ثم* لبيان تفاوت رتبة الفلك والإطعام من رتبة الإيمان.

فما بعد *ثم* أبعد في الرتبة مما قبلها، وكذلك ههنا فإن التهديد الثاني أقوى من الأول.

وقيل: إن التكرار عهنا مبالغة في التهديد والوعيد.

ومنها: أنه جاء بـ *ثم* لتوكيد الكلام، إذ أن جملة التوكيد قد يفصل بينها وبين المؤكدة بحرف العطف، تقول: والله ثم والله. وفي *روح المعاني* : "إنها كررت للتأكيد" .

وربما جاء بـ *ثم* للتراخي الزمني أيضاً، إذ هناك عذاب في القبر وعذاب في الآخرة ، وبينهما مدة مديدة كما قال تعالى في آل فرعون: *النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب* [غافر] .

فهم يعرضون على النار غدواً وعشياً في القبر، ويوم تقوم الساعة لهم عذاب أشد.

وعلى هذا يكون التهديد الأول في القبر والثاني في الآخرة ، وجاء بهما بـ *ثم* الدالة على المهلة والتراخي، والدالة على بعد ما بين تهديدين والعذابين في الشدة .

ونحوه ما قيل في قوله: *كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون* [التكاثر] فقد قيل: أن العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت والعلم الثاني في القبر.

جاء في التفسير القيم وقوله: "*كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون* قيل تأكيد لحصول العلم كقوله: *كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون* [النبأ] وقيل: ليس تأكيداً بل العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر، وهذا قول الحسن ومقاتل. ورواه عطاء عن ابن عباس."

ويدل على صحة هذا القول عدة أوجه:

أحدها: أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل، وقد أمكن اعتباره مع فخامة المعنى وجلالته، وعدم الإخلال بالفصاحة .

الثاني: لتوسط *ثم* بين العلمين، وهي مؤذنة ما

بين المرتبتين زماناً وخطراً ".

وجاء في *فتح القدير* في قوله: *أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى * "قيل: ومعنى التكرير لهذا اللفظ أربع مرات: الويل لك حياً والويل لك ميتاً، والويل لك يوم البعث، والويل لك يوم تدخل النار" .

٧ ـ لذا جاء بالفاء بين الأوليين لقربهما وتعجيلهما فقال: *أولى لك فأولى* فإن ما بين العذابين قريب، وهو عذاب الدنيا وعذاب القبر.

وكذلك جاء ما بين العذابين الآخرين بالفاء، لقربهما وتعجيلهما فقال: *أولى لك فأولى* فإن ما بين العذابين قريب، وهو عذاب الدنيا وعذاب القبر.

وكذلك جاء ما بين العذابين الآخرين بالفاء، لقربهما من بعضهما وهو *أولى لك فأولى* الثانية فإنهما متصلان بيوم القيامة ودخول النار. فكل عذابين قريبين من بعضهما فصل بينهما بالفاء. وقد فصل بـ *ثم* للفاصل الزمني البعيد بين كل منهما.

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، أنه جيء بالفاء الدالة على التعقيب بلا مهلة لمناسبة العجلة التي بنيت عليها السورة في قوله: *كلا بل تحبون العاجلة * وقوله *بل يريد الإنسان ليفجر أمامه* وغير ذلك من السياقات التي تدل على العجلة .

آية *٣٦* :

ثم قال بعد ذلك: *أيحسب الإنسان أن يترك سدى*

هذه الآية مرتبطة بأول السورة ، وهو القسم بيوم

القيامة ، ومرتبطة بقوله تعالى: *أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه* ومرتبطة بقوله: *ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر* ذلك أنه مجزي عن عمله ولا يترك سدى، بل سيعاقب على فعله، ومرتبطة بالآية قبلها وهي *أولى لك فأولى* ذلك أن معناها: أنه لا يترك سدة بل سيعاقب على فعله، ومرتبطة بما بعدها وبآخر السورة ، وهو قوله: *أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى*

وغنية هذه الوثاقة في الارتباط عن كل قول.

آية *٣٧* :

قوله: *ألم يك نطفة من منى يمنى*

حذف نون *يكن* لسببين ولله أعلم:

الأول: مراعاة لجانب العجلة الذي طبعت به السورة ، وتكررت مظاهره في أكثر من موطن، فحذف نون *يكن* للفراغ من الفعل بسرعة وهو الملائم لجو العجلة في السورة .

الثاني: أن الإنسان لا يكون إنساناً من المني وحده حتى يراق في الرحم، ويلتقي بالبويضة ، فبالمني والبويضة يكتمل الخلق وبهما يتم الإنسان، أما المني وحده، فلا يكون منه إنسان وكذاك البويضة وحدها. فنقص من فعل الكون إشارة إلى أن التطوير المذكور في الآيات هذه لا يكون إلا بهما معاً، أما المني فهو جزء من السبب. ولم يتم الفعل إشارة إلى ذلك.

ومعنى *يمنى* : يراق في الرحم، فإن لم يمن فلا تكوين، وهذا من مواطن الحذف البديعة .

آية *٣٨ - ٣٩* :

ثم قال: *ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى*

الملاحظ أنه لم يذكر فاعل الخلق ولا التسوية ولا الجعل ولم يجر له ذكراً فقد قال: *فخلق فسوى فجعل* وقد كان بنى الفعل قبلها للمجهول، فلم يذكر فاعله أيضاً، وهو قوله: *أيحسب الإنسان أن يترك سدى* فلم يذكر فاعل الترك، وعدم ذكر فاعل الخلق وما بعده مناسب لحذف فاعل الترك. وكل ذلك مناسب لجو العجلة في السورة .

والهاء في *منه* تعود على المني، فمن ماء الرجل يكون الذكر والأنثى، وليس للأنثى فيه دخل، ولم يكن هذا الأمر معلوماً حتى العصر الحديث، فقد ثبت أن الذكر هو المسؤول عن الجنس وليس الأنثى. وقد ذكره القرآن الكريم قبل اكتشاف قوانين الوراثة وعلم الأجنة فقال: *ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل *منه* الزوجين الذكر والأنثى*.

فأعاد الضمير على المني، ولو أعاده على العلقة لقال: *منها* ولم يعده على النطفة مع أنها هي القطرة من المني، لئلا يحتمل إعادته على العلقة وهذا إعجاز علمي علاوة على الإعجاز الفني.

آية *٤٠* :

ثم قال بعد ذلك: *أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى*

اسم *ليس* مكني غير مصرح به وهو اسم الإشارة *ذلك* وقد أشار به إلى ذات غير مذكورة في الكلام، فناسب ذلك عدم التصريح بالفاعل فيما تقدم من الأفعال.

وناسب آخر السورة أولها، فقد أقسم في مفتتح السورة بيوم القيامة ، وختمها بإحياء الموتى.

وقد تقول: ولم قال هنا: *أليس ذلك بقادر* على سبيل التقرير، وقال في أوائل السورة : *بلى قادرين* على سبيل الإثبات؟

والجواب أن إحياء الموتى أصعب وأعسر من تسوية البنان في القياس العقلي، وإن كانت الأفعال بالنسبة إلى الله كلها سواء، فجاء في آية إحياء الموتى بأسلوب التقرير الاستفهامي الدال على الأهمية وأكد القدرة بالباء الزائدة فقال: *أليس ذلك بقادر* في حين جاء بالإثبات في تسوية البنان، يقال: *بلى قادرين* ثم إنه حذف الفعل وصاحب الحال، وجاء بالحال أحدها، فقال: *قادرين* ولم يقل: *نجمعها قادرين* فأخلاها من كل توكيد في حين ذكر الجملة تامة ، مؤكدة في إحياء الموتى فدل ذلك على الفرق بين المقامين.

وفي ختام هذه اللمسات، نقول: إن هناك أكثر من خط فني في هذه السورة .

منها: خط مراعاة العجلة ، ومنها: مراعاة جانب القيامة ، ومراعاة الازدواج في التعبير وغيرها من الخطوط.

أما مراعاة جانب القيامة وجانب النفس اللوامة ، فالسورة مبنية عليهما أصلاً كما بينا. وسنشير إلى جانبين آخرين هما: مراعاة جانب العجلة ، ومراعاة الازدواج في التعبير. أما بقية الجوانب، فهي ظاهرة لا تحتاج إلى إيضاح.

فمن مراعاة جانب العجلة :

١ ـ حذف جواب القسم الذي افتتحت به السورة وهو *لا أقسم* .

٢ ـ حذف عامل الحال وهي *قادرين* .

٣ ـ عدم ذكر مرجع الضمير في قوله: *لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآنه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه* فالهاء لا تعود على مذكور.

٤ ـ عدم ذكر فاعل الفعل *بلغت* في قوله: *كلا إذا بلغت التراقي* ولم يجر له ذكر.

٥ ـ عدم ذكر فاعل الظن في قوله: *وظن أنه الفراق* ولم يجر له ذكر.

٦ ـ عدم ذكر فاعل *فلا صدق ولا صلى * .

٧ ـ حذف نون *يكون* في قوله: *ألم يك* .

ومن السياقات الواردة في العجلة :

١ ـ قوله: *بل يريد الإنسان ليفجر أمامه* والمعنى : أنه يؤثر العاجلة ، فيقدم شهواته.

٢ ـ قوله: *لا تحرك به لسانك لتعجل به* .

٣ ـ قوله: *كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة * .

أما ظاهرة الازدواج أو الاقتران بين الأمرين المتناظرين أو المتقابلين، فإن السورة مبنية كما يبدو على هذا الازدواج والاقتران.

فالسورة تبدأ بالقسم بشيئين هما: يوم القيامة ، والنفس اللوامة ، ثم تستمر السورة على هذا النحو من الاقتران والازدواج، فمن ذلك مثلاً:

١ ـ أنها أقسمت بشيئين هما يوم القيامة والنفس اللوامة .

٢ ـ وجمعت بين آيتين من آيات الله الكونية : آية الليل وآية النهار، وهما الشمس والقمر وذلك في قوله: *وجمع الشمس والقمر* .

٣ ـ وذكرت نوعين من العمل ينبأ بهما الإنسان، وهما ما قدم وما أخر *ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وآخر* .

٤ ـ وذكرت ما خفي في النفس وما يظهره الإنسان من الحجج والمعاذير وذلك في قوله: *بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره* .

٥ ـ وذكرت العاجلة والآخرة وذلك في قوله تعالى: *كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة * .

٦ ـ وذكرت الحب والترك وذلك في قوله: *تحبون* و *تذرون* .

٧ ـ وذكرت نوعين من الوجوه: الوجوه الناضرة ، والوجوه الباسرة .

٨ ـ ونفت اثنتين من الطاعات في قوله: *فلا صدق ولا صلى* .

٩ ـ وأثبتت اثنتين من المعاصي وذلك في قوله: *ولكن كذب وتولى* .

١٠ ـ وكررت آية واحدة مرتين وهي قوله: *أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى* .

١١ ـ وذكرت نعمتين من نعم أهل الجنة : نضرة الوجوه والنظر إلى الرب *وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة * .

١٢ ـ وذكرت عقوبتين من عقوبات أهل النار، بسور الوجه وقاصمة الظهر: *ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة * .

١٣ ـ وذكرت نوعين من الجمع، جمعاً في يوم القيامة وجمعاً في الدنيا. أما الجمع في يوم القيامة فهو قوله: *ألن نجمع عظامه* وقوله: *وجمع الشمس والقمر* .

وأما جمع الدنيا فهو جمع القرآن، وهو قوله: *إن علينا جمعه وقرآنه* .

١٤ ـ وذكرت نوعين من القدرة :

القدرة على تسوية البنان وهو قوله: *بلى قادرين على أن نسوي بنانه* والقدرة على إحياء الموتى، وهو قوله: *أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى* .

ذكرهما بطريقتين من الإثبات.

الإثبات الصريح: وهو قوله: *بلى قادرين* .

والإثبات على طريق التقرير *أليس ذلك بقادر* .

وإحداهما بحرف الجواب هو: *بلى* ، والأخرى بحرف السؤال وهو الهمزة : *أليس ذلك* .

١٥ ـ وذكر نوعين من التسوية :

تسوية جزئية مقيدة وهي تسوية البنان وهو قوله: *نسوي بنانه* .

وتسوية عامة مطلقة وهو قوله: *فخلق فسوى* .

١٦ ـ وذكر طورين من أطوار خلق الإنسان، وهما النطفة والعلقة .

١٧ ـ وذكر الجنسين وهما الذكر الأنثى: *فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى* .

١٨ ـ وذكر طريقتين من التعبير عن الله.

التعبير بالجمع *بلى
قادرين* و *نجمع* و *نسوي* .

والتعبير بالإفراد وذلك نحو قوله: *فخلق فسوى* .

إلى غير ذلك من مظاهر الازدواج.

* أسئلة متفرقة :

آية *٢٣* :

* ما الفرق بين ناضرة وناظرة في الآية *وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ *٢٢* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ *٢٣* القيامة *؟

د. حسام النعيمي

هذا فيه كلام لكن منهج أهل السنة والجماعة ومنهج جمهور المسلمين أن هذه الوجوه المؤمنة ستكون يوم القيامة من النضارة وهو الحُسن يعني وجوه حسنة مشرقة إلى ربها ناظرة من النظر وهي الرؤية وجمهور المسلمين وفقاً لأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - يرون أنهم سيرون ربهم لا يضارون فيه كما يرون القمر الآن. لكن السؤال هل بأعيننا هذه؟ الإنسان بمجرد أن يموت في لحظة موته ينتقل من قوانين إلى قوانين أخرى، قوانين الحاضر أو المشاهدة غير قوانين الغيب. نحن نعلم أن الرسول يقيناً إذا سلّمنا عليه يرد علينا السلام ولذلك نُكثِر من

الصلاة والسلام عليه حتى نتبارك بكثرة ردّه - صلى الله عليه وسلم - علينا. بقوانين الأرض كيف يردّ إنسان على ملايين الناس كلٌ في مكان في لحظة واحدة ؟ هو يقول - صلى الله عليه وسلم - يردّ الله تعالى عليّ روحي فأردّ السلام هذا في قاون وفي قانون آخر لما يحدثنا في الإسراء والمعراج وهو في طريقه إلى بيت المقدس رأى موسى - عليه السلام - يصلي في قبره خلف الكثيب الأحمر ثم لما وصل إلى بيت المقدس استقبله موسى - عليه السلام - هناك مع الأنبياء وصلى - صلى الله عليه وسلم - بهم ثم لما صعد إلى السماء وجد موسى - عليه السلام - في السماء السادسة . هذا لأن له قوانين أخرى. إذن ناضرة هي من الحُسن مكتوبة بالضاد التي هي الصاد المنقوطة والتي نحار الآن في نطقها وتناولن هذا في حلقة سابقة . النطق الصحيح لها ممكن أن ترخي لسانك وتخرج صوتك من حافة اللسان مع ما يليه من الأضراس جانبي ويمتد به الصوت كما يمتد بالشين. عدد من المسلمين يقول ناضرة هنا بمعنى منتظرة ، هؤلاء يعطّلون أحاديث كثيرة صحيحة وردت في الصحاح في البخاري ومسلم.

لهم رأيهم ولهم منهجهم وكلٌ له رأيه لكن نحن نعتقد برأي جمهور المسلمين.

آية *٢٦* :

* في قضية عودة الضمير على غير مذكور ودلّ عليه السياق هل يمكن إعطاؤنا مثالاً من القرآن؟

د. فاضل السامرائي

*كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ *٢٦* القيامة *فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ *٣٢* ص* الشمس هل التي توارت بالحجاب، *كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ *٢٦* الرحمن* الضمير يعود على غير مذكور ومعلوم من السياق.

آية *٣٥* :

* ما دلالة التكرار في قوله تعالى *أولى لك فأولى*ثم أولى لك فأولى* في سورة القيامة ؟

د. فاضل السامرائي

التكرار في القرآن الكريم جزء من الإعجاز. والآية فيها عطف على جزء من الآية بالفاء ثو عطف بـ *ثمّ* في الآية الثانية .

أولى لك عبارة تقال على جهة الزجر والتوعّد والتهديد، واشتقاقها من *الوَلي* وهو القرب فهو اسم تفضيل يفيد قرب وقوع الهلاك الويل كلمة دعاء عليهم بأن يليهم المكروه. واختيار هذا الدعاء أنسب شيء هنا فهو دعاء عليهم وتهديد لهم بالويل القريب والشر الوشيك العاجل فهو مناسب لإيثارهم العاجلة وتقديمهم الفجور والشهوات وتأخيرهم الطاعات فكما عجلوا في المعاصي عجّل الله تعالى لهم الويل والثبور وهو مناسب لجو العجلة في السورة . جو السورة هو في إيثار العاجلة عن الآخرة *كلا بل تحبون العاجلة * وتذرون الآخرة * ومن حُبّ الشخص للعاجلة عجّل له الويل فاستعمل *أولى* .
وكلمة *أولى* بعد الموت وفي النزع لأن العذاب يكون قريباً منه في هذه المرحلة . وفي قوله

تعالى *أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى* تكرار جزئي في الآية الواحدة وتكرار كلي للآية ، فلماذا التكرار الجزئي؟

قال تعالى *فلا صدّق ولا صلّى ولكن كذّب وتولّى * كل واحدة لها أولى لك *أي لكل منها تهديد* لكن هل هذه الأمور كلها متساوية وفي منزلة واحدة ؟ *لا صدّق* تعني أنه لم يؤمن بشيء، *لا صلّى * إذا لم يصدّق وفعل ما فعل من مظاهر الطاعة فلا ينفعه، أما إذا كان مؤمناً وتكاسل في الطاعات هذا تُرجى له التوبة والمغفرة ولا يخرج من المِلّة . إذن الأساس الأول هو التصديق فالأمران ليسا بمرتبة واحدة فجعل لكل واحد منها تهديداً. فعدم التصديق أكبر جرماً وضلالاً لأن صاحبه لم يؤمن أصلاً أما عدم الصلاة كما أسلفنا فهو أخفّ. فلذلك كانت قوة التهديد بمقابل قوة الوصف فقال مقابل *فلا صدّق*أولى
لك* فذكر *لك* ومقابل *ولا صلّى * قال *فأولى * بحذف *لك* إشارة إلى عظم الإيمان وأهميته وإشارة إلى أن الصفتين المذكورتين ليستا بدرجة واحدة في الضلال. وزيادة *لك* في قوله *أولى لك* للأهمية كما جاء في سورة الكهف *ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا* وفي الآية
الأخرى *ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا* . أما لماذا خصصت الصلاة بالذكر فلأن الصلاة هي أهم العبادات.

لماذا تكرار الآية *أولى لك فأولى * ؟ قال تعالى في الآية *ولكن كذّب وتولّى * وكذّب معناها لا صدّق وتولى من معناها عدم الصلاة . فكرر الأمران الأوليان بمعناهما وجاء *كذّب* مقابل لا صدّق وتولّى مقابل لا صلّى لذا كرر التهديد كما

في الآية الأولى ، وعدم التصديق أو التكذيب هو إنكار للإيمان من أساسه فهو لم يصدّق بالرسالة ولا ببقية أركان الإيمان. وقد ذكر تعالى عدم التصديق وأكده بالتكذيب وذكر عدم الصلاة وأكده بالتولي ولكل تهديد ووعيد فكرره أربع مرات كل وعيد مقابل ًكل صفة .

وجاء بالفاء بين أجزاء الآية *أولى لك فأولى* وجاء بـ *ثمّ* بين الآيتين، وثمّ ليست فقط للتراخي الزمني ولكنها تأتي للتوكيد أيضاً. فلا صدّق ولكن كذّب وكذّب أكثر من لا صدّق وتقتضي الاعلان والإشهار لذا هي أكثر من ولا صدّق. وتولّى هي في عموم الطاعات وهي أكثر من ولا صلّى لذا جاءت ثمّ للتراخي.

أما استخدام الفاء في *فأولى* الأولى لأن ما بين العذابين الأوليين عذاب الدنيا وعذاب القبر قريب وكذلك في الآية الثانية لأن ما بين العذابين الآخرين قريب وهو بين يوم القيامة ودخول النار، الآية *أولى لك فأولى* قيلت في حالة الإحتضار يبدأ العذاب في النزع ثم في القبر وبينهما مسافة قريبة لذا جاء بالفاء لقربهما أما الثانية *ثم أولى لك فأولى* جاءت في الحشر والنار وجاء بالفاء بينهما لقربهما أي الحشر والنار أما استخدام ثمّ بين القبر والحشر دلالة على التراخي والفاصل الزمني البعيد بين كل منهما ولأن بين القبر والحشر آلاف السنين، واستخدام ثم يفيد عموم البعد والتباين وليس التراخي في الزمن فقط. فالتكرار للفظ أولى أربع مرات دلالة على أن الويل لك حياً والويل لك ميتاً والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تدخل النار.

آية *٣٧* :

* ما اللمسة البيانية في حذف نون *يكن* في قوله تعالى *أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى* ؟

د. فاضل السامرائي

الحكم النحوي: جواز الحذف إذا كان الفعل مجزوماً بالسكون ولم يليه ساكن أو ضمير متصل. متى ما كان الفعل *كان* مجزوماً ويليه حرف متحرك ليس ساكناً على أن لا يكون ضميراً متصلاً يجوز فيه الحذف *يمكن القول لم يكن ولم يك* فتحذف النون تخفيفاً.

إما إذا كان ما بعده ساكناً فلا يجوز الحذف *لم يكن الرجل* لا يمكن القول لم يك الرجل.

ولا يجوز الحذف أيضاً لو كان ضمير متصل *لم يكن هو* لا يجوز قول لم يك هو.

إذن من حيث الحكم النحوي يجوز حذف النون أما السبب البياني: على العموم سواء في *يكن* أو في غيرها من الحذوف *تفرّق وتتفرق*اسطاعوا واستطاعوا*تنزّل وتتنزّل* في القرآن الكريم يوجد حذوف كثيرة يجمعها أمرين: هل هي في مقام إيجاز وتفصيل أو هل الفعل مكتمل أو غير مكتمل. عندما يأتي بالصيغة كاملة يكون الحذف أتمّ. إذا كان الشيء مكتملاً لا يُقتطع منه وإذا كان غير مكتمل يُقتطع منه.

من الأمثلة على حذف أو عدم حذف النون في فعل *تكن* قوله تعالى في سورة القيامة *أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى {٣٧}* حذفت النون هنا لأن النطفة هي من الذكر وهي غير مكتملة بعد وغير

مخصّبة وهي لا تكتمل إلا بعد لقاح البويضة إذن حال النطفة الآن غير مكتمل فحذف ما يدل على أن الفعل أصلاً ليس مكتملاً فلزم الإقتطاع أنها غير كاملة والحدث غير كامل.

آية *٣٩* :

* ما الحكمة في عدم استخدام كلمة الزوجين في الآية *وما خلق الزوجين الذكر والأنثى* ؟ كما يأتي في معظم الآيات التي فيها الذكر والأنثى كقوله تعالى: **فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى*سورة القيامة * وقوله: *وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى*سورة النجم* وانما قال: *وما خلق الذكر والأنثى* بحذف الزوجين؟

د. فاضل السامرائي

إذا استعرضنا الآيات في سورة القيامة نرى أن الله سبحانه وتعالى فسر تطور الجنين من بداية *ألم يك نطفة * إلى قوله *فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى* فالآيات جاءت إذن مفصلة وكذلك في سورة النجم *وأنه هو اضحك وأبكى* إلى قوله *انه خلق الزوجين الذكر والأنثى* . لقد فصل سبحانه مراحل تطور الجنين في سورة القيامة وفصل القدرة الالهية في سورة النجم أما في سورة الليل فإن الله تعالى أقسم بلا تفصيل هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قوله تعالى *إن سعيكم لشتى* يقتضي عدم التفصيل وعدم ذكر الزوجين. لماذا؟ لأن كلمة الزوج في القرآن تعني المثيل كقوله تعالى *وآخر من شكله أزواج* وكلمة شتى تعني مفترق لذا لا يتناسب التماثل مع الافتراق فالزوج هو المثيل والنظير وفي الآية *إن سعيكم لشتى* تفيد التباعد فلا يصح ذكر

الزوجين معها. الزوج قريب من زوجته مؤتلف معها *لتسكنوا إليها* وكلمة شتى في الآية هنا في سورة الليل تفيد الافتراق. فخلاصة القول إذن أن كلمة الزوجين لا تتناسب مع الآية *وما خلق الذكر والأنثى* من الناحية اللغوية ومن ناحية الزوج والزوجة لذا كان من الانسب عدم ذكر كلمة الزوجين في الآية .

آية *٤٠* :

* ما دلالة استعمال *ذلك* في الآية *فَانْظُرْ إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٥٠* الروم* و *أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى *٤٠* القيامة * وما دلالة الاختلاف في الأسلوب في الآيتين؟ ولماذا استعمل اسم الإشارة ذلك بدل الله أو ربك؟

د. حسام النعيمي

العرب تستعمل اسم الإشارة أحياناً للتعظيم وللتفخيم ولبيان علو المنزلة . بشار إبن برد الأعمى لما يقول:

بكّرا صاحبيَ قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

خلَف قال له: لم لم تقل فالنجاح في التبكير، قال لو قلتها لكانت ضعيفة وأردتها أعرابية *إن ذاك* . بعد ذلك يعقب عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز يقول له: "قلت بكّرا في النجاح فإن هذا من كلام المولّدين ولا أدخل في معنى القصيدة - وبشار كان فصيحاً - فهل كان هذا القول من خلف والنقد على بشار إلا للطف المعنى وخفائه واعلم

أن من شأن *أن* إذا جاءت على هذا الوجه أن تغني غناء فاء العاطفة ."

*إن ذلك لمحيي الموتى * يمكن أن نقول فذلك مُحيي الموتى لكن يفوت التأكيد
بـ *إن* وتكون *إن* هنا كأنها ربطت الجملة الجديدة بالجملة القديمة من غير رابط فهي في حال وصل وفصل في آن واحد. هذا قد نعود إليه لأن عبارة الجرجاني مهمة "فأنت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف مقطوعاً موصولاً معاً" . لما يستعمل *إن* في مثل هذا الموضع ويأتي بكلمة *ذلك* لغرض التعظيم *إن ذلك* العظيم الشأن غير كلمة إن الله أو كلمة إن الرب أو إن ربك لأن يكون فيها تكرار. *إن ذلك* أيضاً بوجود اللام لزيادة البُعد في النفس لعلوّ شأن الله سبحانه وتعالى .

وهنا نلاحظ في الآية الأولى : *فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ *٥٠* الروم* وذكر اسم الجلالة *فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ* لو قال: إن الله لمحيي الموتى كأن الكلام إنقطع ولكن لما قال *ذلك* ذلك إشارة إلى من سبق أن ذُكِر يعني: إن ذلك ذا الرحمة الذي يحيي الأرض بعد موتها هو نفسه محيي الموتى . فيها هذا المعنى الإضافي إضافة إلى التفخيم والتعظيم *إن ذلك العظيم الشأن* فيها أيضاً الربط فيما قبلها لأنه سبق أن ذكر اسم الله عز وجل *فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* إن ذلك الذي فعل كل هذا هو نفسه الله. *ذلك* تعني

الفاعل المُحدِث الله سبحانه وتعالى . وأيضاً في قوله *ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى *٣٨* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى *٣٩* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى *٤٠* القيامة * الله خلق، الله سوى ، فجعل، الفاعل الله، أليس الذي فعل كل هذه الأشياء *يشير إلى تلك الأفعال* لما يقول الله أو الرب كأنه الاسم المجرد لكن الإشارة بـ *ذلك* ربطت بالمعاني السابقة لأنه كما قلنا في المرة الماضية عن الجرجاني أنه قال: هنا إن وأليس جاءت كأنها وصلت وفصلت هي مفصولة لكن وصلت بربطها عن طريق الإشارة ، ربطت بما قبلها.

* تناسب فواتح سورة القيامة مع خواتيمها*

بدأت السورة بالقسم بيوم القيامة *لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ *١ * وختمت بالقيامة *أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى *٣٦ * إلى أن يقول *أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى *٤٠ * ، بدأت بالقيامة وختمت بالقيامة .

* تناسب خواتيم القيامة مع فواتح الإنسان*

السورتان الخامسة والسبعون والسادسة والسبعون. في أواخر القيامة قال *أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى *٣٦* أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى *٣٧* ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى *٣٨ * وفي الإنسان *هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا *١ * . سورة القيامة في القيامة وسورة الإنسان في الإنسان.

سورة الإنسان

* تناسب خواتيم القيامة مع فواتح الإنسان*

السورتان الخامسة والسبعون والسادسة والسبعون. في أواخر القيامة قال *أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى *٣٦* أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى *٣٧* ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى *٣٨ * وفي الإنسان *هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا *١ * . سورة القيامة في القيامة وسورة الإنسان في الإنسان.

* هدف السورة *

عليك الدعوة وعلى الله الهداية *إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا* آية ٣ ثم تتكلم السورة عن نوعين من البشر أناس استجابوا للدعوة وآخرين عاندوا ورفضوا الدعوة ومصير كل منهما في الآخرة . والإنسان يتحمل نتيجة أفعاله.

* لمسات بيانية في سورة الإنسان للأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي *

آية *١* :

*هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً {١} *

لو نظرنا في سياق السورة نجد أن آيات السورة تذكر الإنسان قبل وجوده وتذكره وهو نطفة أمشاج وتذكره فيما بعد كإنسان مكلّف وتذكره بعد خروجه من الدنيا إلى النعيم والمُلك الكبير أو الأغلال والسعير، فالسورة كلها تذكّره في كل مراحل الإنسان فهي بحق سورة الإنسان ولذا ناسب تسميتها سورة الإنسان.

والسورة تبدأ بقوله تعالى *هل أتى* .إن المفسرين وأهل اللغة عموماً يقولون هل هنا
معناها *قد* بمعنى *قد أتى* لكن لا يُقصد بها الإخبار وإنما *قد* مسبوقة باستفهام بمعنى *أقد أتى* فالاستفهام قائم والقصد منه التقرير وليس الاستفهام حقيقة . فالاستفهام حقيقة هو أن يسأل الإنسان *هل أتى* لا أن يُخبر الإنسان *قد
أتى* كما أننا لا نقول لشخص قد أنعمت عليك لكن تقول هل أنعمت عليه ليأتي الجواب منه بنعم.
فالله تعالى يسأل هل أتى على الإنسان فيجيب

الإنسان نعم فجواب السؤال لكل من يسأل هو نعم إذن من الذي خلق الإنسان بعد أن كان عدماً؟ إذا كان أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا فمن الذي خلقه؟ فالجواب *إنا خلقنا الإنسان* أياً كان هذا الإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً.

الآن نسأل من المقصود بهذا الإنسان الذي ذكره تعالى في مطلع السورة ؟ هنا أختلف المفسرون فقسم قال أن المقصود هو آدم - عليه السلام - لم يكن شيئاً مذكوراً عندما خلقه الله تعالى من الطين إلى قبل نفخ الروح فيه كان شيئاً ولم يكن مذكورا، وقسم آخر يقول هو الإنسان بدليل قوله تعالى *لقد خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج* يشمل ذرية آدم - عليه السلام - وليس آدم لأن آدم من تراب فكل واحد من البشر كان شيئاً في الرحم لكنه لم يكن مذكورا. لكن الذي يترجح والله أعلم أن الإنسان في الآية يشمل آدم - عليه السلام - ويشمل ذريته أي جنس الإنسان عموماً. ويأتي سؤال هنا في الحقيقة ما المقصود بـ *لم يكن شيئاً مذكورا* ؟ هل المقصود أنه لم يكن شيئاً أصلاً كقوله تعالى في سورة مريم *ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً* في خطابه لزكريا - عليه السلام - أو قوله تعالى *أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا* أو المقصود أنه خلقه أي كان شيئاً لكنه لم يكن مذكورا؟ فما دلالة كلمة *مذكورا* هنا؟ وهل هي منفية أو مثبتة ؟ مثل هذا التعبير في اللغة يحتمل معنيين وهذا من باب التوسع في المعنى ، فهو يحتمل نفي القيد أصلاً *لم يكن شيئاً* لا مذكوراً ولا غيره كما في قوله تعالى *لا يسألون إلحافا **يحسبهم الجاهل

أغنياء من التعفف* بمعنى أنهم لا يسألون لا ملحفين ولا غير ملحفين فيتعففون ولا يسألون الناس. وكذلك يحتمل نفي القيد فقط بمعنى كان شيئاً لكنه لم يكن مذكورا كما في قوله تعالى *وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين* لم ينفي خلق السماوات والأرض لكنه نفى اللعب.
وعليه فإن قوله تعالى *لم يكن شيئاً
مذكورا* تحتمل أنه أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً أصلاً مذكوراً أو غير مذكور وتحتمل أن يكون شيئاً لكنه غير مذكور.

يُبنى على هذا السؤال سؤال آخر: إذا كان المُراد المعنى الأول *أي النفي أصلاً* أي العموم فلَمِ ذكر كلمة مذكور ولم يقل كما جاء في سورة
مريم *ولم تك شيئا* بدون ذكر كلمة مذكور؟ هناك أكثر من سبب لذكر كلمة *مذكور* أولاً هي إشارة إلى تطور على جميع مراحل الإنسان فقد خلق الإنسان من لا شيء وكان شيئاً ولم يكن مذكورا ثم نطفة أمشاج ولو لم يقل مذكورا لأفاد أنه قفز فوق المرحلة الوسطى والسورة كما أسلفنا تتحدث عن تطور مراحل الإنسان وجميع أطواره قبل وجوده ووجوده وهو غير مذكور ووجوده وهو مذكور والنطفة وغيرها. إذن لماذا لم يستخدم كلمة مذكورا في سورة مريم؟ عدم ذكرها في سورة مريم هو المناسب لأن الآية في السورة خطاب لزكريا - عليه السلام - عندما دعا ربه ليهب له غلاماً فقال تعالى *إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى * فيتعجب زكريا *أنّى يكون لي غلام* فقال
تعالى *ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا* بمعنى أن الله تعالى خلقه ولم يكن شيئاً أصلاً ولو قال شيئاً مذكورا لا تظهر قدرة الله تعالى لأنها ستفيد

أنه كان شيئاً لكنه لم يكن مذكورا. فالخلق من أبوين أيسر عند الله من الخلق من العدم لكن الله تعالى يريد أن يُظهر أنه خلق زكريا ولم يكن شيئاً مذكوراً أي خلقه من العدم وهذا أصعب من الخلق من ابوين وكله عند الله تعالى سهل لكننا نتحدث من منطق البشر. والعموم يدل على القدرة الأكبر ولو قال في آية سورة مريم *شيئاً مذكورا* لم تؤدي المعنى المطلوب في الآية . وهذا أدلُ على القدرة ، كذلك في قوله تعالى *أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا* لم يأت بكلمة مذكورا هنا أيضاً لأن الخطاب في الآية للذبن أنكروا البعث فهم يسبعدون أن يعيدهم الله بعد موتهم فيخبرهم الله تعالى أن الإعادة أيسر من الإبتداء بالخلق من عدم ونفي الشيء هو أبلغ من الذكر.

ومن الملاحظ أيضاً في هذه الآية استخدام فعل أتى بدل فعل جاء والسبب أن القرآن يستعمل أتى فيما هو أيسر أما جاء فيستعمل فيما هو أشقّ وأصعب. وهنا قال تعالى *هل أتى على الإنسان* فالإنسان ليس فيه مشقة أو ثقل على اتيانه في مثل هذه الحالة استعمل أتى دون جاء.

وكذلك قدّم الجار والمجرور *على الإنسان* على الفاعل *حين* والأصل أو يتقدم الفاعل على الجار والمجرور لكن الكلام في الآية هو على الإنسان وليس على الدهر فالدهر يمر والكلام في الإنسان فهو أهم من الدهر في السياق الذي وردت فيه الآية فاقتضى تأخير الفاعل وتقديم الجار والمجرور.

آية *٢* :

*إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً {٢} *

بعد أن أثار تعالى السؤال في الآية الأولى *هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً* فإن السامع سيقول قطعاً نعم أتى عليه هذا الحين، فيُطرح سؤال آخر إذن: من خلق هذا الإنسان وأوجده؟ فيجيب الله تعالى *إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج* والإجابة جاءت بضمير التعظيم وبالتوكيد *إنّا* ضمير التعظيم مع التوكيد لأن هذا الأمر فيه عظمة وجلال. وقد قدّم اسم إنّ على الجملة الفعلية التي هي خبر إن. ومن جملة معاني التقديم هو القصر بمعنى نحن وحدنا خلقنا الإنسان على سبيل الحصر والقصر وقد أكد تعالى ذلك بـ *إنّ* وذكر ذلك بضمير التعظيم إذن فهو الخالق حصراً ليس معه شريك سبحانه.

وفي نفس الوقت قال *نبتليه* بضمير التعظيم بدليل أن الخالق والمبتلي جهة واحدة وهو الله تعالى لأنه أحياناً قد يكون الإبتلاء من إنسان على إنسان وهذا يدل على عظمة الأمر الذي يبتلي به. ثم قال *فجعلناه* وهذا الفعل منسوب إلى الله تعالى أيضاً وهو سبحانه الذي تفضّل على الإنسان بذلك فخلقه وأنشأه وهو الذي اختبره وذكر الوسائل التي يصحّ معها الاختبار.

الإنسان:

قال تعالى *إنا خلقنا الإنسان* وهنا نسأل من هو الانسان الذي ورد ذكره في الآية ؟ في الآية الأولى *هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا* اختلف في مدلول كلمة

الإنسان أهو آدم - عليه السلام - أم ذريته؟ أما في هذه الآية فالمقصود قطعاً هم ذرية آدم لأنه تعالى ذكر أنه خلقه من نطفة أمشاج وهذا لا يكون لآدم الذي خلقه من تراب. المرجّح في الآية الأولى أن المقصود بالإنسان المذكور في الآية هو آدم - عليه السلام - وفي الآية الثانية ذرية آدم - عليه السلام - فذكر الإنسان الأول ومن بعده وهذا يدل على القدرة وعلى الإيجاد والإستمرار ولذلك لم يذكر الضمير في الآية الثانية التي تدل على الإنسان فلم يقل مثلاً إنا خلقناه من نطفة أمشاج باستعمال الضمير بل قال تعالى *إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج* وهذا يدل على أن المقصود قطعاً ذرية آدم. وهذا كله يرجّح أن الإنسان في الآية الأولى يقصد بها آدم - عليه السلام - والإنسان في الآية الثانية يقصد بها ذرية آدم - عليه السلام - .

نطفة أمشاج:

الأمشاج لغة هي الأخلاط وكلمة أمشاج تستعمل مفرداً وجمعاً *مشيج ومشج والجمع أمشاج، مشيج تجمع على أمشاج مثل شريف وأشراف، ومشج تجمع على أمشاج مثل بطل وأبطال ومشج ومزج متشابهتان في المبنى والمعنى* ، وفي اللغة العربية كلمات عديدة تستعمل مفرداً وجمعاً مثل كلمة بشر وقد استعملت في القرآن الكريم للمفرد *أبشراً منا واحداً نتبعه* والجمع *ما أنتم إلا بشر مثلنا* سورة يس، وكذلك كلمة الفلك استعملت في القرآن للمفرد *وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون* سورة يس، وللجمع *حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة * سورة يونس، وكذلك كلمة طفل

تستعمل للمفرد والجمع وقد يستعمل جمعها أيضاً لأنها تجمع على أطفال *والطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء* و *وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم* . والأمشاج هي الأخلاط وكما قلنا تستعمل للمفرد والجمع ونسأل لماذا اختار الجمع على المفرد في هذه الآية ؟ كان من الممكن القول *نطفة مشيجة أو مشج* لكن اختيار الجمع لكثرة ما فيها من أخلاط وامتزاجات وهذا موجود في اللغة فيقال: بلد سبسب *أي قفر* وبلد سباسب، يمكن القول بلد سباسب إذا كثر فيه القفر كأن كل جزء من البلد هو سبسب والسبسب هي الأرض الواسعة الصحراء. كذلك نقول أرض قفر وأرض قفار والجمع تعني أن كأن كل جزء من الأرض قفر على حدة ، ولهذا قال تعالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج من كثرة ما فيها من أخلاط.

نبتليه:

بمعنى نختبره ونمتحنه. الفعل المجرّد بلى يبلو أما فعل ابتلى يبتلي ففيه مبالغة أكثر من فعل بلى مثل صبر واصطبر لأن صيغة افتعل فيها مبالغة مثل كسب واكتسب. إذن قال تعالى نبتليه وليس نبلوه دلالة على المبالغة في الاختبار. وقد استعمل القرآن الكريم نبلو وابتلى في مواضع عديدة فبعد غزوة أحد قال تعالى *وليبتلي الله ما في صدروكم* سورة آل عمران ثم بعد غزوة الأحزاب قال تعالى *هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدا* سورة الأحزاب. والقول أن الزيادة في المبنى تفيد الزيادة في المعنى غير مضطرد لأنه أحياناً يكون الأقل في المبنى أبلغ في المعنى مثل فعل حذر *صيغة مبالغة * وحاذر *اسم فاعل* ،

حذر أبلغ من حاذر وفيها صيغة مبالغة *وهذه الأمور تُعرف في أبنية الفعل وفي معانيه في علم الصرف ودلالة الصيغ مثل صيغة فعّل وافتعل وتفاعل واستفعل وغيرها* .

ونسأل الآن لماذا جاءت آية سورة الملك باستخدام فعل بلى يبلو في قوله تعالى *الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ {٢} * ؟ ولماذا جاء التخفيف في البلاء ولم يستعمل ليبتليكم؟ وما الفرق بينهما؟

لو قرأنا آية سورة الملك *الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ {٢} * لوجدنا أنها تنتهي بقوله تعالى وهو العزيز الغفور، والمغفرة تقتضي التخفيف أولاً لأن الإبتلاء والشدّة لا تتناسبان مع الغفور التي هي أصلاً صفة مبالغة أما صيغة ليبلوكم فهي أنسب مع المغفرة والتخفيف جزء من المغفرة . وهناك أمر آخر: نلاحظ في سورة الإنسان ذكر تعالى ما يصحّ معه الإبتلاء *فجعلناه سميعاً بصيرا*إنا هديناه السبيل* السمع والبصر والإختيار والعقل وأطال في ذلك فلما أطال في ذكر ما تردد أطال في صيغة الإبتلاء *نبتليه* أما في سورة الملك فلم يذكر أياً من وسائل الإبتلاء إنما ذكر خلق السماوات مباشرة في الآية التي بعدها فاقتضى استعمال الصيغة المخففة *ليبلوكم* .

أمر آخر أنه تعالى ذكر في سورة الإنسان شيئاً من ابتلاء الأعمال ما لم يذكره في سورة الملك. فذكر في سورة الملك آية في المؤمنين *إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {١٢} * وآية في الكافرين *وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا

بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {٦} * لكن في سورة الإنسان ذكر الإبتلاء في الأعمال *يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ
مُسْتَطِيراً {٧} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {٨} *فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً {٢٤} وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً {٢٥} وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً {٢٦} * وأفاض في ذكر النعيم في الآخرة مما لم يذكره في الملك *إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٥} * فذكر ما يستدعي الإبتلاء وذكر الكافرين *إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً {٢٧} * وذكر الظالمين *يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {٣١} * والظلم من نتائج الأعمال. إذن السياق والوسائل وما ذكر من الأعمال جعل ذكر الإبتلاء أنسب من كل ناحية من حيث الوسائل وجو السورة والسياق والأعمال هذا من حيث الصيغة .

يأتي سؤال نحوي هنا: قال تعالى *إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا* فما هو وضع نبتليه من الناحية النحوية في الآية ؟ نبتليه جملة فعلية تحتمل معنيين: الأول التعليل نبتليه بمعنى لنبتليه كما قال في سورة الملك لنبلوكم، الجملة اسمها استئنافية تفيد التعليل مثل: جئت أشتري داراً أو جئت أتعلم. والإحتمال الثاني أن تكون حال مقدرة من الفاعل. والحال مقسمة إلى ثلاثة أقسام من حيث الدلالة على الزمن:

١ - حال مقارنة : مثل جاء ماشياً أو شربت الماء بارداً وهذه أكثر أنواع الحال.

٢ - حال مقدّرة : تقع في الاستقبال يعني الفعل في زمن والحال في زمن آخر في المستقبل كما جاء في قوله تعالى *وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين* وهناك فرق بين الزمن عند تبشير إبراهيم باسحق ولم يكن عندها موجوداً حتى في رحم أمه، أو كقوله تعالى *لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين* والحلق والتقصير هي آخر الشعائر بعد الطواف والسعي. إذن الفعل يأتي في زمن والحال تأتي في زمن آخر في المستقبل.

٣ - حال محكية قد يكون زمنها ماضي.

نعود للحال المقدرة ودلالتها في آية سورة الإنسان: نبتليه جملة فعلية حال مقدرة من الفاعل فقوله تعالى *إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه* بمعنى مبتلين له أي الله تعالى هو المبتلي، ومحتمل أن تكون حال مقدرة من المفعول بمعنى خلقنا الإنسان مُبتلي مثل قوله تعالى *لقد خلقنا الإنسان في كبد* وأصلاً الحال يمكن أن تفيد عِلّة مثل *جئت طامعاً في رضاك* و *جئت مبتغياً عونك* هي حال وتظهر كأنها علة . إذن استخدام كلمة *نبتليه* أفاد معاني عدة وهذا من باب التوسع في المعنى لأنها احتملت أن تكون استئنافية للتعليل، أو حال مقدرة من الفاعل أو حال مقدرة من المفعول. ولو جاء الفعل باللام *لنبتليه* لما أفاد إلا معنى التعليل فقط وصيغة *نبتليه* أفادت عدة معاني وكلها مقصودة في الآية .

ونسأل لماذا لم تستخدم هذه الصيغة في آية سورة الملك لتفيد التوسع أيضاً؟ لأن التعبير في

سورة الملك لا يحتمل أصلاً لأنه تعالى ذكر في سورة الملك خلق الموت والحياة ولم يذكر الإنسان أصلاً فكيف تأتي الحال وهو لم يذكر الإنسان ؟ إذن لا يصح التعبير أما في سورة الإنسان فذكر الإنسان لذا جعل كل تعبير في مكانه الذي يؤدي المعنى المطلوب بأوسع صورة .

من الملاحظ في آية سورة الإنسان أن الله تعالى ذكر كل ما يصح معه الإبتلاء ومستلزمات الإبتلاء: السمع *سميعاً* والبصر *بصيرا* والعقل *إنا هديناه السبيل* والإختيار *إما شاكراً وإما كفورا* ولا يمكن للإنسان أن يكون شاكراً أو كفرواً إلا إذا كان عاقلاً، وذكر مادة الإختيار أي السبيل الذي هداه الله له وذكر موقف المكلّفين من الإختيار فقسم منهم شاكر وقسم كفور وذكر عاقبة الإبتلاء *الجنة والسعير* وذكر المبتلي *وهو الله تعالى * وذكر المبتلى *وهو الإنسان* فلم يدع شيئاً يخص الإبتلاء إلا وذكره في هذه الآية والإبتلاء لا يصح بدون هذه الأدوات كلها.

فجعلناه سميعاً بصيرا :

قدّم تعالى السمع على البصر في هذه الآية كما هو شأن الكثير من آيات القرآن في تقديم السمع على البصر لأن السمع أهم في باب التكليف والاختبار من البصر لأن فاقد السمع من الصعب تكليفه بخلاف فاقد البصر الذي يكمن تبليغه وتكليفه بشكل أسهل. والأمثلة في القرآن الكريم عديدة عن تقديم السمع على البصر كقوله تعالى *وهو السميع البصير*إنني معكما أسمع وأرى *إن السمع والبصر والفؤاد* .

وفي هذه الآية من سورة الإنسان قدّم تعالى السمع والبصر على الهداية فبعد أن قال تعالى *فجعلناه سميعاً بصيرا* قال *هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا* لأن السمع والبصر يوصلان المعلومات إلى العقل وبدونهما تتعسّر الهداية والأحكام في الغالب تأتي بما يقدمه السمع والبصر فهما إذن أي السمع والبصر سبيل للوصول إلى الهداية وسبيل العقل لفهم المعلومات. ومن الملاحظ أنه تعالى لم يفصل بين السمع والبصر بالواو كأن يقول *سميعاً وبصيرا* أنما جاءت الصفتان متصلتان *سميعاً بصيرا* لئلا يُفهم أنه تعالى خلق الإنسان على نوعين منهم من يسمع ومنهم من يُبصر.

وهنالك أمر آخر في هذه الآية أيضاً وهو لماذا استخدم صيغة المبالغة *سميعاً* ولم يستخدم *سمّاع* مثلاً؟

في القرآن الكريم يستعمل صيغة المبالغة *سميع* كما في قوله *وهو السميع البصير*السميع العليم* ويستعمل صيغة المبالغة *سمّاع* كما في قوله في سورة المائدة *يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {٤١} سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ

عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {٤٢} * وفي سورة التوبة *لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ {٤٧} * والفرق في استعمال الصيغتين في القرآن هو أن صيغة سميع استعملت في القرآن كوصف لله تعالى *وهو السميع البصير* ووصف للإنسان *سميعاً بصيرا* وهي في مقام المدح، أما صيغة سمّاع فلم تستعمل في القرآن إلا كوصف للإنسان وفي مقام الذمّ فقط.

إذن صيغة المبالغة سميع تستعمل في مقام المدح والإمتنان والتفضّل بالنعمة ففي آية سورة الإنسان وعلى ما جرى عليه في القرآن الثناء هنا بالإمتنان على الإنسان *سميعاً بصيرا* لذا اقتضى استخدام الصيغة *سميع* وليس *سمّاع* .

آية *٣* :

*إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً {٣} *

نلاحظ أنه كما قال تعالى في الآية السابقة *إنّا خلقنا* بالتوكيد وضمير التعظيم قال في هذه الآية أيضاً *إنا هديناه* بالتوكيد وضمير التعظيم أي بإسناد الفعل إلى نفسه تعالى لأن الهداية أمر مهم وهي الغاية التي خُلق الإنسان وقد تفوق خلق الإنسان. والخلق لِعِلّة كما قال تعالى *وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون* فإذا كان الخلق مؤكد فلا بد من أن تكون الهداية مؤكدة وكما أسند تعالى الخلق إلى نفسه في آية سورة الإنسان *إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج* أسند الهداية إلى نفسه أيضاً في قوله *إنا هديناه

السسبيل* ومن ناحية أخرى فإن المنهج الصحيح لا يستطيعه أحد إلا الله تعالى ولا يُنسب إلا إلى الله تعالى ولو تُرِك الناس إلى عقولهم لأصبحوا شيعاً وأحزاباً كلٌ يختار ما يشاء، إذن الطريق الصحيح للهداية لا يستطيعه إلا الله تعالى لأنه هو الذي خلق وهو أعلم بمصالح العباد.

إنا هديناه السبيل عدّى الفعل بنفسه وفعل هدى قد يتعدى بنفسه كقوله *اهدنا الصراط المستقيم* وقد يتعدى بـ *إلى* كما في قوله تعالى *يهدي إلى الحق* بمعنى يدلّه ويرشده إليه، وقد يتعدّى باللام كما في قوله *وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم* و قوله *إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم* وقد تكلمنا باستفاضة عن فعل هدى في شرح سورة الفاتحة *اضغط هنا للرجوع إلى سورة الفاتحة * . وفي هذه الآية قال تعالى *إنا هديناه السبيل* لأن التعدية بالفعل بإلى تقال لمن لم يكن في الطريق فتدله وترشده إليه فإذا وصل إلى الطريق يحتاج لمن يعرّفه به وبماذا في الطريق فحينها يتعدى الفعل باللام أما تعدية الفعل بدون حرف جر فتقال لمن كان في الطريق فتبين له مراحل في الطريق ومن لم يكن في الطريق أو كان بعيداً عنها فترشده إليها وتدله إليها. وقال تعالى مخاطباً رسوله - صلى الله عليه وسلم - *ويهديك صراطاً مستقيما* والرسول - صلى الله عليه وسلم - سلك الطريق وقال تعالى على لسان الرسل *وقد هدانا سبلنا* وهم أيضاً كانوا في الطريق. وقال تعالى *فاتبعني أهدك صراطاً سويا* في خطاب إبراهيم - عليه السلام - لأبيه الذي لم يكن في الطريق وكذلك قال تعالى مخاطباً المنافقين *ولهديناهم صراطاً مستقيما* .

إذن عدم تعدية الفعل في الآية بحرف جر جمعت المعنيين وبذلك أتمّ تعالى نعمته على الإنسان بأن يدلّه ويرشده إلى الطريق لما كان بعيداً عنها ويبيّن له معالم ومراحل الطريق عندما يصل إليها وقامت الحجة على الجميع إذن فالله تعالى يستحق الشكر على ذلك.

إما شاكراً وإما كفورا: شاكراً صيغة اسم فاعل وكفورا صيغة مبالغة لم يجعلهما على نمط واحد لم يقل إما شاكراً وإما كافراً أو إما شكوراً وإما كفورا. لأن الشكور قليل مصداقاً لقوله تعالى *وقليل من عبادي الشكور* ول قال تعالى شكورا لكان أخرج من بينهم الشاكرين وهم الأكثر فالآية حينها لن تشكل مجموعة الخلق الشاكرين. وكذلك لم يقل كافراً *اسم فاعل* لأن الكافر لم يستعملها القرآن الكريم مقابل الشاكر وإنما بمقابل المؤمن *فمنكم كافر ومنكم مؤمن* إذن لا تصح المقابلة *شاكرا* و *كافرا* لأن القرآن لم يستعملها هكذا. صيغة كفور يستعملها القرآن لأمرين: للكافر المبالغ في الكفر *إن الإنسان لكفور مبين*وكذلك نجزي كل كفور* ولجاحد النعمة غير الشاكر *إما شاكراً وإما كفورا*وكان الشيطان لربه كفورا* . وهنا يأتي سؤال: كي تكون كفرواً بمعنى غير شاكر في قوله تعالى *وكان الشيطان لربه كفورا* ؟ يدل على ذلك اللام في *لربه* لأن الكفر المقابل للإيمان يُعدّى بالباء لا باللام كما في قوله تعالى *إن الذين يكفرون بالله ورسوله*وكانوا بشركائهم كافرين* فلا نقول يكفر لله وإنما يكفر بالله. وكذلك الكفر المقابل للشكر لا يُعدّى باللام فكفران النعمة يتعدى بنفسه *فاشكروا لي ولا تكفرون* بمعنى كفر النعمة أو كفر صاحب

النعمة *وإن كفرتم* إذن ما هي اللام في *لربه* ؟ اللام هنا هي لام التقوية إذا جئنا بصيغة المبالغة أو اسم الفاعل هذا الفعل الذي يتعدى بنفسه يمكن إضافة لام التقوية له كما في قوله تعالى *وهو الحق مصدقاً لما معه* فعل صدّق يتعدى بنفسه واللام للتقوية وكذلك قوله تعالى* فعّال لما يريد* أي فعّال ما يريد. إذا تأخر الفعل أو كان مصدراً أو صيغة مبالغة قد يُؤتى باللام المقوّية كما جاء في قوله تعالى *وكان الشيطان لربه كفورا* .

أمر آخر أنه تعالى اختار الشكر على الإيمان في آيات أخرى منها قوله تعالى في سورة التغابن *هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {٢} * أما في آية سورة الإنسان اختار الشكر مع كفران النعمة لأن نعمة الخلق والهداية لا تقتضي الإيمان فقط وإنما تقتضي الشكر لأنه لما أنعم تعالى على الإنسان بالسمع والبصر والعقل والإختيار والهداية كل هذه نعم تقتضي الشكر فهو الإيمان وزيادة في الآية السابقة في سورة التغابن ذكر تعالى نعمة الخلق فقط أما في سورة الإنسان ذكر الخلق والهداية فكما زاد وتفضّل بأن جعل الخلق وزيادة ينبغي أن تكون الزيادة أيضاً فذكر الشكر وزيادة .

إنا خلقنا* لم يكتف بذلك بل قال *سميعاً بصيرا* وجعل له عقلاً واختياراً لذا يقتضي الإيمان وزيادة ثم النعم مثل قوله *هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة * فالنعمة تقتضي الشكر وليس مجرد الإيمان ومسألة الشكر والإيمان مناسب لجوّ السورة فقد جاء في سورة الإنسان قوله تعالى *إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا

شُكُوراً {٩} * وقوله تعالى *إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً {٢٢} * فذكر الشكر مناسب من جهة السياق ومن ناحية جو السورة الكلي .
وهناك أمر آخر حسّن اختيار الشكر *إنا هديناه السبيل* والسبيل هي الطريق المسلوكة الميسّرة السهلة وهناك فرق بينها وبين النجد *وهديناه النجدين* فربنا هدانا السبيل الميسرة للهداية وكونها ميسرة يستدعي الشكر ولما قال *وهديناه النجدين* أتبعها بقوله تعالى *ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ {١٧} * التواصي بالصبر لأن سلوك النجدين يحتاج لمجاهدة وصبر أما هداية السبيل الميسرة فتحتاج إلى شكر. إضافة إلى ما سبق من أين ما نظرنا فالسياق يستدعي الشكر.

وقد يرد السؤال: لماذا قدّم الشاكر على الكفور؟ قدّم الشكر لأنه قدّم ما يستدعي الشكر *النعم التي ذكرها* ثم أنه في السورة أفاض في ذكر جزاء الشاكرين في سبع عشرة آية من الآية *إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٥} * إلى قوله *إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً {٢٢} * في نهاية الآية بينما اختصر في عقاب الكافرين ولم يذكرهم إلا في آية واحدة هي *إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً {٤} * إذن الإفاضة في ذكر جزاء الجنة وذكر الشاكرين اقتضى تقديم الشاكرين على الكافرين، وهناك أمر آخر أنه تعالى قدّم الرحمة على العذاب في آخر السورة أيضاً *يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {٣١} * لذا بدأ بالشاكرين *إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً {٣} * فأول السورة وآخرها

على نفس النسق.

ثم إن هذا التقديم *الشاكر على الكفور* هو نظير ما تقدم في القرآن فحيثما اجتمع الشكر والكفر قدم الشكر على الكفر *ليبلوني أأشكر أم أكفر*ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر*واشكروا لي ولا تكفرون* إلا في آية واحدة فقط في سورة الزمر *إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {٧} * والسبب في ذلك أنه تقدم ذكر الكفر والكافرين في سورة الزمر *أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ {٣} * فناسب سياق السورة تقديم الكفر على الشكر وكذلك في آخر السورة ذكر عقاب الكافرين أولاً *وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ {٧١} * ثم جزاء الشاكرين *وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {٧٣} * . وقد قال الرازي إن القرآن كله كالسورة الواحدة بل كالآية الواحدة بل الكلمة الواحدة .

آية *٤* :

*إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً

وَسَعِيراً {٤} *

نلاحظ في هذه الآية أنه تعالى أكّد الإعتاد والعذاب *إنا أعتدنا* كما أكد الخلق والهداية سابقاً *إنا خلقنا، إنا هديناه* . وهنا يأتي سؤال وهو ما الفرق بين اعتدنا وأعددنا؟ القرآن الكريم يستعمل أعتدنا وأعددنا فلماذا استخدم هنا أعتدنا؟ لأن أعتد فيها حضور وقرب والعتيد هو الحاضر *هذا ما لدي عتيد* أي حاضر وقوله *وأعتدت لهن متكئاً بمعنى حضّرت أما الإعداد فهو التهيئة وليس بالضرورة الحضور كما في قوله تعالى *وأعدوا لهم ما استطعتم* بمعنى هيّأوا وليس حضروا وقوله *ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدّة * أما في سورة النساء فقال تعالى *وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {١٨} * لأنهم ماتوا فأصبح الحال حاضراً وليس مهيأ فقط، وكذلك ما ورد في سورة الفرقان *وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً {٣٧} * قوم نوح أغرقوا وماتوا أصلاً فجاءت أعتدنا. أما في سورة النساء *وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً {٩٣} * هؤلاء لا يزالون أحياء وليسوا أمواتاً فجاءت أعد بمعنى هيّأ.

ومما سبق نقول أنه في آية سورة الإنسان بما أن جزاء أهل الجنة بالحضور بصيغة الوقوع لا بصيغة المستقبل كذلك يقتضي أن يكون عقاب الكافرين حاضراً كما أن جزاء المؤمنين حاضر فقال تعالى في أهل الجنة *يشربون من كأس،

ولقّاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا* وجاء عقاب الكافرين حاضراً بصيغة الوقوع فقال تعالى *إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا* .

أما في آخر السورة فجاءت الآية *يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {٣١} * باستخدام *أعد* لأن الكلام في الآية عن أهل الدنيا وليس عن الآخرة .

إضافة إلى ذلك لم يرد في القرآن الكريم كلمة أعددنا مطلقاً أي أعدّ واستعمال الضمير *نا* وإنما يستعمل أعتدنا وهي خصيصة من خصائص التعبير.

تكلّمنا عن الفرق بين أعتد وأعدّ والآية التي قبل هذه الآية *إما شاكراً وإما كفورا* وفي هذه الآية قال تعالى *للكافرين* وهي ليست جمع كفور وإنما هي جمع كافر وكان المضمون أن يجعل الاعتاد لجمع الكفر وهي *كُفُر* على وزن فعول فُعُل مثل صدوق صُدُق ورسول رُسُل وهذا هو القايس. إذن لماذا قال *إما شاكراً وإنا كفورا* ثم قال *إنا أعتدنا للكافرين* ولم يقل *أعتدنا للكُفُر* ؟ لو قال أعتدنا للكُفُر لكان يذهب الظنّ أن العذاب يتناول المبالغ في الكفر وليس لغير المبالغ أي كأن الكافر لا يناله العذاب، لكن لمّا ذكر عقاب الكافرين غمن باب أولى أن يكون عقاب الكُفُور أكبر بمعنى أن هذا عذاب من دونه وهو الكافرين فكيف يكون عذاب الكُفُور؟ لا بد أنه أكبر وأشدّ.

سلاسل وأغلالاً وسعيرا* هنا العذاب بالسلاسل والأغلال والسعير فلماذا ذكر هذا النوع من العذاب؟ السعير هي جهنم للكافر عموماً لماذا ذكر

السلاسل والأغلال؟ ذكر تعالى أنه أطلق الحرية للإنسان *إما شاكراً وإما كفورا* والإختيار في الدنيا وهداه السبيل فلم يسلكها ولهذا قيّده الله تعالى في الآخرة لأنه ليس له أن يختار في الآخرة فكما أساء الإختيار في الدنيا قيّده
بالسلاسل *والحرية عكس القيد* والسلاسل تُقيّد حركة الأرجل والأغلال تقيّد حركة الأعناق
والأيدي كما في قوله تعالى في سورة المائدة آية ٦٤ *وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ* قيّد حركته على كل حال بمقابل الحرية المطلقة التي كانت له في الدنيا.

آية *٥* - *٦* :

*إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٥} عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً {٦} *

ورد في القرآن جمع الأبرار والبررة ونلاحظ أن القرآن الكريم يستعمل الأبرار للناس المكلّفين ويستعمل البررة للملائكة ولم يستعملها للناس أبداً *بِأَيْدِي سَفَرَةٍ {١٥} كِرَامٍ
بَرَرَةٍ {١٦} عبس* لماذا؟ الأبرار هي من الصيغ المستخدمة لجموع القلّة والناس قليل منهم الأبرار *قلة نسبية * مصداقاً لقوله تعالى *وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ
بِمُؤْمِنِينَ {١٠٣} يوسف* فاستعمل القَلّة النسبية بينما الملائكة كلهم أبرار فاستعمل معهم الجمع الذي يدل على الكثرة *بررة * .

ثم قال تعالى *يشربون من كأس كان مزاجها كافورا* والكأس هي الزجاجة التي فيها شراب فإذا كانت فارغة تُسمّى زجاجة . وفي الآية ذكر

تعالى صنفين من هؤلاء *الأبرار* الذين يشربون من كأس ممزوجة بالكافور وقسم آخر هم *عباد الله* في قوله تعالى *عيناً يشرب بها عباد الله* والمقصود بعباد الله هنا المقرّبون حسب بعض المفسرين وكلمة عبد الله هي أرفع وسام يصف الله تعالى به عبده فلمّا وصف تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - في أعلى مقام قال *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {١} الإسراء* وقال في نوح - عليه السلام - *ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً {٣} الإسراء* وهناك عبودية إختيارية وعبودية قسرية وهذه هنا عبودية اختيارية . إذن هناك نوعين من المكلّفين وهم أولهم الأبرار وهم يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، وثانيهم المقرّبون الذين يشربون من العين خالصة .

في قوله تعالى *يشربون من* عدّى الفعل بـ *من* وفي المقرّبين عدّى الفعل بالباء *عيناً يشرب بها عباد الله* وهذا يدل على أن جزاء المقربين أعلى من جزاء الأبرار ويقولون أن حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، فكيف دلّ على ذلك؟ هناك جملة أمور تدل على ما ذكرنا:

- أولاً بالنسبة للأبرار يُؤتى بكأس يشربون منها أما المقرّبون يشربون بها وهي تفيد الإلصاق بمعنى أقام بالعين وشري بها فإذن صار التلذذ بالنظر وبالشراب،

- ثانياً الأبرار يشربون من كأس ممزوجة بالكافور وليست خالصة *يشربون من كأس كان مزاجها

كافورا* وهي تُمزج بقدر أعمالهم في الدنيا أما المقرّبون فيشربون من العين صرفة خالصة ليست ممتزجة ،

- ثالثاً عدّى الفعل بالباء تدل على تضمين معنى روي به *يشرب به* بمعنى يرتوي به على خلاف الشرب الذي لا يدل على الإرتواء فالتعدية بالباء تدل على نزول في المكان والشرب الخالص والإرتواء منها. ورابعاً قال تعالى في عباد الله يفجرونها تفجيرا بمعنى يُجرونها حيث شاءوا ويقال في الآية أنه معهم قضبان من ذهب في أيديهم يجرونها حيث شاءوا وهذا يدل على أنه ليس فيها عناء ولكنها تتم بسهولة . وهناك فرق بين جزاء الأبرار وجزاء المقرّبين.

- ثم لو لاحظنا تكملة الآية *يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا* هؤلاء المقربون كما يقال يُعطون قصبان من ذهب أينما ضربوا تتفجر الماء خالصة من العين بأمر سهل في أي مكان يريدونه من أماكنهم وليس هناك مكان محدد لها.

وعليه فإن يشرب بها تفيد الريّ والشراب بها خالصة صرفاً وفيها لذة النظر بالإضافة إلى الإقامة في المكان وامكانية تفجيرها أينما شاءوا من أماكنهم ولم يأت هذا الوصف مع الأبرار.

ونسأل الله تعالى أن نشرب بها وعلينا أن نسأل الله تعالى ما هو أعلى وفي الأثر أن الله تعالى يعطي الناس أشياء كثيرة وأمثالهم لا يرون أن لهم مثل ما أعطى أؤلئك مع أن أعمالهم متساوية فيقول تعالى لهم هؤلاء سألوني فهل سألتموني؟ والله تعالى يُحب أن يُسأل ولذا علمنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "اللهم إني أسألك

الفردوس الأعلى" .

آية *٧* - *٨* :

*يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {٧} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {٨}

بدأ تعالى الآية بذكر الوفاء بالنذر لأن الوفاء بالنذر واجب ثم جاء بعده ذكر الوفاء بالواجب فكأنه ذكر النيّة المقابلة لعموم العمل فكل عمل تقترن به النية الخالصة لله فكأن قوله تعالى *يوفون بالنذر* هو العمل و *يخافون يوماً* هو النية ، وينبغي أن تكون النية مقابلة للعمل. وقوله تعالى *كان شرّه مستطيرا* بمعنى فاشياً منتشراً ويقال عن يوم القيامة كان شره مستطيرا بمعنى انتشر شرّه حتى ملأ السماوات والأرض قر يبقى ملك مقرّب ولا نبي مُرسل إلا جثا على ركبتيه. وفي اللغة استطار الشيء أي تفشّى الشيء وبلغ أقصى مدى .

وبعدها قال تعالى *ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا* . وهنا يأتي السؤال على ماذا يعود الضمير في كلمة *حبّه*؟ ذكر فيه أكثر من حالة وإن كان أظهرها على حبه يعني على حب الطعام مع حاجتهم إليه وهذا من باب الإيثار يطعمون الطعام مع أنهم محتاجون إليه مصداقاً لقوله تعالى *لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ {٩٢} آل عمران* ، ويحتمل أيضاً أن يعود على حب الاطعام فيعود على المصدر *الإطعام* كقوله تعالى *أعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، المائدة آية ٨* هو هنا تعود على العدل وهؤلاء يطعمون الطعام بطيب نفس وبدون

مَنّة ولا تكدير ، ويحتمل أيضاً أن يكون يعود الضمير على حب الله بمعنى ابتغاء وجهه كما تذكر الآية في نفس السورة *إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً {٩} * . فالضمير إذن يعود على الطعام من باب الإيثار وعلى الإطعام من باب الإحسان وعلى حب الله وهو من باب الإخلاص. وقد قال قسم من المفسرين أن أعلى هذه الإحتمالات أن يكون من باب الإيثار، وهو في الحقيقة يجمع المعاني كلها. ويأتي سؤال هنا لماذا ذكر الله تعالى كلمة الطعام *ويطعمون الطعام* ولم يقل *ويطعمون* ؟ ذكر الطعام حتى يصحّ عودة الضمير عليه ولو حذف الطعام لما عاد الضمير عليه وهو أعلى الأوجه كما قلنا سابقاً وهو الإيثار، فذِكر كلمة الطعام أفاد ثلاثة معاني ولو حذف لأفاد المعنى لكن الضمير لن يعود على الطعام وهو الإيثار *ويطعمون الطعام على حبه* .

ثم ذكر ثلاثة أصناف من البشر بالترتيب التالي *مسكيناً ويتيماً وأسيرا* فتقديم المسكين على اليتيم واليتيم على الأسير يفيد جملة أمور:

١ - التقديم بحسب الرتبة وحسب الحاجة : وتقديم المسكين لأن المسكين محتاج على الدوام وهو من المذكورين في باب الزكاة واليتيم قد لا يكون محتاجاً وقد يكون غني لكن المسكين يكون إطعامه على الوجوب والتطزع، أما الأسير قج يكون كافراً والكافر لا يدخل في باب الوجوب على أفراد المسلمين إنما يدخل في باب الوجوب على الحاكم أو ولي الأمر. وبدأ بالواجب *الوفاء بالنذر* وكذلك بدأ بمن هو أولى وهو المسكين أولاً ثم اليتيم ثم الأسير.

٢ - التقديم بحسب الكثرة : فالمساكين هم أكثر من اليتامى لأن اليتم يزول بالبلوغ أما المسكين فيبقى مسكيناً كذلك اليتامى أكثر من الأسرى لأن هؤلاء الأسرى لا يكونون إلا في وقت الحرب وهم أقل من اليتامى والمساكين وهذا ملحظ آخر للتقديم وهو تقديم الأكثر ثم الأقل.

٣ - وقد يكون للتقديم مسوّغ آخر وهو بحسب القدرة على التصرف. فالمسكين له الأهلية الكاملة على التصرف أما اليتيم فأهليته ناقصة حتى يبلغ أما الأسير فلا يمكن أن يتصرف حتى يأمر فيه صاحب الأمر.

وهناك عدة أمور تسوّغ التقديم بهذه الصورة وعندما ذكر الأسرى كان مناسباً لما ذكره في عذاب الكافرين *سلاسل وأغلالاً وسعيرا* لأن الأسرى يقيّدون بالأغلال والسلاسل.

ونأتي لسؤال آخر لماذا استعمل كلمة *ويطعمون* ولم يستعمل *ويتصدقون* ؟ والجواب حتى لا يخُصّ ذلك الصدقات أو يخصّ من تجب عليهم الصدقات أو تجب لهم الصدقات وليس كل المسلمين تجب عليهم الصدقة أو تجب لهم الصدقة لكن أراد عموم فعل الخير سواء كان الفاعل غنياً أو فقيراً وساء كان المُطعَم تجب عليه أو لا ويشمل المتصدَق عليهم وغير المتصدَق عليهم. وكلمة تطعمون تدل على فعل الخير العام وهذا المعنى لم تكن لتدل عليه كلمة يتصدقون.

آية *٩* :

*إِنمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً {٩} *

تتناول الآية الكريمة أمرين في إطعامهم الطعام وقد مرّ في الآية السابقة أنهم يطعمون الطعام مع حاجتهم إليه *على حبّه* وهذا أشهر الأوجه وأعلاها كما ذكرنا سابقاً، وأنهم مخلصون لله في إطعامهم في هذه الآية . وقوله تعالى *على حبّه* تدل على الإيثار وهنا في هذه الآية تدل على الإخلاص في قوله تعالى *لوجه الله* وهذا أعلى أنواع الإطعام أن يجتمع فيه الإيثار والإخلاص.

قال تعالى *إنما* ولم يقل مثلاً نحن نطعمكم فلماذا؟ إنما تفيد القصر والحصر في اللغة يعني تخصيص الإطعام لهذا الأمر *الغاية هي لوجه الله ولا يطعمون إلا لوجه الله* أي لا يبتغون شيئاً آخر وهذا هو أعلى أنواع الإخلاص. ولو قال نحن نطعمكم سيؤدي هذا إلى أمرين ويفيد أنهم يطعمون لوجه الله ولا ينفي إطعامهم لغير وجه الله بخلاف المعنى المقصود من الآية والتي هو قصر الإطعام لوجه الله تعالى فقط وهذا يفيد أن الأعمال كلها حصراً يجب أن تكون ابتغاء وجه الله تعالى.

ويقول بعض أهل اللغة أن القول *نحن نطعمكم* هي حصر بالتقديم *تقديم نحن على نطعمكم* نقول نعم ولكن هذا حصر بالفاعل وليس حصر بالقعل وهذا يُغيّر المعنى المقصود *يعني نحن لا غيرنا نطعمكم* وهذا معنى غير مطلوب في الآية ولا يصح لأن هناك غيرهم من يُطعم إما استخدام *إنما* في الآية فهي تفيد التخصيص الفعل *لا الفاعل* لوجه الله تعالى.

ثم قال تعالى في الآية *لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا

شُكُوراً* أي لا نريد مكافأة علي الإطعام بالعمل *لأن الجزاء هو المكافأة على العمل* ولا نريد شكراً باللسان. نلاحظ قوله تعالى *إنما نطعمكم* ولم يقل بعدها *قالوا لا نريد منكم جزاء ولا شكورا* أو يقولون، لكنه لم يذكر فعل القول حتى يشمل لسان الحال فهم لم يقولوا ذلك بلسانهم ولكن قالوه بلسان حالهم وقد يكون أبلغ. ومن المفسرين من يقول أنهم لم ينطقوا بهذا القول ليشمل لسان الحال ولسان النطق. وهذا من باب الإخلاص أيضاً أنهم قالوه بلسان حالهم.

ثم أن الآية بقوله تعالى *لا نريد منكم* ولم يستخدم مثلاً *لا نريد جزاء ولا شكورا* وهذا لتدلّ على أنهم يريدون الجزاء والشكر من رب العالمين فهم لم ينفوا إرادة الجزاء والشكر وإنما أرادوه من رب العالمين فقط لا من الناس الذين يطعمونهم، ولا يصح أصلاً أن نقول لا نريد جزاء ولا شكورا بشكل مطلق.

ثم نلاحظ أنه قدّم الجزاء على الشكر وهذا لأن الجزاء بالفعل أهم من الشكر باللسان فالناس فس الدنيا يهمهم الجزاء وليس الشكر باللسان فقط فالمطلوب الأول في العمل هو الجزاء لذا بدأ به سبحانه أما الشكر فهو ثناء باللسان ولا يُعدّ جزاء العمل.

وكذلك نلاحظ تكرار *لا* في قوله *لا نريد منكم جزاء ولا شكورا* ولم يقل *لا نريد منكم جزاء وشكورا* وهذا دليل على أنهم لا يريدون أي واحد من الجزاء أو الشكر على وجه الإجتماع أو على وجه الإفتراق حتى لا يُفهم أنهم قد يريدون أحدهم.

ثم نلاحظ أيضاً أنه قال لا نريد ولم يقل لا نطلب لأن الإنسان قد يريد ولا يطلب فنفي الإرادة أبلغ وأعمّ من نفي الطلب فهو إذن ينفي الطلب وزيادة *الإرادة * .

ثم نلاحظ استعمال
كلمة *شكورا* وليس *شكرا* الشكور تحتمل الجمع والإفراد في اللغة وهي تعني تعدد الشكر والشكر في اللغة يُجمع على الشكور ويحتمل أن يكون مفرداً مثل القعود والجلوس، وقد استعمل القرآن كلمتي الفسق والفسوق لكن لكل منها دلالته فجاءت كلمة الفسق مع الأطعمة والذبائح أما كلمة الفسوق فجاءت عامة لتدل على الخروج عن الطاعة . والجمع يدل على الكثرة أي لا نريد الشكر وإن تعدد وتكرر الإطعام باعتبار الجمع. وقد استعمل القرآن الكريم كلمة الشكور في الحالتين وإذا اردنا الشكور مصدراً فهو أبلغ من الشكر واستعمال المصادر في القرآن عجيب والذي يُقوي هذه الوجهة استعمال الشكور لما هو أكثر من الشكر. ولقد استعملت كلمة الشكور في القرآن مرتين في هذه الآية وفي آية سورة الفرقان *وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً {٦٢} * فقط واستعمل الشكر مرة واحدة في قصة آل داوود *يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ {١٣} سبأ* ومن ملاحظة الآيات التي وردت فيها كلمتي الشكور والشكر نرى أن استعمال الشكر جاء في الآية التي خاطب بها تعالى آل داوود وهو قلة بالنسبة لعموم المؤمنين المخاطبين في سورة الفرقان أو في هذه السورة

التي فيها الإطعام مستمر إلى يوم القيامة والشكر أيضاً سيمتد إلى يوم القيامة ما دام هناك مطعِمين ومطعَمين. إذن هو متعلقات الشكر في هاتين الآيتين أكثر من متعلقات الشكر في قصة آل داوود. وفي سورة الفرقان قال تعالى *لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكورا* وكلمة *يذّكّر* فيها تضعيفين فالذي يبالغ في التذكر هو مبالغ في الشكر فيبدو والله أعلم أن استعمال الشكور أبلغ من استعمال الشكر في آية سورة الإنسان.

آية *١٠* :

*إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً {١٠} *

هذه جملة مستأنفة تفيد التعليل. وهي تعطي السبب لماذا يطعمون الطعام ولا يريدون الجزاء ولا الشكور لأنهم يخافون من ربهم يوماً عبوساً قمطريرا. وقد وصف اليوم بالعبوس على المجاز لآن اليوم لا يوصف بالعبوس مثل العرب تصف الليل بالقاتم *مجاز عقلي* ومحتمل لإرادة الشمول والعموم فهو عبوس هو وأهله ومن فيه وما فيه هو وأهله لليوم ومن فيه. وعبوس صيغة مبالغة وقمطرير أي شديد العبوس وهي صيغة مبالغة تدلّ على الشّدة .

قال *إنا نخاف من ربنا* ومن قبل قال *لوجه الله* ولا فرق بين استعمال لفظي الرب والله *قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ {٦٤} * فالله هو الرب سبحانه.

وإذا استعرضنا الآيات السابقة نجد أنه تعالى قد

ذكر عبادتين ظاهرتين هما الوفاء بالنذر والإطعام، وعبادتين قلبيتين هما الخوف من اليوم الآخر والإخلاص لوجه الله، ونفى عنهم شيئين هما الجزاء والشكور، وذكر صنفين ممن يطعَمون هما صنف مسالم *اليتيم والمسكين* وصنف محارب *الأسير* ، وذكر صنفين من المسالمين هما المسكين واليتيم، وأحدهما بالغ والآخر قاصر.

آية *١١* :

*فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً {١١} *

لما ذكر أنهم يخافون ذلك اليوم قال ربنا وقاهم شر ذلك اليوم ولقاهم بدل العبوس النضرة وكلاهما في الوجه وبدل الخوف والسرور ومحلهما القلب، قابل العبوس بالنضرة وهما في الوجه وقابل الخوف بالسرور وهما في القلب. مقابل الخوف الأمن ولكنه قابل بين الخوف والسرور والعبوس والنضرة . السرور هو الأمن وزيادة وقد يكون الإنسان في أمن لكنه بلا سرور ثم نلاحظ أنه أيضاً مقابل الخوف قال السرور وليس الأمن ومقابل العبوس قال النضرة ولا تقابل العبوس لأن الوجه قد يكون غير عابس لكنه غير نضر. وهذا زيادة لأنه تعالى قال *من جاء بالحسنة فله خير منها* ولم يقابلها بمثلها بل بخير منها. فالسرور مقابل الحزن وليس مقابل الخوف، فالخوف عادة يكون قبل أن يقع الشيء فإذا وقع حزن الإنسان كما في قوله تعالى *لا خوف عليهم ولا هم يحزنون* فأصبح في حزن لذا ذكر العاقبة السرور. وقال أيضاً في الآية السابقة *يخافون يوماً* وقال في هذه الآية *فوقاهم الله شر ذلك

اليوم* ولم يقل يخافون شر اليوم وإنما جاءت الآية *يخافون يوماً* أما في هذه الآية فذكر تعالى *فوقاهم الله شر ذلك اليوم* وهذا يعني أنهم هم خافوا اليوم بما فيه من شرور ومصاعب وحساب وهو يوم عسير ومن شورو ذلك اليوم أنه *يجعل الولدان شيبا* لكنه تعالى وقاهم شر ذلك اليوم فقط ولم يقيهم اليوم ومشهد ذلك اليوم وفي هذا إنذار وتخويف كبيران فكل أنسان سيشاهد ذلك اليوم بما فيه وحسبه أن يقيه الله تعالى شر ذلك اليوم. إذن الله تعالى يقيهم شر اليوم ولا يقيهم مشد ذلك اليوم الذي سيشهده كل الناس أجمعين.

والفاء في قوله *فوقاهم* تفيد السببية في أغلب معانيها ولو كانت عاطفة أو يُنصب بعدها الفعل وهي تعني بسبب ما فعلوه في الدنيا وقاهم الله شر ذلك اليوم.

آية *١٢* :

*وجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً {١٢} *

في الآية السابقة قال تعالى *ولقّاهم* وفي هذه الآية قال *وجزاهم* لأن اللقاء يكون قبل الجزاء أي قبل أن يدخلوا الجنة وبعد اللقاء أدخلهم الجنة فصار الجزاء. *اللقاء أولاً ثم يأتي الجزاء بعده* جزاهم الله تعالى بعد اللقاء جنة وحريرا وقال تعالى *بما صبروا* و *ما* هنا تحتمل معنيين: إما أن تكون ما مصدرية بمعنى جزاهم بصبرهم وتحتمل أن تكون اسم موصول والعائد كحذوف بمعنى جزاهم بالذي صبروا عليه، من الطاعات والإيثار، وحذف العائد ليشمل المعنيين ولو ذكر العائد لتخصص بمعنى واحد وهذا من

باب التوسع في المعنى، إذن جزاهم للصبر ولما صبروا عليه. وجمع أمرين وهما الجنة والحرير والجنّة كما في اللغة هي البستان وفي الآخرة هي اسم لدار السعادة وفيها جنتان كما قلنا في لقاء سابق عن قوله تعالى في سورة الرحمن *ولمن خاف مقام ربه جنتان*راجع لمسات بيانية في آي القرآن الكريم* وقلنا أنه قد يكون للمتقي أكثؤ من جنّة ولهذا يجمع القرآن جنة على جنات كما ورد في الآيات *جنات عدن* و *جنات الفردوس* وهذه الجنات كلها في الجنة . وجزاهم جنة والجنة للأكل وجزاهم الحرير وهو للبس وهم أطعموا الطعام فقط لوجه الله فجزاهم الله تعالى أكثر مما فعلوا مصداقاً لقوله تعالى *من جاء بالحسنة فله خير منها* وفي هذه الآية زاد الحرير على الجنة وهذا يدل على كرم الله تعالى.

آية *١٣* :

*مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً {١٣} *

قد يسأل البعض عن تكرار فيها في الآية *متكئين فيها* ثم *لا يرون فيها* ألا يكفي أن تُذكر مرة واحدة ؟ فنقول لو حذف *لا* الثانية ولو قال مثل ما ذهب الظنّ إليه باستخدام *لا* مرة واحدة لوقع لبس ولكا أوهم أنه فقط عند الإتكاء لا يرون شمساً ولا زمهريرا وأنهم لو غادروا المكان لرأوا الشمس والزمهرير ولكن هذا المعنى غير مطلوب لأن المقصود بالآية أنه سواء عند الإتكاء أو عندما يغادروا المكان لا يرون شمساً لولا زمهريرا في كلتا الحالتين. فالتكرار إذن أفاد معنى آخر ولذا اقتضى تكرار *فيها* . والشمس هي دليل النور

والزمهرير في اللغة هو البرد الشديد وقد قيل في لغة العرب أيضاً أنه هو القمر فإذا أخذنا في الإعتبار المعنى الأول للزمهرير تكون الآية بمعنى لا يرون فيها لا شمس ولا قمر وإذا أخذنا المعنى الآخر للزمهرير وهو البرد الشديد تكون الآية بمعنى لا يرون فيها دفءً ولا برداً والدفء يأتي من الشمس والزمهرير من البرد فنفى البرد والحرّ ونفى القمر في آن واحد، ولهذا اختار كلمة الزمهرير لأنها تجمع بين هذين المعنيين. ولو استعمل القمر بدل الزمهرير لأفاد معنى واحداً فقط.

آية *١٤* :

*وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً {١٤} *

جمع تعالى لهم بين دنو الظلال وتذليل القطوف التي تفيد الدنو أيضاً وهذه القطوف لا يردها بُعد ولا شد وبهذا جمع إضافة إلى الدنو أنها ميسّرة وليس هناك ما يمنع من رد اليد عنها. فلماذا قال دانية باستخدام الصيغة الاسمية وذللت بالصيغة الفعلية ؟ الظلال ثابتة مستقرة فجاء بالصيغة الاسمية التي تدلّ على الثبوت أما القطوف فهي متجددة سواء كانت في جنّة أهرى أو في نفس الجنة وهي تتجدد كلما أكلوا منها أو قطفوا منها ولذا جاء بالصيغة الفعلية التي تدلّ على التجدد. وقد قيل فيها معنى آخر فقد جاء في الآية *وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا* قسم من المفسرين ذهب إلى أن المعنى وجنّة دانية عليهم ظلالها بمعنى لهم جنتان كما قلنا سابقاً *ولمن خاف مقام ربه جنتان* الأولى فيها جنة وحرير

والثانية دانية عليهم ظلالها.

آية *١٥* - *١٦* :

*وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا {١٥} قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً {١٦} *

بعدما ذكر الفاكهة ذكر الشراب بعدها وأنه يُطاف عليهم بها وذِكر المشروب بعد الطعام هو الجاري عليه في القرآن كله فحيث اجتمع الطعام والشراب في الدنيا أو الآخرة قدّم الطعام على الشراب *كلوا واشربوا ولا تسرفوا*وهو الذي يطعمني ويسقين* وغيرها. وذكر الطعام قبل الشراب لأن الطعام أهمّ.

ثم قال تعالى *قوارير من فضة * والمعلوم أن القوارير تكون من زجاج فكيف جمع بين القوارير التي هي من زجاج وبين الفضة ؟ ونقول أن الفضة هي فضة في صفاء القوارير وشفافيتها وهذه هي فضة الجنّة العجيبة . وقوله تعالى *قدّروها تقديرا* فيها معنيين الأول على مقدار حاجتهم لا أكثر ولا أقلّ والثاني على ما تشتهيه أنفسهم كيف تكون هيئة القوارير وشكلها أي قدّروها على ما يرغبه الشخص من هيئة وشكل. يأتون بما هو أحبّ لنفسهم والشراب نفسه مقدّر في شكل الإناء وترتيبه وفيما يُقدّم فيه.

وذكر في الآية فضة وأكواب من فضة وفي آية سورة الزخرف قال تعالى *يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٧١} * باستعمال ذهب وليس فضة فلماذا الاختلاف بين الاستعمال للفضة

في آية سورة الإنسان والذهب في آية سورة الزخرف؟

إذا استعرضنا الآيات في سورة الزخرف *ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ {٧٠} يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٧١} وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {٧٢} لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ {٧٣} * لو لاحظنا الآيات في سورة الإنسان والزخرف نلاحظ أنه:

١ - في سورة الزخرف ذكر أنهم المتقون *الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ {٦٧} * ثم أضافهم إلى نفسه تعالى وهذا أشرف فخاطبهم *يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ
تَحْزَنُونَ {٦٨} * ثم طمأنهم من الخوف مخاطباً إياهم مباشرة *لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ* وهذه مرتبة أعلى مما جاء في آيات في سورة الإنسان حيث جاء فيها *فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً {١١} *

٢ - وجاء في الزخرف أنهم جمعوا بين الإيمان والإسلام *الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
مُسْلِمِينَ {٦٩} * والإيمان هو التصديق بالقلب والإسلام هو الإنقيلد في العمل كما تذكر الآيات في القرآن *الذين آمنوا وعملوا الصالحات* وأحياناً يُقصد بالمؤمن المسلم. أما ما ورد في آيات سورة الإنسان فهي جزء من صفات المتقين التي جاءت في الزخرف لأن فيها العمل فقط *وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً
وَأَسِيراً {٨} * والإيمان يدخل فيه عموم العمل الصالح.

٣ - في الزخرف ناداهم الله تعالى مخاطباً إياهم مباشرة *ادخلوا الجنة * أما في الإنسان فجاء قوله تعالى *وجزاهم بما صبروا* وما جاء في الزخرف هو أعلى مكانة ولم يكتف بهذا بل إنه تعالى في الزخرف أدخلهم هم وأزواجهم *أنتم وأزواجكم* وهذا لم يرد في سورة الإنسان وهذا يدل على زيادة الإكرام في سورة الزخرف.

٤ - وقال في الزخرف *تُحبرون* وفي الإنسان *نضرة وسرورا* والحبور أعمّ وهو يشمل السعادة والسرور والبهاء والجمال والنعمة والإكرام المبالغ فيه وسِعة العيش أما ما في سورة الإنسان فهو جزء مما ذُكر في سورة الزخرف. ففي الزخرف إذن شمل ما جاء في سورة الإنسان وزيادة .

٥ - وقال تعالى أيضاً في سورة الزخرف *وفيها ما تشتهيه الأنفس* ولم يذكر ذلك في سورة الإنسان ثم قال *فيها خالدون* ولم ترد في سورة الإنسان وكلها تدل على الزيادات في النعيم.

٦ - ثم ذكر في سورة الزخرف *فيها فاكهة كثيرة * ولم يذكرها في سورة الإنسان لذا ناسب أن يأتي بصحاف من ذهب في الأولى وقوارير من فضة في الثانية .

٧ - والأمر الآخر أنه في سورة الزخرف لم يذكر الفضة أبداً وجو السورة شاع فيها ذكر الذهب والتنعّم والزخرف ففيها جاء قوله تعالى *وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ {٣٣} * فإذا كان هذا للذين كفروا بالرحمن في الدنيا فكيف يكون جزاء المتقين في

الآخرة أقل مما كان للكافر في الدنيا *سقف من فضة وعليها معارج* ؟ وسقف الفضة والمعارج هي أكثر من قوارير من فضة فكأنها تدل على أن الجنة جزاؤها أقل من الدنيا فلا يسمح جو السورة في الزخرف باستخدام قوارير من فضة فيها لأنه لا يناسب أن يعطي الله تعالى الكافر في الدنيا أكثر مما يعطي المتقين في الجنة . إذن ينبغي أن يكون للمتقين في الآخرة جزاء أعظم لذا جاء بصحاف الذهب جزاء المتقين في سورة الزخرف.

٨ - وفي سورة الزخرف ذكر تعالى أيضاً أن فرعون استكبر في نفسه وثم استخفّ بموسى - عليه السلام - كما في قوله تعالى على لسان فرعون مخاطباً قومه *فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ {٥٣} * فكيف يناسب ذكر الفضة في السورة إذا كان فرعون المكتبر العالي في الأرض يستعمل الذهب؟ فالأفضل أن جاء تعالى بالفضة والذهب كل في مكانها الذي ناسب جو السورة ووضع كل تعبير في مكانه يناسب سياق الآيات في كلتا السورتين.

هل البَدَل يفيد التوكيد؟

للبدل عدة أغراض منها:

أن يكون للإيضاح والتبيين **?** قد يكون للمدح أو الذمّ **?** قد يكون للتخصيص كما في قوله تعالى *وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآَنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ *١٥* قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا *١٦* الإنسان* .

التفصيل **?** قد يكون للتفخيم **?** قد يكون للإحاطة والشمول **?** وقد يكون للتوكيد أيضاً.

وللبدل أنواع لا مجال لذكرها في هذا المقام منها الاشتمال وبعض من كُلّ وغيره ولكل نوع من أنواع البدل دلالة وسياق.

آية *١٧* - *١٨* :

*وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا *١٧* عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا *١٨ *

قبل هذه الآية قال تعالى *وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآَنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ *١٥ * فلمّا ذكر تعالى أنه يُطاف عليهم بالآنية والأكواب ناسب أن يقول يُسقون وليس يشربون أما في الآية الأولى فلم يذكر الآنية أو الطائفين لذا جاء قوله تعالى *إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *٥ * وذكر الطائفين فيما بعد. ولفظ السلسبيل يوحي بالسلاسة وسهولة المسار هذا ما يقابل طعام الكفار الذي قال فيه تعالى *وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا *١٣* المزّمل* والذي يظهر أن الشراب المذكور في قوله تعالى *ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا* أعلى من الذي ورد في الآية السابقة ومن تسلسل الآيات فإن الشراب يُحمل إليهم ويُسقونه ثم أنه تعالى وصف آنية الشراب الذي يطاف عليهم بها *من فضة * ووصف الطائفين *لؤلؤاً منثورا* وهذه الأمور لم تُذكر في الآية الأولى. إذن فقد استوفى عناصر الطزاف كلها: الطائفين *ولدان* والمطوف عليهم *الأبرار* والمطوف به *الشراب والآنية * ولم يبق شيء لم يُذكر منها.

آية *١٩* - *٢٠* :

*وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ

حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا *١٩* وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا *٢٠ *

ونلاحظ أنه تعالى قال بعدها هذه الآية وولدان جمع ولد وهم صغار السّن. فبعد وصف الآنية من الفضة ووصف السقاة وصفهم باللؤلؤ المنثور لأنهم سراع في الخدمة ومنثورين في كل مكان في حين لما أخبرنا تعالى عن الحور العين *وَحُورٌ عِينٌ *٢٢* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ *٢٣* الواقعة * وصفهم بأنهم لؤلؤ مكنون أي في أماكنهم مستورين مُصانين غير منثورين في كل مكان. وفي سورة الطور وصف تعالى الغلمان باللؤلؤ المكنون *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ *٢٤ * فما السبب في ذلك؟ أولاً الوصف باللؤلؤ المكنون له جانبان: جانب الصون والحفظ باعتباره محفوظ في الصدف، وجانب آخر جانب الصفاء لأن اللؤلؤ أصفى وأنقى وأبيض ما يكون وهو في الصدف فإذا خرج من الصدف تغير لونه وقد يصبح أسود اللون خارج الصدف. فعندما يُقال مكنون يكون المقصود هذان الجانبان. لكن يبقى السؤال لماذا جاء في سورة الطور لؤلؤ مكنون للغلمان؟ الفرق بين الآيتين أنه في آية سورة الإنسان قال تعالى *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا *١٩ * لم يذكر *لهم* وإنما ذكر الولدان الذين يأتون بالأشياء كما يأمر الله تعالى أما في آية سورة الطور *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ *٢٤ * ذكر *لهم* بمعنى خاصّين بهم وليسوا عامّين كالذين ورد ذكرهم في آية سورة الإنسان، فأصبحوا مكنونين لأنهم أصبحوا في الأسرة والعائلة متخصصين في خدمتها.

أي عائلة ؟ إذا نظرنا إلى الآيات التي سبقت الآية المذكورة في الطور نجد قوله تعالى *وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ *٢١ * فالكلام عن الأسرة وهذه الأسرة أصبح لها خصائص كذلك قوله تعالى *ويطوف عليهم غلمان لهم* أي خاص بهم كأنهم لؤلؤ مكنون وسياق الآيات في سورة الطور فيه خصوصية شديدة للمؤمنين.

وقال تعالى *إذا رأيتهم* وإذا كما نعلم في اللغة تدل على التحقيق والتيقّن وهي ليست من باب الإفتراض ولهذا لم يأت بـ *إن* أو *لو* لأن إذا كما قلنا تستخدم لتيقّن الحدث أو للدلالة على الحدث الكثير الوقوع ولهذا جاءت كل الآيات التي تتحدث عن أحداث يوم القيامة
باستخدام *إذا* لأنها محققة الحصول .
أما *إن* فهي تستخدم للأمر الإفتراضي كما في قوله تعالى *فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض*وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً* و *إن كان للرحمن ولد* ليس موجوداً أصلاً وإنما هو افتراض وبعيد الحصول. أما *لو* فتستخدم للتمني ولما هو أبعد *لو أنفقت ما في الأرض جميعاً* وتأتي في الأشياء المستحيلة وما هو أبعد من *إن* أصلاً.

وقوله تعالى *إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا* تدل على تحقق الرؤية . وكذلك قوله *وإذا رأيت ثم رأيت* بمعنى إذا رأيت حيث وقفت هناك رؤية . ورأيت هنا وإن كان فعلاً متعدياً لكنه ليس بالضرورة ذكر المفعولين للفعل المتعدي وإنما يؤتى بالذي يناسب قصد المتكلم

فأحياناً يستعمل الفعل امتعدي استعمال اللازم أو يتعدى الفعل بمفعول به واحد وقد لا يؤتى بالمفعولين والأمثلة في القرآن كثيرة منها قوله تعالى *فأما من أعطى واتقى* لم يذكر لمن أعطى وما أعطى، أو يأتي بمفول به واحد كما في قوله تعالى *حتى يُعطوا الجزية عن يد* لم يذكر لمن يعطوها، وقوله *ولسوف يعطيك ربك فترضى* لم يذكر ماذا يعطيه، وقد يُذكر المفعولين كما في قوله تعالى *إنا أعطيناك الكوثر* . وهذ الإطلاق كم في قوله *لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا* وذكر المفعولين أو أحدهما أو عدم ذكرهما يكون بحسب ما يريد الكتكلم.

وقوله تعالى *وإذا رأيت* بمعنى مطلق الرؤية ليس هناك شيء محدد أو مكان محدد أينما وقعت الرؤية وهذا من دلالة القدرة والنعيم الذي في الجنة لعباد الله المؤمنين.

وقوله تعالى *إذا رأيتهم حسبتهم* قد يتساءل البعض أن كلمة حسبتهم بمعنى ظنّ وأن هناك تشابه في المعنى أو يحتملان دلالة قريبة كما في كلمتي النظر والرؤية . فنقول أن النظر قد لا يكون معه رؤية بمعنى تنظر إلى المكان سواء رأيته أم لم تره. والرؤية تفيد تحقق المرئي *وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون* لذا استخدم تعالى الفعل رأى هنا في الآية لتفيد تحقيق الرؤية .

* ما الفرق بين ثُم وثمّ؟

ثُم حرف عطف وثمّ اسم ظرف بمعني هناك *وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا *٢٠* الإنسان* لا تدخل حرف الجر على ثُمّ. ثُم حرف عطف لا يجوز إدخال حرف جر عليه.

آية *٢١* :

*عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا *٢١ *

يقول المفسرون أن عاليهم تعني فوقهم لكنها في الحقيقة لا تعني فوقهم لأن الفوقية لا تقتضي الملامسة فقد يكون الشيء ملامساً وقد لا يكون إذا كان فوقهم كما في قوله تعالى *أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ *١٩* الملك* وكذلك قوله *وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا *١٥٤ النساء * وقوله تعالى *أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ *٦* ق* فوقهم هنا تُعرف بالظرف المُبهم الذي ليس له حدود مثل كلمة يمين لا حدود لها كل ما على يميني يمين. وعليه فإن كلمة عاليهم تفيد الملامسة وتعني يلبسونها.

وقوله تعالى *وحُلّوا فيها أساور من فضة * هي مقابل ما ذكره للكافرين *سلاسل وأغلالاً وسعيرا* وهنا نسأل لماذا ذكر تعالى أساور من فضة هنا في سورة الإنسان بينما ذكر في مواضع أخرى في القرآن أساور من ذهب *أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا *٣١* الكهف* ومرة أساور من ذهب ولؤلؤ *جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا

حَرِيرٌ *٣٣* فاطر* قسم من المفسرين قال أنها تدل على المعاقبة أو الجمع أي مرة يلبسون ذهب ومرة فضة ومرة يجمعون بينها.

فلماذا جاءت ذكر اساور فضة في سورة الإنسان بينما جاءت من ذهب ولؤلؤا في سورة فاطر؟
يجب أن يكون هناك سبب لإختيار كل منها في السورة المناسبة وإذا نظرنا في سياق الآيات في سورة فاطر من قوله تعالى *إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ *٢٩* لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ
شَكُورٌ *٣٠* وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ *٣١* ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ *٣٢* جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
حَرِيرٌ *٣٣* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ *٣٤* الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ *٣٥ *

ففي سورة فاطر قال تعالى *إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ *٢٩ * وفي سورة الإنسان قال *يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {٧} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {٨} * والأكيد أن الانفاق سراً وعلانية هو أعم وأشمل من إطعام الطعام على حبه المسكين واليتيم والأسير.

ثم إن يتلون الكتاب ويقيمون الصلاة هي أرفع وأعلى من الوفاء بالنذر لأن النذر أصلاً مكروه شرعاً وفي الحديث: "النذر صدقة البخيل" فالأمو التي ورد ذكرها في فاطر هي أعم وأرفع وأعلى مما ورد في سورة الإنسان فتلاوة القرآن أوسع من إقامة الصلاة ولهذا قدّم التلاوة على الصلاة والإنفاق لأن الصلاة لا تصح إلا بتلاوة القرآن والتلاوة تكون في الصلاة وفي غير الصلاة .

ثم إن التلاوة والصلاة جاءت بصيغة المضارع بينما جاء الإنفاق بصيغة الماضي لتكرر التلاوة والصلاة أكثر من الإنفاق. فالوصف في سورة فاطر أعلى مما جاء في سورة الإنسان هذا أمر

والأمر الآخر أنه تعالى في سورة فاطر ذكر *يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله* بينما قال في سورة الإنسان *إن هذا كان لكم جزاء* ففي سورة فاطر توفية وزيادة وهما أعلى من الجزاء لذا ذكر الؤلؤ وهو الزيادة ، وكذلك في فاطر قال تعالى *إنه غفور شكور* وفي الإنسان *وكان سعيكم مشكورا* فزاد المغفرة على الشكر في سورة فاطر.

ثم ذكر في سورة فاطر *ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا* باسناد الفعلين إلى نفسه تعالى وهذا في مقام التكريم ثم ذكر الإصطفاء بالذات وهو من باب التكريم أيضاً. اصطفاهم هذا تكريم والتكريم الآخر هو الإسناد في قوله *أورثناهم* .

قسّم تعالى المصطفين إلى قسمين *مقتصد* و *سابق بالخيرات* ذكر السابقين وهم أعلى المكلفين فلا يناسب معهم أن يذكر الأساور من فضة لأنها قد تدل على أن الفضة

للسابقين مه أنه يجب أن يتميزوا لأنهم أعلة المكلّفين ولهذا جاء بأساور من ذهب لؤلؤا ليتناسب مع المذكورين.

قوله تعالى في فاطر *ويزيدهم من فضله*وذلك هو الفضل الكبير* يناسب الزيادة أيضاً لأن هذا الفضل يقتضي الزيادة

ذكر المغفرة والشكر مرتين *إنه غفور شكور* و *إن ربنا لغفور شكور* . من الناحية البلاغية ، لمّا ذكر تعالى *يتلون كتاب الله* قال *إنه غفور شكور* بجون اللام ولمّا ذكر الظالم لنفسه والمقتصد ذكر أنهم يخلون الجنّات ذكر اللام في قوله *إن ربنا لغفور شكور* لأنه هؤلاء محتاجون للمغفرة أكثر ولولا المغفرة لما دخلوا الجنة وهؤلاء أحوج إلى المغفرة من الأولين لذا أكد باللام *إن ربنا لغفور شكور* فالتأكيد جاء بحسب الحاجة إلى المغفرة .

قال تعالى في سورة الإنسان *حُلّوا أساور من فضة * وفي فاطر *يحلون فيها من أساور من ذهب* فيها تكريم لأن *من* تفترض الكثرة لأنهم أعلى من المذكورين في سورة الإنسان لأنه عندما نقول لأحد مثلاً إلبس هذه الثياب أو البس من هذه الثياب بالتأكيد الثانية أوسع لأن له أن يختار من بين الثياب ما يشاء.

ثم قال تعالى *حُلوا* بصيغة الماضي وفي سورة فاطر *يحلّون* بصيغة المضارع وفي الآيتين الفعل مبني للمجهول لكن في سورة الإنسان الإخبار بما هو حاصل أما في سورة فاطر فالإخبار بشيء لم يحدث بعد وفيه إخبارهم أنهم سيدخلون الجنة *يدخلون الجنة * لذا جاءت

يُحلّون.

يبقى السؤال لماذا قال في سورة الإنسان *يُطاف عليهم ويُسقون ويطوف عليهم* بصيغة المضارع مع أنه قال *جزاهم وحّلوا* بصيغة الماضي وهذا للدلالة على تجدد الطواف والإستمرار فيه فهو لا ينقطع ولا يناسب أن يقول تعالى *طيف عليهم* لذا جاء بصيغة المضارع في الطواف والسقيا. وكذلك يلبسون ويحلون لأن التحلية هي من الحلي والتزيّن.

وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا

طهور هي صيغة مبالغة على وزن فعول بمعنى الطاهر والمطهِّر والمبالغة فيهما والعرب استعملت كلمة طهور للشيئين وطهور مشتقة بالأصل من الفعل الثلاثي طهُر.

الطاهر ليس بالضرورة مطهِّر فكثير من السوائل طاهرة لكنها ليست بالضرورة مطهِّرة . واستعمال طهور هنا مناسب لسياق الآيات وتشتمل المعاني كلها الطاهر والمطهر والمبالغة فيهما. والصيغ لها فروق بيانية فيما بينها مثل غفّار وغفور كلتاهما صيغة مبالغة وكذلك همّاز وهُمزة كلتاهما صيغة مبالغة لكنها ليست متساوية في الدلالة . والعرب كانت تتحدث هذه اللغة فاللسان عربي أصلاً لكن الناس يختلفون فيه فيكون بعضهم أبلغ من بعض ويختلفون في اختيار الكلمات والسياق والبلاغة وتنتهي قمة الإعجاز في القرآن الكريم.

فلماذا استخدم كلمة *طهور* في الآية ؟ ذكر تعالى في الآيات السابقة من السورة *إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *٥ * و

*وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا *١٧ *
و *وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا* ذكر لنا تعالى ثلاثة أنواع من الشراب كل منها أعلى من الذي سبقها أولاً ذكر أنهم يشربون من كأس *كافورا* ثم في الثانية ذكر أنهم يُسقون كأساً *زنجبيلا* هنا الفعل مبني للمجهول وذكر الساقي *ولدان مخلدون* والآنية التي يُسقون فيها *آنية من فضة * ثم الثالثة ذكر تعاله أنه سقاهم ربهم وهذه أعلى الدرجات لم يثل يُسقون ولا يشربون وإنما سقاهم ربهم فهذا الشراب هو أفضل من السابقين لأنه أسنده تعالى إلى الربّ سبحانه وتعالى وهذه الآيات دلّت على أن الشراب أنواع مختلفة .

شراباً طهورا كلمة موجزة تحوي معاني كثيرة بينما وصف في الآيات السابقة ما يشربون فيه من آنية وصفاً دقيقاً ولم يذكر في هذا الوصف
إلا *شراباً طهورا* وهذا يدل على أن الشيء عندما يكون فوق الوصف لا يذكر شيئاً ولا تستطيع اللغة ولا الوصف أن يعبروا عن هذا الأمر العظيم، كما ورد في سورة الرحمن *مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ *٥٤ * وصف البطائن ولم يصف الظاهر ونقول إذا كانت البطائن من استبرق فكيف يكون الظاهر؟ لا يُتصور الظاهر ولهذا لم يُذكر لأنه ما من لغة أو وصف يمكن أن يعبر عما يوجد هناك من نعيم وسعادة مصداقاً لقوله تعالى *فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *١٧* السجدة *.
وكذلك عندما يصف لنا تعالى شجرة الزقوم *طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ *٦٥* الصافات* لم يراها أحد ولم ترد على ذهن الإنسان وكما أن في الجنة أمور لا يعلمها أحد كذلك في النار.

آية *٢٢* :

*إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا *٢٢
*

لماذا تقديم *لكم* على جزاء في الآية ؟ قبل التقديم لما ذكر تعالى أن هؤلاء لا يريدون جزاء ولا شكورا *إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا *٩ * جزاهم ربنا أحسن الجزاء وشكر لهم لذا قدّم *لكم* على جزاء فصار جزاء بالفعل وشكر باللسان.

كان يمكن القول *هذا كان جزاء لكم* لكن التقديم أفاد أن الجزاء مختص لكم لأن الجزاء في الآخرة مختص لكل واحد وإذا لاحظنا في القرآن كله قدّم الجار والمجرور للإختصاص لأنه اختصاص به وتعريض للآخرين من أهل النار *قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا *١٥* الفرقان* و *وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ *٣٧* سبأ* و *إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا *٩ * إنما في الدنيا فليس بالضرورة التقديم وقد جاء في سورة القمر مثلاً *وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ *١٣* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ *١٤ * لم يأت التقديم هنا لأن الآية ليس فيها اختصاص والذي كُفر هو نوح - عليه السلام - لكن السفينة لم تحمله وحده وإنما كان معه من آمن معه والجزاء لهم أيضاً لذا أطلق ولم يُخصص فكما كان الجزاء لنوح - عليه السلام - كان للمؤمنين.

آية *٢٣* :

*إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ تَنْزِيلًا *٢٣ *

لماذا جاء في الآية ثلاثة توكيدات بينما جاء في أول السورة توكيد واحد في قوله تعالى *إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا *٢ * ؟ في الآية *إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ تَنْزِيلًا *٢٣ * ذكر تعالى ثلاثة أمور ذكر المنزِّل *الله تعالى* وذكر المنزَّل *القرآن* والمنزَّل عليه *الرسول* وأكّد ثلاثة توكيدات *إنّا، نحن، والضمير المتصل في نزّلنا *نا* والسبب أن في الآية أول السورة أمر الخلق لم يُختلف فيه ذلك الاختلاف أي كون الله تعالى هو الخالق فهذا أمر لم ينكره كفار قريش بدليل قوله تعالى *وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ *٢٥* لقمان* و *وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ *٣٨* الزمر* لكن مسألة التنزيل هي التي اختلفوا فيها وأنكروها أشد الإنكار فالتوكيد إذن يعتمد على شدة إنكار الشخص للأمر ولهذا يحتاج للتوكيد أكثر في حالة الإنكار الشديد لأن قريش لم يكونوا يُقرّون بأن الله تعالى نزّل القرآن وهذا يختلف تماماً عن قضية الخلق التي لم يكونوا ينكرونها أصلاً. والأمر الآخر أن التنزيل هو أهم من الخلق لأن الغاية من الخلق العبادة والغاية من التنزيل هو تنزيل كتاب العبادة التي يردها الله تعالى فالتنزيل هو القصد الأول في الخلق فهو أولى بالتوكيد. والتوكيد جاء كما يقتضيه السياق والمقام من جهة الأهمية

والاختلاف والتنازع فيه.

وهذا التأكيد يذكرنا بسورة يس *قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ *١٦ * وقد أكّد في هذه الآية مرتين مع أنه في الآية التي سبقت *إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ *١٤ * أكدّ مرة واحدة لأن الله تعالى أرسل لهم في البداية رسولين فكذبوهما ثم عزز بثالث فأنكروا إنكاراً أكبر لذا جاء التوكيد في الآية الثانية واقتضى أن يؤكد أكثر فصار التوكيد بالقسم لأن *ربنا يعلم* قسم في لغة العرب فلما ازداد الإنكار ازداد التوكيد.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ تَنْزِيلًا في هذه الآية ذكر تعالى *عليك* وفي آية سورة الحجر قال تعالى *إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *٩ * فما دلالة *عليك* في آية سورة الإنسان؟

لو نلاحظ ما جاء بعد هذه الآية لوجدنا أن الكلام موجه إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأوامر والنواهي *فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِمًا أَوْ كَفُورًا *٢٤* وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا *٢٥* وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا *٢٦ * وهناك أمور تتعلق بالرسول المخاطب لذا استخدم *عليك* . أما في آية سورة الحجر فلم يرد في الآيات التي سبقت أو تلت ما يتعلق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - لكن الكلام متعلق بالقرآن *كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ *١٢ * وكل الكلام عن الذكر وليس عن الرسول.

لماذا جاء ذكر كلمة *القرآن* في آية سورة الإنسان وكلمة *الذكر* في آية سورة الحجر؟

اسم الكتاب المنزّل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو *القرآن* ولم يرد في سورة الإنسان له ذكر إلا في هذا الموضع وهذه الآية *إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا* ، أما في سورة الحجر فقد ورد ذكر القرآن والذكر والآية في سورة الحجر *وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ *٦ * ثم قال تعالى *إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *٩ * فلمّا سماه كفار قريش ذكراً ردَّ عليهم الله تعالى بكلمة *الذكر* ولهذا فهي أنسب للآية التي قبلها من استعمال كلمة القرآن رغم أنها وردت في سورة الحجر كثيراً.

آية *٢٤* :

*فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِمًا أَوْ كَفُورًا *٢٤ *

الآية التي قبلها قال تعالى *إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ تَنْزِيلًا* ثم أمره بالصبر بعد ذكر تنزيل القرآن لأن التنزيل يستدعي الصبر لما فيه من قول ثقيل وأمور وتكاليف تستدعي الصبر *إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا *٥* المزمّل* و *وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى *١٣٢* طه* ويحتاج أيضاً لصبر على الأذى لأنه سيؤذى بسببه لذا كان من المناسب بعدما ذكر تنزيل القرآن أن يذكر الصبر لأنه أمر يستدعي الصبر فقال تعالى *فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ* .

دلالة كلمة *حكم* : في اللغة قد يكون الحكم بمعنى الحكمة *فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ *٢١* الشعراء* وقوله تعالى *يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآَتَيْنَاهُ

الْحُكْمَ صَبِيًّا *١٢* مريم* أي الحكمة. وقد تأتي بمعنى القضاء أو الفصل *قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ *٤٨* غافر* وهنا أمره بالصبر لهما معاً أي أن يصبر لحكمة أرادها الله تعالى ولحكم الله وقضائه لأن قضاءه له حكمة بمعنى اصبر لحكم الله وقضائه لحكمة أرادها الله تعالى وهذا ما يُسمى التوسع في المعنى.

وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِمًا أَوْ كَفُورًا ما دلالة استخدام كلمة آثم وكفور؟

الآثم هو الذي يرتكب الإثم والإثم قد يكون ظاهراً وباطناً بدليل قوله تعالى *وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ *١٢٠* الأنعام* أو من أعمال القلب أو أفعال الجوارح.

أما الكفور فهو المبالغ في الكفر وفيه دلالتان: الأولى نقيض الإيمان والثانية نقيض الشكر لذا قال تعالى في أول السورة *إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا *٣ * والكفور المبالغ في الكفر بمعنى نقيض الإيمان هو الذي استعمل في القرآن *وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ *٦٦* الحج* و *وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ *١٥* الزخرف* والمبالغ في جحد النعمة والكفر قد يكون باطناً أو جحود باللسان. وكل كفور آثم وليس كل آثم كفور. ولو قال كافر لنهى عن صنف واحد وليس عن الصنفين الذين تدلان علهما كلمة كفور.

ما دلالة استعمال *أو* ولم يأت بواو العطف مثلاً؟

لو جاء بالواو لجاز له أن يُطيع أحدهما إنما استعمال *أو* دلّت على الأمر بأن لا يطيع واحداً منهما على سبيل الجمع أو الإفراد. والآثم هو اسم فاعل والأثيم صفة مبالغة وفي هذه الآية أراد تعالى أن لا يطيع الآثم سواء بالغ في الإثم أو لم يبالغ فلو قال أثيم مثلاً لكان فُهِم أن النهي فقط عن إطاعة الأثيم ويحق له أن يطيع الآثم وأما استخدام كلمة أثيم فهي تدل على النهي عن إطاعة الآثم وهو أقل الدرجات فمن باب أولى أن لا نطيع الأثيم.

في سورة القلم قال تعالى *مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ *١٢ * باستخدام الأثيم لأنه لو لاحظنا ما ورد في السورة لوجدنا أن الله تعالى ذكر فيها كل صفات المبالغة *حلاّف، همّاز، مشّاء، مهين، منّاع للخير*وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ *١٠* هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ *١١* مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ *١٢* عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ *١٣ * فجو السورة جو مبالغة والأمر الآخر أن الذي يفعل كل هذه الأمور الذي سبقت ألا يكون أثيماً؟ بالطبع هو أثيم وليس آثم بل إن فعل كل واحدة من هذه الأفعال يجعله أثيماً وليس آثماً فكيف لو اجتمعت كل هذه الصفات في المعتدي فلا بد أن يكون أثيماً.

آية *٢٥* :

*وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا *٢٥ *

علاقة الآية بما قبلها: أمر الله تعالى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالذكر والتسبيح بعد الأمر بالصبر *فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ* والنهي عن طاعة الآثم والكفور *وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِمًا أَوْ كَفُورًا* أمره بالإكثار من الذكر. وفي القرآن نلاحظ أن الله

تعالى يأمر بالإكثار من التسبيح والذكر في المواطن التي تحتاج إلى صبر وفي الأزمات *وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ *٩٧* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ *٩٨* وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ *٩٩* الحجر* وأمره بالتسبيح في قوله *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *٤٥* الأنفال* ومداومة التسبيح تفرّج الكروب كما جاء في قصة يونس وهو في بطن الحوت *فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ *١٤٣* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *١٤٤* الصافات* فالذي نجّى يونس من بطن الحوت هو مداومته على التسبيح *وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ *٨٧ * والتسبيح وذكر الله هي أزكى الأعمال وأرفعها عند المليك. فهو ترتيب منطقي جداً بعدما تضيق الصدور والقلوب نذكر اسم ربنا.

آية *٢٦* :

*وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا *٢٦ *

لماذا قدّم الجار والمجرور على الفعل؟ لأن التهجد شاق على النفس فقدّم الليل بما يقابل الشدة *كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ *١٧* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ *١٨ * قدّم ما هو متعلق على الفعل، *فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *١٧* السجدة *وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا *٧٩* الإسراء* أمورثقيلة وأجرها عظيم لذا قدّم *من الليل* على الفعل *فاسجد له* . كما أن الترتيب يفيد علو منزلة السجود وتقديم الجارّ

والمجرور سوّغ إدخال الفاء في قوله *وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ* ودلالة الفاء هنا أنها تفيد التأكيد على أي حال. وقد قال النحاة أن الفاء قد تكون إما جواب شرط مقدّر يعني مهما كان الأمر فاسجد له وهي دعوة للسجود مهما كان الأمر وقسم آخر يقول أن الفاء زائدة للتوكيد وفي كلتا الحالتين يكون التوكيد للسجود والدلالة على أهميته وعظمته وجاءت الواو قبلها أيضاً *ومن الليل فاسجد له* ولا يصح أن نقول *واسجد له من الليل* لأنها تفوت أهمية السجود *لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ *١* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ *٢* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ *٣* قريش* وقوله تعالى *وربّك فكبّر* فلا يصح التقديم بدون الفاء. أفاد التقديم الدلالة على أهمية السجود ومنزلته ويفيد الإهتمام لأن أصل التقديم يفيد الإهتمام وهو الذي يُسوّغ إدخال الفاء في كل أحوالها تدل على عظم منزلة السجود.

وعندما أوصى تعالى رسوله **?** أن يقوم الليل *قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا *٢* نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا *٣* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآَنَ تَرْتِيلًا *٤* المزمل* هنا أخّر الليل كما يقتضي الترتيب النحوي فلماذا لم يأت بمثل ما جاء في آية سورة الإنسان؟

هذا الأمر في سورة المزمل جاء في أوائل الرسالة ثم لمّا اشتد الأمر أصبح فيه مشقة ويحتاج إلى صبر كما في سورة الإنسان وهذا في مرحلة متقدمة من الرسالة . والقرآن يبدأ شيئاً فشيئاً وكلمة تبتّل يفيد التدرج في العبادة وتبتّل تبتيلا، وتبتيل مصدر الفعل بتّل وهو دلالة على التكثير مثل جرّح تجريح وتجرّع فأمر الله تعالى رسوله -

صلى الله عليه وسلم - أن يبدأ بالتدرج وينتهي بالكثرة .

آية *٢٧* :

*إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا *٢٧ *

ما هي العاجلة ؟ ولم قال ويذرون وراءهم مع أن اليوم أمامهم؟

العاجلة هي الدنيا كما هو معروف يعيشون فيها ويتعجّلون أمرها. ويذرون وراءهم لأنهم نبذوه وراءهم لو عناه أمرهم لجعلوه أمامهم لكنهم تركوه وراءهم هكذا يقول قسم. وفي استعمال العرب لكلمة وراءهم يذكرون أنها تأتي بمعنى أمامهم كما في قوله تعالى *من ورائه جهنم* بمعنى أمامهم، وقوله تعالى *وكان وراءهم ملك* الخرق كان بعد أن ركبوا في السفينة ولو تركوه وراءهم لكانوا نجوا منه. وراءهم تستعمل لمن كان طالباً لك وهو أمامك كما نقول باللغة العامية *وراءك امتحان* ليست بمعنى خلفك لكنه يطلبك. إذن العرب تستعمل وراءك بمعنى أمامك إذا كان يطلبه.

فقوله تعالى *ويذرون وراءهم* بمعنى تركوه وهو يطلبهم وليسوا بفارّين منه. واللمسة البيانية في التعبير بوراء بمعنى أمام لأن كلمة وراء فيها معنى الطلب كما يطلب الغريم غريمه *لا مفر منه طالباً له* .

في سورة القيامة قال تعالى *كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ *٢٠* وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ *٢١* القيامة * فذكر العاجلة وذكر *وتذرون الآخرة * فلماذا قال في

سورة الإنسان يوماً ثقيلاً وفي القيامة قال الأخرة ؟

أولاً العاجلة خي نفسها في الآيتين بمعنى الدنيا. أما بالنسبة لاستعمال *يوماً ثقيلا* في سورة الإنسان فلأنه تكرر ذكر اليوم من بداية السورة *يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا *٧ * و *إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا *١٠ * و *فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا *١١ * فالكلام في السورة عن اليوم الذي هو يوم القيامة وهو اليوم الثقيل ثم عندما ينصرف أهل الجنة إلى الجنة لا يكون ثقيلا،. أما الآخرة فهي أعمّ من اليوم.

في سورة القيامة جاءت الآيات بالخطاب المباشر *كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ *٢٠* وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ *٢١* القيامة * أما في سورة الإنسان فجاءت الآيات باستعمال ضمير الغائب *ويذرون وراءهم* لأن المقام في سورة الإنسان لا يناسب الخطاب المباشر ولا يصحلأنه ذكر أن قسماً ممن ذُكروا في السورة لم يذروا الآخرة *يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا *٧ * و *وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا *٨ * وقد وقاهم الله شر ذلك اليوم *فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا *١١ * فلا يصح إذن الخطاب فكيف يخاطبهم أجمعين وقسم منهم يفعل الخير حتى يقيهم الله شر ذلك اليوم فالخطاب لا يناسب.

آية *٢٨* :

*نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا *٢٨ *

علاقة هذه الآية بما قبلها: قال تعالى في هذه الآية *نحن خلقناهم* وفي الآية السابقة قال تعالى *إنا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلا* وهذا يدل على أن الذي خلقهم وشد أسرهم *نحن* هو الذي أنزل عليهم القرآن *نحن* فينبغي لهم أن يسمعوا لكلام خالقهم ويطيعوا تنزيله فكأن الآية التي سبقت هي مقدمة لهم بأن يسمعوا ما أُنزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

لماذا تقديم ضمير المتكلم *نحن* عن الفعل *خلقناهم* ؟ التقديم له أكثر من سبب وإن كان يجمعها الإهتمام لكن مداراته مختلفة . وهنا تقديم المعمول على العامل *نحن: مبتدأ* و *خلقناهم: خبر* وفي هذه الحالة الخبر جملة فعلية وهذا يفيد القصر في الغالب بمعنى لأنه لم تكن هناك جهة أخرى خلقت أو تشاركه سبحانه في الخلق فهو وحده سبحانه متفرّد بالخلق *بمعنى نحن خلقناهم حصراً* وكذلك قوله تعالى *إنا نحن نزلنا عليك القرآن* تفيد الحصر. فالذي خلقهم حصراً هو الذي نزّل القرآن حصراً فعليهم أن يطيعوه.

أوجه التقديم: يجمع التقديم تحت عبارة : كأنما يقدمون الذي هم ببيانه

وقد يقدّم الأفضل وقد يقدّم المفضول حسب السياق وقد يقدّم كلمة علي أخرى في مكان ويؤخرها نفسها في مكان آخر ولكلٍ مقامه في البلاغة .

وشددنا أسرهم: بمعنى أحكمنا خلقهم أي أحكمنا توصيل مفاصلهم وأحكمناها وثبتناها *أي إحكام الربط* . والأسر هي المفاصل والعظام وما إلى

ذلك. فهو الذي أحكم خلقهم وشد أسرهم وقد قال تعالى في آية أخرى *لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم* وهذا من تمام النعمة على الإنسان ومن تمام النعمة أن يطيعوه، فالخلق نعمة وشد الأسر نعمة وهو القادر أن يفعل ما يشاء *وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا* .

لماذا جاء قوله *وشددنا أسرهم* ؟ ألا يمكن أن يقال نحن خلقناهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم؟

نحن خلقناهم هذا أمر وشددنا أسرهم هذا أمر آخر بعد الخلق وهي نعمة أخرى بعد الخلق ولو لم يقلها للأُغفلت نعمة من نعم الله تعالى . فهو تعالى جعلهم أقوياء وهذه نعمة وليس فقط الخلق هو النعمة . مثل قوله تعالى *هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة * فهناك عدة أمور بعد الخلق ومن إتمام النعمة أن يشد أسرهم فيكونوا أقوياء وخلفاء في الأرض.

القرآن كثيراً ما يستعمل الفعل *شدّ* ومضاعفاته مثال قوله تعالى *واشدد به أزري* فهل للفعل شدّ دلالة خاصة في اللغة ؟

شدّ في اللغة بمعنى ربط وأحكم وأوثق وشدّ. وشدّ مضعّف والتضعيف في الغالب فيه قوة وشدّ فعل ثلاثي ليس مزيداً لكن من الناحية الصوتية تجعل حرف في حرف فتعطيه قوة .

في أول السورة قال تعالى *إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج* وفي هذه الآية قال تعالى *نحن خلقناهم* فلماذا التوكيد بـ *إن* في الأولى ؟

في أول السورة أكّد بـ *إن* وهنا لم يؤكّد لأنه في أول السورة تحدث عن خلق الإنسان بعد أن لم

يكن شيئاً مذكورا وهي أصعب من الخلق من أب وأم ثم يضع فيه القابلية على التوالد *وهذه هي البداية * وهي أصعب مما بعدها *نحن خلقناهم* فهذه تأتي من سلسلة الآباء من الأبناء. هذا أمر والأمر الآخر كونه خلقهم أمر غير منازع فيه عند كفار قريش وكثير من الكفار لو سألتهم من خلقهم ليقولون الله. لكنهم ينازعون في أن الخلق لم يكن ثم كان بمعنى أنه ليس له بداية كما يقول الفلاسفة والدهريون وينسبون الخلق إلى سلسلة الوجود ليس له بداية فينكرون *وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر* . فالذي ينازع فيه الفلاسفة إذن هو كون هناك بداية للمخلوقات والخلق *سؤالهم هل هناك بداية ؟* وعليه احتاج الأمر إلى توكيد في الآية أول السورة *إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج* . وهناك أمر آخر قوله تعالى *نبتليه* ذكر تعالى أن الخلق الأول للإبتلاء وهذا أيضاً أمر منازع فيه وكفّار قريش كانوا ينكرون هذا ويقولون هل خلق الله الإنسان ليبتليه ثم يحاسبه؟ *وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ *٧* سبأ* وكثير من الناس ينكرون هذا الأمر أيضاً حتى لو اعتقدوا فعلاً أن الله هو خالقهم. ونلاحظ من كل ما ذكرنا أن الآية في أول السورة احتاجت إلى توكيد فجاء بـ *إن* في قوله تعالى *إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج* وهو الخلق الأول والبداية وخُلق للإبتلاء وكلها تقتضي التوكيد بخلاف الآية الثانية *نحن خلقناهم وشددنا أسرهم* .

وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا

جاء هنا بـ *إذا* دون *إن* وكما سبق وذكرنا في

حلقات سابقة أن استعمال *إذا* يكون للقطع لكثير الوقوع وللمتيقن وقوعه بخلاف *إن* التي تستعمل إذا كان هناك احتمال للوقوع أو المشكوك في وقوعه. واستعمال *إذا* هنا يدل على أن الله تعالى سيبدّل أمثالهم ويأتي بأناس مؤمنين مكانهم فالمشيئة حاصلة وقد تمّت.

آية *٢٩* :

*إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا *٢٩ *

باختصار هذه الآية هي نظير قوله تعالى *إنا هديناه السبيل* فالتخيير هنا كالتخيير هناك. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا مكان شاكراً ومن لم يفعل ذلك يكون كفورا.

آية *٣٠* :

*وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا *٣٠ *

إن مشيئتكم واختياركم كان بمشيئة الله تعالى ولو لم يرد الله تعالى ذلك لما أعطى هذا الإختيار.

آية *٣١* :

*يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ *

ما دلالة هذه الآية وربما يكون هناك من لا يستحق رحمة الله تعالى؟ ذكر تعالى أمرين يرفعان هذا الاحتمال: الأمر الأول أنه قال الله تعالى قبل هذه الآية *إن الله كان عليماً حكيما* يفعل ذلك لعلمٍ وحكمة ولا يفعل سبحانه إلا لحكمة . ومعناها أنه

لا يُدخل في رحمته إلا من علم سبحانه أنه يستحق. والأمر الآخر قال بعدها *والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما* استثنى سبحانه من دخول رحمته الظالمين. فقوله تعالى يُدخل من يشاء في رحمته استثنى الظالمون ولا يُدخل سبحانه إلا من يستحق واقتضاه العلم والحِكمة .

لماذا جاءت كلمة الظالمين منصوبة ؟ هذا يسموه الإشتغال في باب النحو. وكلمة الظالمين مفعول به مقدّم لفعل إما أن يكون من نفس الفعل أو أن يكون بمعناه كأن نقول مثلاً زيداً سلّمت عليه بمعنى حييت زيداً سلّمت عليه لأن فعل سلّم لا ينصب مفعولاً به. وكذلك قوله تعالى السماء رفعها بمعنى رفع السماء رفعها. فإذا كان الفعل يصحّ أن يتسلّط على الأول يُقدّر نفسه وإذا كان لا يصحّ يقدّر ما هو قريب منه. فالنصب هنا من باب الإشتغال وله أغراض عديدة وربما نُفرد له حلقة خاصة لاحقاً.

يقول تعالى في أول السورة *إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا* وفي هذه الآية قال تعالى *والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما* فهل هذا يدل على أن العذاب الأول أشد من الثاني؟

في الآية الآولي قال تعالى *للكافرين* وهنا قال *للظالمين* وليس بالضرورة أن يكون الظالم كافراً، فكل كافر ظالم وليس بالضرورة أن يكون الظالم كافراً. قال الله تعالى *والكافرون هم الظالمون* إذن قطعاً لا بد أن يكون العذاب الأول أشدّ لأنه ذكر الكافرين صراحة وهنا عمّم صراحة فقال الظالمين فمنهم الكافر فيشمله الأول ومنهم من هو غير الكافر فيشمله العذاب الخاص به.

والظلم في القرآن جاء في موضع الشرك *إن الشرك لظلمٌ عظيم* والظلم في القرآن قد يكون حتى في الأشياء الخفيفة كما قال الله تعالى *ربنا ظلمنا أنفسنا* و *رب إني ظلمت نفسي* فالظلم يأتي من أشياء قليلة وقد يصل إلى الشرك الأكبر. وكل مشرك ظالم لكن ليس كل ظالم كافر ولهذا اختلف العذاب حسب الدرجة .

*يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١* الإنسان* وفي سورة الفتح *هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٢٥* الفتح* ما دلالة تأخير وتقديم المشيئة ؟

الآية الأولى في سورة الانسان *يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * والثانية في سورة الفتح *هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٢٥ * . السياق في سورة الإنسان في غير المرحومين *فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا *٢٤ * *نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا *٢٨ * إلى أن يقول *يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * لما كان السياق في غير المرحومين أخّر الرحمة .

والسياق في سورة الفتح في المرحومين وفي الكلام عن الله *سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا *٢٣ * الكلام عن الله *وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا *٢٤ * الكلام في الصحابة *لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٢٥* إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا *٢٦* لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا *٢٧ * هذا الكلام في المرحومين، فلما كان الكلام في المرحومين قدّم رحمته *لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء *٢٥ * ولما كان السياق في غير المرحومين أخّر رحمته. *سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ *٢٨ * هذا الكلام عن الله فقدّم ما يتعلق بالله والضمير يعود إليه.

من حيث البلاغة ليس *يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ *٣١ * كمثل *لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء *٢٥ * كل تقديم وتأخير له غرض عند المتكلم البليغ، عندما يتكلم عن الله *سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا *٢٣ * قدّم ضميره، ولما كان الكلام على الإنسان قدّم ما يتعلق بالإنسان من يشاء الإنسان *يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ *٣١ * المشيئة لله لكن *من* للإنسان. كأننا نفهمها يُدخل الإنسانَ الذي يشاؤه الله تعالى .

الكلام *سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ* فقدّم ما يتعلق به وهناك يتكلم عن الإنسان غير المرحومين فأخّر الرحمة وعندما تكلم عن المرحومين قدم الرحمة ، الكلام عن الله قدّم ما يتعلق به، الكلام عن الإنسان قدّم ما يتعلق بالإنسان.

* ما التوجيه الإعرابي لكلمة *والظالمين* في الآية *يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١* الإنسان* ؟

د.حسام النعيمي

الواو ليست للعطف وإلا لعطف الظالمين على الذين يدخلهم تعالى في رحمته وليست للإستئناف.

هذا يسمونه باب الإشتغال. في الإشتغال الواو هنا واو عاطفة جملة على جملة أو إستئنافية يعني تقدير الكلام: وأعدّ للظالمين عذاباً أو أذكر الظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً. فهو باب في النحو يسمى باب الإشتغال كأنه تعالى عاقب الظالمين لأنه لما يكون الإشتغال بحرف جرّ يأتون بالمعنى . هنا الإشتغال بحرف جر *والظالمين أعدّ لهم* . لما نقول: زيدٌ أكرمته: الفعل أكرم يتعدّى ، تقول أكرمت زيداً *زيداً مفعول به* ولك أن تقدّمه للإهتمام فتقول: زيداً أكرمت فيكون مفعول به مقدّم، لكن لما تقول: زيداً أكرمته *أكرم* أخذ الهاء فمن الذي نصب زيداً؟ قالوا هنا الفعل إشتغل بنصب ضميره عن نصبه. كيف نعرب زيداً؟ قالوا فيها شتى الأقوال ولكن أفضل الأقوال في الدراسة الحديثة هو ما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو يقول نعرب زيداً اسم منصوب على الإشتغال وكفى . لا نقول هناك

فعل محذوف. هنا *والظالمين أعدّ لهم* لأن هذا إشتغل عن طريق حرف الجر *لهم* فتُأوّل عند ذلك من معناها يعني *عذّب الظالمين أو عاقب الظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً* يقدّر فعل. أما على رأي الدكتور فاضل *والظالمين* اسم منصوب على الإشتغال وانتهى . مثل زيداً مررت به كأنه المقصود: جاوزت زيداً مررت به لكن من أين جئنا بفعل جاوزت؟ قُل منصوب على الإشتغال وانتهى الأمر. النحو علمٌ نضج وإحترق فلا يبعد أن يكون أحد العلماء القدامى قال مثل هذا الكلام الذي قاله الدكتور فاضل لكن إلى الآن فالدكتور فاضل هو الذي قال هذا الكلام. *والظالمين* منصوب على الإشتغال وليس معطوفاً على مرفوع.

الخطوط التعبيرية في السورة

الواضح في هذه السورة أنها بُنيت على التثنية ووردت الأشياء فيها صنفين على سبيل المثال:

ذكر صنفين من الناس: الشاكر والكفور، وفي آخرها ذكر المرحوم والمعذّب.

ذكر صنفين من العذاب: القيود والسعير.

وذكر صنفين من القيود: السلاسل والأغلال.

وذكر صنفين من أصحاب الجنة : الأبرار وعباد الله السابقين.

وذكر نوعين من الشراب الممزوج: الممزوج بالكافور والممزوج بالزنجبيل.

وذكر نوعين من العبادات الظاهرة : الوفاء بالنذر والإطعام.

وذكر نوعين من العبادات القلبية : الخوف *نخاف من ربنا* والإخلاص *إنما نطعمكم لوجه الله* .

نفى المُطعمون عن أنفسهم أمرين: الجزاء *وهو المكافأة بالفعل* والشكور *الثناء باللسان* .

لقّاهم شيئين: النضرة *وتكون في الوجه* والسرور *في القلب* .

جزاهم الله تعالى بصبرهم شيئين:
الجنة *للأكل* والحرير *للبس* .

ونفى عنهم رؤية شيئين: الشمس والزمهرير.

وذكر دنو شيئين منهم: الظلال والقطوف.

ذكر الطواف بشيئين: الآنية والأكواب.

ذكر الشُرب بصورتين: من الكأس ومن العين.

وذكر نوعين من الشرب من الكأس: شرب بساقي وشرب بدون ساقي.

ذكر نوعين من الثياب: سندس واستبرق.

ذكر نوعين من الزينة : لباس وأساور.

ذكر لهم شيئين: جزاء وسعيكم مشكورا.

نهى عن إطاعة صنفين من الناس: الآثم والكفور.

طلب من الرسول - صلى الله عليه وسلم - الصلاة والتسبيح في النهار والليل.

ذكر وقتين: بكرة وأصيلا.

ذكر عبادتين في الليل: السجود والتسبيح.

ذكر حياتين: الدنيا *العاجلة * والآخرة .

وذكر الحبّ والترك *يحبون ويذرون* .

ذكر أمرين من أمر الإنسان: الخلق وشدّ الأسر.

ذكر مشيئتين: مشيئة الله تعالى وكشيئة الإنسان *وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، ويخل من يشاء في رحمته* .

ختم بصنفين من الناس: المرحوم *يُدخل من يشاء في رحمته* والمعذّب *والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما* .

والسورة فيها خط آخر: أنه يذكر الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي: *إنا أعتدنا للكافرين*كان مزاجها*كان شره مستطيرا*فوقّاهم*ولقّاهم*وجزاهم* و *ذُللت*كانت قواريرا*قدّروها*حُلّوا*سقاهم*كان لكم جزاء*كان سعيكم*أعدّ لهم* .

هل للتعبير عن المستقبل بالفعل الماضي دلالة بيانية محددة في اللغة ؟

العرب والقرآن يُعبّرون عن الأحداث الماضية بفعل مضارع وعن الأحداث المستقبلية بفعل ماضي. والتعبير عن الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي دلالة على أن هذا الأمر واقع وهو بمنزلة ما مضى من الأفعال. فلا شك في وقوع حدث ماضي لأن الفعل الماضي لا شك في حدوثه فهذه الأحداث المستقبلية وإن كانت مستقبلة فهي بمنزلة ما مضى من الأفعال ولا شك بوقوعها. فكما أن الفعل الماضي حصل ووقع فهذه بدلالة ما وقع وحصل. كما في قوله تعالى *وسيق الذين كفروا* وكذلك قوله *ونادى أصحاب الأعراف* . فهذه الأحداث المستقبلية هي من التحقق بمنزلة ما مضى من

الأفعال.

وبالمقابل له أكثر من غرض متى يستعمل الفعل الماضي في المضارع؟ قال تعالى *قد نرى تقلب وجهك في السماء* حكاية الحال الفعل الماضي تضفي عليه الحركة والحيوية وتجعله كأنه معاصر خاصة في الأمور المهمة . وقال تعالى *فلم تقتلون أنبياء الله من قبل* لم يقل قتلتم وهذا من باب التشنيع على الفعل فعندما تكون الأمور مهمة التي تحتاج إلى جعلها صورة معاصرة لأن الإنسان يتفاعل مع الصور الحيّة معه القريبة منه وهي ليست كالأحداث الماضية البعيدة عنه، فقد نسمع أحداث ماضية ولا نتفاعل معها لكننا بالتأكيد نتفاعل مع حادثة قتل أمامنا مثلاً. فالعرب عموماً إذا أرادوا حكاية الحال ليعبّروا عن الأحداث الماضية يجعلونها حيّة . ويقول النحاة إما ينقلك إلى الحدث أو ينقل الحدث إليك. وكلاهما تعبير عن الأفعال الماضية بالفعل المضارع ويدخل في زمن الفعل. وللفعل أزمان متعددة وللفعل الماضي وحده ١٦ زمن وما يُدرس في المدارس والجامعات هو زمن واحد أي الماضي فقط.

فالتضاد من الخطوط التعبيرية في السورة فما فائدة التضادّ في اللغة ؟ التضاد يُبرز المعنى ويوضحه. والشيء يُظهر حسنه الضدّ.

* أسئلة متفرقة :

* ما اللمسة البيانية في عدم ذكر الحور العين في نعيم الجنة في سورة الإنسان؟

د. فاضل السامرائي

ليس هذا هو الموطن الوحيد الذي لم تُذكر فيه

الحور العين مع الجنّات فهي لم تذكر في مواطن عديدة في القرآن وليس كل المواطن يُذك فيها الحور العين. هناك مجالس بين الإخوان لا يَحسُن فيها ذكر الحور العين وهناك مواطن خاصة تقتضي ذكر الحور العين. على سبيل المثال إذا وصف لنا أحد ما بلداً فلا داعي لأن يصف نساءه إذا لم تقتضي الحاجة . وكذلك في سورة الإنسان فالمقام والسياق يتعلقان بالطعام والشراب واللباس والآنية ولا يتعلق بذكر الحور العين. والذكر والحذف قد يتعلق أحياناً بالتفصيل والإيجاز.

* حينما يصف الله تعالى الجنة يصف الحور العين *بيض مكنون*كواعب أترابا* إلا في سورة الإنسان وصف الشراب والسندس والاستبرق ولم يصف الحور العين فما السبب؟

د. فاضل السامرائي

في الحقيقة ليست في سورة الإنسان وحدها وإنما في أكثر المواطن التي وردت في القرآن في الجنة لم يذكر فيها الحور العين آل عمران لم يذكر فيها الحور العين والمائدة لم يذكر فيها والأعراف، وفي يونس لم يذكر فيها ولا في هود، في الحجر لم يذكر فيها، الكهف لم يذكر فيها والفرقان لم يذكر فيها ولا فاطر، أكثر من ١٦ موضعاً لم يذكر فيها الحور العين والجنة ليست كلها متعلقة بالحور العين فقط والحور العين وردت أربع مرات في القرآن بينما ورد ذكر الجنة ٣٥ سورة فيها ذكر الجنة فليس بالضرورة الجنة متعلقة بالحور العين وإنما متعلقة أيضاً بالعلاقات والأصدقاء وما إلى ذلك ولم يُذكر فيها الحور العين. وهناك حقيقة أمر

أنه لما يذكر القرآن الأزواج أزواج أهل الجنة لا يذكر الحور العين *ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ *٧٠* الزخرف* إذا ذكر أزواج المؤمن في الجنة لا يذكر الحور العين *وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ *٢٥* البقرة *ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ* لم يذكر الحور العين مع الأزواج مراعاة لنفسية المرأة حتى لا تغير.

* ارتباط خاتمة السورة ببدايتها*

بدأت السورة بالإنسان وهو لم يكن شيئاً مذكورا وانتهت بخاتمة هذا الإنسان ومصيره فبدأت ببدئه قبل أن يكون شيئاً مذكوراً *هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا *١ * وخُتمت بخاتمته ومصيره إما أن يكون مرحوماً أو معذباً *يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً. .فكأنها رحلة الإنسان ولهذا سُميّت سورة الإنسان. ويذكر الله تعالى في السورة كل ما يتعلق بالإنسان وهو في الحياة وهو يخاف من ربه ويخاف من اليوم الآخر وهذه هي رحلة الإنسان. إذن سورة الإنسان بدأ بالإنسان وقبل بدئه وانتهت بخاتمته ومصيره وكأنها تمثّل عمر الإنسان.

وأمر آخر هو أنه تعالى في أول السورة ذكر الشاكر والكفور وفي خاتمتها ذكر المرحوم *يُدخل من يشاء في رحمته* والمعذُب *والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما* .

* تناسب خواتيم الإنسان مع فواتح المرسلات*

في آخر سورة الإنسان قال *يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * وفي

المرسلات تكلم عن اليوم الآخر وتكلم عن
المرحومين والظالمين. فقال *يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي
رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * وقال
في المرسلات *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ *٧* فَإِذَا
النُّجُومُ طُمِسَتْ *٨* وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ *٩ * هذا
وعد *يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * ثم ذكر الموعد *فَإِذَا النُّجُومُ
طُمِسَتْ *٨* وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ *٩* وَإِذَا الْجِبَالُ
نُسِفَتْ *١٠* وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ *١١* لِأَيِّ يَوْمٍ
أُجِّلَتْ *١٢* لِيَوْمِ الْفَصْلِ *١٣ * هذا الوقت الذي
يدخل فيه من يشاء في رحمته وأعد للظالمين
عذاباً أليماً. ثم سبق الكلام في الإنسان على على
جزاء الكافرين والمرحومين *إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا *٤* إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ
كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *٥ * وفي المرسلات قال
*انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ *٢٩* انْطَلِقُوا إِلَى
ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ *٣٠* لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ
اللَّهَبِ *٣١ * *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ
وَعُيُونٍ *٤١* وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ *٤٢ * نفس
الجماعة . المتقين والأبرار درجات
ويقولون "حسنات الأبرار سيئات المقرّبين" ، وهم
كلهم خير لكن المقربين أعلى مثلاً لو واحد صلّى
ركعتين في منتصف الليل ثم نام هذا خير هذه
عند المقربين هذه سيئة كيف صلى ركعتين ثم
نام؟! بالنسبة للمقربين هذه سيئة لأنهم هم
يقيمون الليل ويستغفرون. المقرّبون أعلى درجة
من الأبرار.

سورة المرسلات

* تناسب خواتيم الإنسان مع فواتح المرسلات*

في آخر سورة الإنسان قال *يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * وفي المرسلات تكلم عن اليوم الآخر وتكلم عن المرحومين والظالمين. فقال *يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * وقال في المرسلات *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ *٧* فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ *٨* وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ *٩ * هذا وعد *يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * ثم ذكر الموعد *فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ *٨* وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ *٩* وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ *١٠* وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ *١١* لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ *١٢* لِيَوْمِ الْفَصْلِ *١٣ * هذا الوقت الذي يدخل فيه من يشاء في رحمته وأعد للظالمين عذاباً أليماً. ثم سبق الكلام في الإنسان على على جزاء الكافرين والمرحومين *إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا *٤* إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *٥ * وفي المرسلات قال *انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ *٢٩* انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ *٣٠* لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ *٣١ * *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ *٤١* وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ *٤٢ * نفس الجماعة . المتقين والأبرار درجات ويقولون "حسنات الأبرار سيئات المقرّبين" ، وهم كلهم خير لكن المقربين أعلى مثلاً لو واحد صلّى

ركعتين في منتصف الليل ثم نام هذا خير هذه عند المقربين هذه سيئة كيف صلى ركعتين ثم نام؟! بالنسبة للمقربين هذه سيئة لأنهم هم يقيمون الليل ويستغفرون. المقرّبون أعلى درجة من الأبرار.

* هدف السورة *

فيها آية متكررة هي هدف السورة *ويل يومئذ للمكذبين* فكأن سورة القيامة والإنسان تقول للداعية ادع واترك الهداية لله وسورة المرسلات تقول يا من كذبتم الدعوة عقابكم *ويل يومئذ للمكذبين* هذا عذابكم في الآخرة .

وخلاصة القول إن الدعوة إلى الله فريضة على كل مسلم ومسلمة حتى تتحقق فيهم آية *كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر* واستعينوا بقيام الليل على الدعوة واشحذوا هممكم بقيام الليل وعلى المسلمين الإجتهاد في الدعوة والهداية من عند الله تعالى فمن صدق الدعوة فاز ومن كذّب بالله فالويل له من عذاب يوم عظيم.

* من اللمسات البيانية فى السورة *

إذا تستعمل لما يستقبل من الزمان وفي الآية *فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ *٨* وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ *٩* وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ *١٠* وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ *١١* لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ *١٢* المرسلات* عقّب بعدها بفعل ماضي فهل يمكن توضيح هذا الاستعمال؟

د. حسام النعيمي

صحيح أن العلماء يقولون *إذا* ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه موصول لجوابه لكن الاستعمال العربي الغالب أن *إذا* تدخل على فعل ماضٍ *إذا جاء* لكن يكون معناه للمستقبل كأنه متحقق *إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ *١* النصر* فتدخل على الفعل الماضي وقد تدخل على الفعل المضارع لكن بقِلّة . وهناك بيت لأبي ذؤيب الهذلي:

والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتها وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تقنعُ

الأصل أنها تدخل على الفعل الماضي فتحوله إلى معنى الاستقبال عكس *لم* . *لم* عندما تدخل إلى الفعل المضارع تقلبه إلى معنى الماضي، تقول: *يكتب زيد* أي الآن وفي المستقبل، *لم يكتب* أي ما وقع منه الكتابة . هذه بصورة مختصرة . عندنا *فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ* علماؤنا يقولون *إذا* تدخل على الفعل في الأصل فإذا جاء الاسم بعدها يكون فاعلاً لفعل محذوف وليس مبتدأ والمسألة فيها خلاف. فلا يستغرب أت تدخل *إذا* على الماضي كما أن *لم* دخلت على المضارع. وعندنا *إذ* تكون للماضي كما في قوله تعالى *إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا *١٠* الأحزاب* ويمكن أن تدخل على المضارع *وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ *٢٧* الأحزاب* هي بالماضي، *إذ* ظرف للمضي في الزمان يعني إذا وقع هذا منك في الماضي. وقد يدخل على المضارع وقد يدخل على الماضي كما ذكرت.

*وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ {٣} التكوير*وَإِذَا الْجِبَالُ

نُسِفَتْ {١٠} المرسلات* يتكلم عن الجبال يوم القيامة مرة يقول سيرت ومرة نسفت ما الفرق؟

د. فاضل السامرائي:

قال تعالى في سورة التكوير *وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ {٣} * وقال في سورة المرسلات *وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ {١٠} * والفرق بين النسف والتسيير أن النسف قد يكون له معنيان إما الإقتلاع والإزالة وإما التذرية في الهواء كما جاء في قصة السامري في سورة طه *قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً {٩٧} * . والنسف والتسيير هي مشاهد من مشاهد يوم القيامة كالدكّ والنصب وغيرها فهي إذن تتابعات مشاهد يوم القيامة فتكون الجبال كالعهن المنفوض ثم يأتي النسف والتذرية في النهاية .

د. أحمد الكبيسي:

تبدأ الجبال لما تقوم الساعة تبدأ الجبال تسير ونحن رأينا في التاريخ القديم والمعاصر أن بعض الآيات الجبال سيرت بعد ما تسير تنسف. إذاً أن الجبال في البداية تسير ونحن رأينا هذا في الدنيا ينتقل جبل يعني نحن ننسى أن جبالاً ضخمة جداً من الجبال في الإمارات قبل خمسين عاماً كانت تصبح في مكان وتمسي في مكان، جبل كامل هكذا في بعض الأعاصير والزلازل ومثل هذا الذي حصل في الصين زلازل تنقل جبلاً من مكان إلى مكان تسير وحينئذٍ هناك جبال أو تلال كبيرة داخل البحر جزر داخل البحر رأيناها بأعيننا تنتقل حوالي خمسة عشر ستة عشر كيلومتر هذه سيرت

وبعد أن تسير بعملية سيرها تتفتت شيئاً فشيئاً إلى أن لا يبقى منها شيء وكأنها نسفت نسفاً.

* ما دلالة فصل *إنما* في سورة الأنعام *إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآَتٍ *١٣٤ * بينما جاءت موصولة في آية سورة الذاريات والمرسلات؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة الأنعام *إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآَتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ *١٣٤ * وقال في سورة الذاريات *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ *٥ * وفي سورة المرسلات *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ *٧ * .

هذا السؤال عائد إلى خط المصحف *الخط العثماني* وليس عائداً لأمر نحوي، وحسب القاعدة : خطّان لا يُقاس عليهما خط المصحف وخط العَروض. وفي كتابتنا الحالية نفصل *إن* عن *ما* وحقُّها أن تُفصل.

ابتداء يعود الأمر إلى خط المصحف سواء وصل أم فصل لكن المُلاحظ الغريب في هذه الآيات كأنما نحس أن للفصل والوصل غرض بياني. لو لاحظنا في آية سورة الأنعام *إِنَّ مَا تُوعَدُونَ* فصل وفي الذاريات وصل *إِنَّمَا تُوعَدُونَ* وفي المرسلات وصل *إِنَّمَا تُوعَدُونَ* فلو لاحظنا الآيات نجد أنه تعالى لم يذكر في سورة الأنعام شيء يتعلّق بالآخرة أو متصلاً بها وإنما تكلم بعد الآية موضع السؤال عن الدنيا *قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ *١٣٥* وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا

لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ *١٣٦ * ففصل ما يوعدون عن واقع الآخرة . بينما في سورة الذاريات وصل الأمر بأحداث الآخرة *وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ *٦ * والكلام في السورة جاء عن أحداث الآخرة فوصل *ما توعدون* بأحداث الآخرة فكأنما الفصل لفصل بين ما يوعدون وأحداث الآخرة وكذلك في سورة المرسلات دخل في أحداث الآخرة . فلمّا فصل الأحداث الآخرة عن ما يوعدون فصل *إن ما* ولمّا وصل الأحداث مع ما يوعدون وصل *إنما* وكذلك ما جاء في قوله تعالى في قصة موسى وفرعون *وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى *٦٩* طه* السحرة صنعوا وانتهى الأمر، وكذلك قوله تعالى *وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ*الأنفال* هم غنموا وانتهى الأمر فوصل وتكلم عن شيء فعلوه. فكأنها ظاهرة غريبة وكأن الكاتب الذي كتب المصحف لحظ هذا وما في الفصل والوصل هذا والله أعلم.

وقد سبق أن تكلمنا عن الفصل والوصل في *لكيلا* و *لكي لا* في إجابتنا عن سؤال سابق.

ما الموصولة هنا تختلف عن *إنما المؤمنون إخوة * التي هي ما الكافة والمكفوفة التي توصل مع *إن* .

* ما اللمسة البيانية في تكرار *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ* في سورة المرسلات؟

د. فاضل السامرائي:

هذا من باب التهديد كما أنه في الرحمن من باب التذكير بالنِعَم كرر *فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* في المرسلات من باب التهديد. كلما يذكر تهديداً يذكر *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ* كما أنه لما يذكر النعم يقول *فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* لما يذكر التهديد يقول *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ* ومن اللطائف وبالمناسبة قال في الرحمن *فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* وفي المرسلات *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ* .

د. حسام النعيمي:

التكرار عادة للفت النظر. لما ننظر في سورة الرحمن نجد كلمة *فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* تكررت كثيراً، هذه الإنسان يتلذذ فيها وكأنه يُقبّل حروفها مع كل نعمة من نِعَم الله سبحانه وتعالى، كل نعمة لما تُذكر يقال بعدها *فبأي آلآء ربكما تكذبان* أي بأي نعم الله تكذبان يا معشر الجن والإنس؟ ففيها نوع من التلذذ بهذا التكرار.

في هذه السورة نوع من التخويف والزجر بهذا التكرار *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* عند كل موضع وكل موضع له خصوصيته وله مجاله كما في سورة الرحمن. فالمؤمن عندما يقرأ ذلك يتوقف عند كل جزئية التي فيها *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* . نلاحظ في سورة المرسلات *وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا *١ * عطف في البداية ثم بعد ذك ذكر شيئاً بحرف عطف ثم جاء بالفاء *فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا *٢ * العلماء يقولون هذا شيء، المرسلات العاصفات شيء، هذه الريح. وبدأ شيئاً جديداً *وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا *٣* فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا *٤* فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا *٥* عُذْرًا أَوْ نُذْرًا *٦ * الآن الملائكة . *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ *٧* فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ *٨* وَإِذَا

السَّمَاء فُرِجَتْ *٩* وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ *١٠* وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ *١١* لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ *١٢* لِيَوْمِ الْفَصْلِ *١٣ * هذا مشهد يوم القيامة ، *وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ *١٤ * سؤال، *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* المسلم تذهب الصورة عنده ليوم الفصل هذا الويل، العذاب، التهديد، التخويف، وبعض العلماء يقولون ويل وادي في جهنم، ويل في العربية عذاب، ويل لهم أي عذاب لهم وعذاب على صيغة التنكير ويل وأهوال. *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* وبدأ يتكلم *أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ *١٦ * شغلوا دماغكم! هكذا تستمر الآيات في كل مشهد وفي كل صورة تختلف عن الصورة الأولى ويختلف المشهد ويأتي *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* هو إذن نوع من الدقّ على قلوب هؤلاء ليتذكروا ويبصروا، ونوع من التنبيه للمؤمنين والتذكير لهم بحال هؤلاء المكذبين كيف سيكونون حتى لا يدخل الشيطان إلى قلب المؤمن ويجعله من المكذبين.

إذن هذا التكرار فيه نوع من التأكيد تأكيد إثر تأكيد لكل صورة من الصور وقارئ القرآن المفترض فيه أن يتوقف ويتمعن مثل سورة الرحمن كلما يصل إلى *فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* يتوقف وينظر فيما قبلها ويتأمل فيها ويحمد الله سبحانه وتعالى أن جعله من أهل هذا الدين وليس من المكذبين.

* ما الفرق بين *ألقينا فيها رواسي* و *جعلنا فيها رواسى* ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة الحجر *وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ *١٩ * وفي سورة ق *وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *٧ * وفي سورة النحل *وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *١٥ * وسورة لقمان *خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ *١٠ * . هذا سؤال يجب أن يُوجّه إلى المعنيين بالإعجاز العلمي. لكن أقول والله أعلم أن الملاحظ أنه تعالى يقول أحياناً ألقينا وأحياناً يقول جعلنا في الكلام عن الجبال بمعنى أن التكوين ليس واحداً وقد درسنا أن بعض الجبال تُلقى إلقاء بالبراكين *جبال بركانية * والزلازل أو قد تأتي بها الأجرام المساوية على شكل كُتل.

وهناك شكل آخر من التكوين كما قال تعالى في سورة النمل *أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ *٦١ * وسورة الإنبياء *وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ *٣١ * وسورة المرسلات *وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا *٢٧ * وسورة الرعد *وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *٣ * ، وهذا يدل والله أعلم على أن هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال. وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض فالجبال ليست نوعاً واحداً ولا تتكون

بطريقة واحدة هذا والله أعلم.

* كلمة يوم نكرة ومع هذا لم تنوّن فما دلالة ذلك في سورة المرسلات *هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ *٣٥ *

د. فاضل السامرائي

ليس له علاقة بالنكرة والمعرفة ،
كلمة *يوم* مضاف إلى الجملة *لا ينطقون* والمضاف لا ينوّن أصلاً

نونٌ تلي الإعراب أو تروينا مما تضيف اخذف كطور سنين

هذا مبتدأ و *يوم* خبر مضاف لا ينوّن وليس له علاقة بالتعريف والتنكير. هو مضاف والمضاف لا ينون.

* في سورة المرسلات جاء ذكر جزاء الكافرين ثم جزاء المؤمنين ثم جاء قوله تعالى *كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون* فما دلالة هذا الترتيب؟

د. فاضل السامرائي

الأمر يحتاج إلى توضيح فسورة المرسلات جاء بخط معين هي بدأت بعد القسم *وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا *١* بذكر المشهد الأول من أحداث يوم القيامة *فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ *٨* وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ *٩* وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ *١٠* وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ *١١ * ثم بعدها عاد إلى مخاطبة الناس وتذكيرهم ليتّعظوا فذكّرهم بنعمة الخلق وقوله ألن نهلك الأولين، ألم نخلقكم ماء مهين .. ثم عاد إلى ذكر الجزاء حسب التسلسل جزاء المكذبين ثم جزاء المتقين وهذا تسلسل طبيعي *انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ *٢٩* انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ

شُعَبٍ *٣٠* لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ *٣١ * ثم جزاء المتقين *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ *٤١ * ثم عاد إلى مخاطبة الناس يذكّرهم على الطريقة الأولى *كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ *٤٦ * كيف يكون في الآخرة قليلاً فهذا الخطاب ليس من ضمن الجزاء وإنما خطاب للناس ليتّعظوا *وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ *٤٨ * . إذن المنهج الذي سار عليه في السورة هو ذكر أحداث يوم القيامة ثم تذكير الناس ثم ذكر الجزاء ثم تذكير الناس حتى يتّعظوا.

* تناسب فواتح سورة المرسلات مع خواتيمها*

بدأها بالقسم *وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا *١ * وقال *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ *٧ * ثم ذكر من أحوال يوم القيامة *فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ *٨* وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ *٩* وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ *١٠* وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ *١١ * ثم أنذر *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ *١٥ * . المرسلات قسم يقول الملائكة وقسم يقول الريح ومصدرها مرسلة وهي اسم مفعول. ثم نلاحظ أن هذه السورة أيضاً بدأت بيوم القيامة بأحواله *فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ *٨* وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ *٩* وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ *١٠* وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ *١١ * ثم ختمت بما يحدث يوم القيامة للمكذبين والمؤمنين *هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ *٣٥ * *هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ *٣٨ * ثم *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ *٤١ * ذكر ما يحصل في هذا اليوم *فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ* ثم ختمها بما يحصل للمكذبين والمؤمنين *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ *٤١ * *هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ *٣٨* فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ *٣٩ * ذكرها في الأول والآخر. هي أصلاً في الإنسان من بدايتها إلى نهايتها، في

بدايتها *أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ *٢٠ * وفي نهايتها *هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ *٣٥* وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ *٣٦ * أو *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ *٤١ * طائفتين وعلى الانسان أن يختار وتستمر اللازمة *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* من أولها إلى آخرها.

* تناسب خواتيم المرسلات مع فواتح النبأ*

نحن توقفنا عند سورتي المرسلات والنبأ، السورتين السابعة والسبعين والثامنة والسبعين. خاتمة سورة المرسلات في جزاء كلٍ من المؤمنين والمكذبين *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ *٤١ * إلى أن يقول *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ *٤٥* كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ *٤٦ * وبداية سورة النبأ *عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ *١* عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ *٢* الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ *٣ * والنبأ العظيم عند أغلب المفسرين هو يوم القيامة فارتبط ما قبلها بما بعدها لأنه تلك من أحوال القيامة وهذا التساؤل هو عن يوم القيامة *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ *٤٥ * ثم *عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ *١* عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ *٢* الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ *٣ * سيكون هناك ارتباط بالسورة التي قبلها.